الرجل والمرأة

في الإسلام

تأليف

د/ محمد وصفي

تقديم

محمد عبد الله السمان

خرج أحاديثه

محمد صديق المنشاوي السوهاجي

دار الفضيلة

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٢٣
ترخيص رقم : (٧١)

الرجل والمرأة

في الإسلام

تأليف

د/ محمد وصفي

تقديم

محمد عبد الله السمان

خرّج أحاديثه

محمد صديق المنشاوي السوهاجي

دار الفضيلة

دار الفضيلة
للنشر والتوزيع والتصدير
الإدارة: القاهرة - ٢٣ شارع محمد يوسف القاضي -
كلية البنات - مصر الجديدة - ت وفاكس: ٤١٨٩٦٦٥٠
المكتبة: ٧ شارع الجمهورية - عابدين - القاهرة - ت ٣٩٠٩٢٣١
الإمارات: دبي - ديرة - ص ب ١٥٧٦٥ ت ٦٩٤٩٦٨ فاكس ٦٢١٢٧٦

وكيلنا في المملكة المغربية:
دار الاعتصام
للطباعة والنشر والتوزيع
الدحماني عبد الكريم
35 - 33 الشارع الملكي (الأحباس). الدار البيضاء
الهاتف 30.42.85 - الفاكس 44.45.39

جميع الحقوق محفوظة للناشر

محمد

رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم

مصطفیٰ

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بقلم: محمد عبد الله السمان

● في أواخر الخمسينات عرفت الدكتور محمد وصفي عن طريق جمعية الرابطة الإسلامية التي أسسها الأستاذ محمد شاهين حمزة، وأصدر مجلتها، كان عضواً شبه دائم في البرلمان عن النوبة، وكان يقيم إقامة دائمة في القاهرة في حي عابدين حيث مقر الجمعية التي كانت تضم لفيفاً من العاملين في الحقل الإسلامي من العلماء والمفكرين والأدباء، وكنا نلتقي في المحاضرة الأسبوعية.

لم يكن الدكتور محمد وصفي (١٩٠٨ - ١٩٦٩م) مجرد عضو عامل في جمعية الرابطة الإسلامية، بل كانت له نشاطات عديدة، ومتنوعة، لا يقوى على ممارستها إلا من يبارك الله في جهده وصحته ووقته، إذ كان المفروض في طبيب أن يتركز نشاطه في مهنته الأساسية وما يدور في فلكها، إلا أن طموحاته العلمية والأدبية والاجتماعية، أهّلته لكي يتجاوز حدود مهنته بل مهمته الأساسية «الطب» محتذياً حذو علماء السلف، كان أحدهم عالماً في الطب والرياضة والفلك والفقه والتفسير والأدب، بارعاً في كل هذه العلوم.

كان الراحل - رحمه الله - يرى في نفسه - والحق معه - عضواً مسلماً في مجتمع مسلم يحب أن لا يبخل على مجتمعه المسلم لا بجهده ولا بصحته، ولا بفكره ولا بوقته.

لقد أنشأ جمعية أنصار الحج، لا لمجرد أن ييسر للناس أداء الفريضة أو يشجعهم على أدائها، ولكن لكي تشارك هذه الجمعية مشاركة فعلية

في الإعداد لمؤتمر إسلامي عام في مكة المكرمة، يناقش قضايا الإسلام وقضايا الشعوب المسلمة ومشكلاتها .

وعندما بدأ التفكير في إنشاء رابطة تضم أدباء العروبة ، كان يطمع في النهوض بالأدب العربي، باعتباره وثيق الصلة بالأدب الإسلامي الذي تخلف عن ركب الحياة ، بعد أن هيمن على الساحة الأفاقون : شراذم من العلمانيين والماركسيين والشعوبيين .

* * *

● أهدى إليَّ الدكتور محمد وصفي كتابه : « الإسلام والطب » .. وما إن فرغت من قراءته حتى وجدت في مؤلفه عالماً جليلاً، يعني كل كلمة قبل أن يخطها قلمه، وقد أعانني على استيعاب الكتاب الموضوعية وسهولة العبارة برغم عمق التفكير لدى المؤلف .

ولقد أحسست بالسعادة – علم الله – حين طلب مني صديقي الأستاذ طه عاشور مقدمة للكتاب الذي بين يدي القارئ: « الرجل والمرأة في الإسلام » للدكتور محمد وصفي ، لتنشره « دار الفضيلة » بالقاهرة، واعتبرت هذا الطلب شرفاً أرجو أن أستحقه ، والحق أنني تهيبت الموقف لأنني على يقين من أن الدكتور وصفي لا يكتب إلا علماً دسماً مجرداً من الإنشاء، إلا أن حرصي على إجبار نفسي على قراءة الكتاب بإمعان واستيعاب لكي أزداد علماً شجعني على تجاهل تلك الهيبة .

إن عنوان الكتاب جديد ، إذ تعودنا أن نقرأ كثيراً عن المرأة في الإسلام، لكنا لم نتعود أن نقرأ : « الرجل والمرأة في الإسلام » .

صحيح أن هناك مؤلفات عن « الذكر والأنثى » لكنها تستهدف الدراسة العلمية بعيداً عن الفكر الإسلامي، أما كتاب الدكتور وصفي فهو يمتاز بتوثيق الدراسة العلمية بالفكر الإسلامي كتاباً وسنة وفقهاً، فجاء الكتاب موسوعة شاملة .

عرض الكتاب في عشرة مباحث: للفرق بين الرجل والمرأة تشريحياً وعضوياً وعقلياً ونفسياً، كما عرض للشواذ من الجنسين، ولإعداد الفرد للزواج، ولحماية الأسرة، وللزواج، وللعلاقة الجنسية بين الزوجين، ولتحسين النسل، ولتحديد النسل، وللرضاعة، ومن خلال هذه المباحث أثار المؤلف العديد من القضايا التي لا تزال مثاراً للجدل، وبخاصة تلك القضايا التي اتخذها أعداء الإسلام مغمزاً في شريعة الإسلام، حيث أخذ المؤلف بتلابيب هؤلاء الأعداء، وردهم علمياً ومنطقياً – على أعقابهم ناكصين.

● هناك مسائل ثلاث عرض لها المؤلف تحتاج إلى فهم خاص:

الأول: عمل المرأة المسلمة: ليس هناك حكم قاطع بالقبول أو الرفض، لأن المسألة تخضع لظروف الأسرة – من ناحية – ولحاجة المجتمع من ناحية أُخرى، صحيح أن القاعدة هي أن البيت مملكة المرأة، وهي شريكة الرجل في رعاية البيت ومسئولة عن رعيتها – كما جاء في الحديث المشهور – ولكن ما من قاعدة إلا ولها استثناء، وهذا مما لا يفهمه المغلقون، الذين يصرون على حرمان المرأة من العمل، ولو أننا سلمنا جدلاً بوجهة نظرهم التي لا تمت إلى الإسلام الصحيح بصلة، لكان علينا أن نترك المجال لغير المسلمات، من طبيبات أو ممرضات لنسائنا، ومدرسات لبناتنا، وباحثات اجتماعيات تغشين بيوتنا.. لا يكفي أن تكون ظروف الأسرة هي التي تبيح للمرأة العمل، بل كذلك حاجة المجتمع إلى عملها.

الثانية: إن كثيراً من الأحاديث يجب أن لا يؤخذ بها على إطلاقها، فأحياناً تكون العبرة بالسبب، وأحياناً أخرى تكون العبرة بعموم اللفظ، وفي كلتا الحالتين يكون للظروف شأن يذكر، مثال ذلك: الأحاديث التي ترغب في الزواج من البكر دون الثيب، ومن الولود دون العقيم، فالحكم في مثل هذه الأحاديث ليس على إطلاقه، وإلا أسأنا إلى قدر الثيب والعقيم، وشجعنا على بوارهما، ولا ذنب لهما، إن معظم أمهات المؤمنين

كن ثيبات ، وقد تزوج الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - بعضهن وهن فى سن اليأس ، إذن فالمسألة تخضع للأحوال والظروف .

فى الحديث : إن الصحابى الجليل جابر بن عبد الله - رضى الله عنه - تزوج ثيباً ، فقال له الرسول : هلّا بكراً تداعبها وتداعبك ؟ فقال جابر : يا رسول الله إن لى إخوة صغاراً ، فأردت أن تكون لى زوجاً ، وأن تكون لهم أماً ، فقال له الرسول ﷺ : « بارك الله لك فيها ، وبارك لها فيك » .

الثالثة : لقد اقتضت موضوعية هذه الدراسة الشاملة عن الرجل والمرأة - فيما يتصل بالجنس والأعضاء التناسلية - أن يأخذ المؤلف بالمبدأ القائل : (لا حياء فى الدين) وفى الحديث أن امرأة من الأنصار سألت رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : يا رسول الله ، هل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ فغطت السيدة عائشة - رضى الله عنها - وجهها حياء ، ولما أجاب الرسول عن السؤال بالإيجاب « نعم » قالت : « رحم الله نساء الأنصار ، لا يمنعهن الحياء من أن يسألن عن دينهن » .

* * *

● وبعــد :

فهناك العديد من الكتب التى تعرض للمرأة وحقوقها فى الإسلام ، كذلك هناك العديد من الكتب التى تعرض للرجل والمرأة من منظور علمى غير إسلامى ، تتناول تحليلاً لإبراز الفروق العضوية والنفسية والبيولوجية وغيرها ، لذا فأعتقد - وأرجو أن أكون موفقاً - فإن كتاب الدكتور محمد وصفى يعتبر الأول من نوعه الذى يعرض لهذه الفروق من منظور إسلامى فى دراسة علمية وموضوعية شاملة ، برز فيها عطاء الفكر الإسلامى ثرياً من قرآن وسنة وفقه ، كما اتضح فى هذه الدراسة ، أن هذا الفكر الإسلامى ، قد بلغ ذروة الثراء فى شتى العلوم .

وأعتقد أنه لا مجال لأن يتساءل متسائل :

إن المؤلف طبيب فمن أين له هذا الثراء من الفكر الإسلامي الغزير ؟

أقول :

لا احتكار للفكر الإسلامي ، والعلم هو القراءة – كما يقول العقاد رحمه الله – ولدينا من المفكرين الإسلاميين – من غير علماء الأزهر – عدد لا بأس به ، قدموا للمكتبة الإسلامية أجلَّ الخدمات ، منهم على سبيل المثال : الشهداء حسن البنا ، وعبد القادر عودة ، وسيد قطب ، وكيف ننسى أمثال مالك بن نَبِي المهندس ، والدكتور محمد حسين هيكل ، إن كتابه « حياة محمد » يعتبر المرجع الأول فى السيرة النبوية ، ومن الأحياء وأحد أعلام القانون الدكتور سليمان الطحاوى ، وفى مؤلفه : (عمر بن الخطاب وفن الإدارة والسياسة) ، أثبت أن أفكار عمر – رضى الله عنه – الحضارية فى الإدارة سبقت دولة فرنسا التى تعتبر أم الإدارة الحديثة ؟

والعقاد فلتة العصر لا يحتاج إلى إشارة ، عطاؤه من الفكر الإسلامى ، وأذكر – وأنا بمجلة الأزهر – أن العقاد كان يكتب لنا مقالاً تحت عنوان : « ما يقال عن الإسلام » يرد فيه على شطحات المستشرقين ومفتريات المبشرين . ولما توفى كلفنى رئيس التحرير الأستاذ الزيات البحث عمن يملأ الفراغ ، فلم يستجب أحد لكى يحل محل العقاد ، وإزاء إلحاح منى على صديقى الدكتور الأهوانى قَبِلَ ، ولكنه لم يستمر .

إن من حق الدكتور وصفى علينا أن نشير إلى بعض ما كتبته « جريدة الجمعة » بصحيفة الأخبار فى ١٩٦٨/٤/٤م تحت عنوان : « مات الدكتور وصفى وهو يحمل القلم » قالت :

« كان يرى أن مسئوليتنا الكبرى – كمسلمين – هى فتح دفتى هذا الكتاب أمام العالم كله ، وأمام أعيننا أولاً ، بدون التوقف عند الخطأ

المتوارث فى مناهج التفسير ، وكان يعكف الليل كله باحثاً ودارساً وأمام عينيه المصباح الأكبر – القرآن الكريم – كان يحس من البداية بضرورة التغيير : السياسى والاجتماعى ، ولكن من خلال عقيدتنا ، وكان السؤال المطروح أمامه : « أين عقيدتنا ؟ وأين فلسفتنا ؟ هل هى مجرد الشكليات ؟ وهل نقف أمام سيل الخرافات التى اختلطت بجوهر الدين ؟ هل يبقى العمل الإسلامى مجرد إغراق فى الشكليات ؟

* * *

● ثم ماذا ؟

إذن – فلم يكن الدكتور محمد وصفى دخيلاً على الفكر الإسلامى ، ولم يكن الفكر الإسلامى غريباً عنه ، وهو يحمل مثل هذه العقلية المتفتحة ، والإحساس الحى تجاه دينه ، والغيرة المتأججة على الفكر الإسلامى الأصيل الذى لم ينصف بعد ، ولم يجد من يعينه على مواجهة التحديات التى تسدد إلى جوهره من كل مكان .

رحم الله الدكتور وصفى أحد رواد التجديد ، ولا غفر الله لوسائل الإعلام ، التى لم تحس به ، وهى التى لا تحس إلا بأهل الفن الرخيص من نجوم الأرض .

محمد عبد الله السمان
القاهرة : ص . ب ١٦٢١
ت : ٥٦٨٣٥٦٤

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَةُ المؤَلِّف

دعانا إلى تأليف هذا الكتاب ما رأيناه من دقة التشريع الإسلامى فى كل ما له علاقة بالأسرة ، وعنايته الفائقة بالزواج ، وتنظيمه المحكم للعلاقة بين القرينين ، وشموله التام لما يسمونه اليوم علم فلسفة التناسليات ، وتناوله لدقائق العلاقة الجنسية بين القرينين .

وقد بادرنا بنشر هذا المؤلَّف لعدم وجود كتب تبحث هذه الناحية من نواحى التشريع الإسلامى ، ولقصد إدراك علماء العصر الحديث لما فى الإسلام من شمول لمختلف العلوم والفنون ، ولئن برز الغرب فى الحديد والنار ، فقد ساد الشرق بالهداية والنور ، والله تعالى يقول : ﴿**قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مبين * يَهْدِى بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[1] .

ولقد بدأنا هذا الكتاب بشرح الفرق بين الرجل والمرأة ، مبينين الاختلافات التشريحية ، والاختلافات فى الوظائف العضوية المترتبة على ذلك ، وما يتبع هذا من الاختلافات العقلية والنفسية ، مثبتين كيف وضع الدين مبدأ وجوب توزيع الأعمال وحدد لكل جنس المجال الذى يسعى فيه ، ناشداً صلاح الأسرة ومنظماً لحال المجتمع .

وهذا المبحث له أهمية خاصة من حيث إثبات الصفات الطبيعية للرجل والمرأة ، مما لا يدع مجالاً للشك فى كون الرجل مجاله الحياة العامة ، وأن

(١) سورة المائدة الآيتان : ١٥ ، ١٦ .

المرأة مكانها البيت ، وذلك حتى يتاح للأسرة النهوض بأعباء الحياة والكفاح لصالح المجتمع الإنسانى .

وأردنا بالمبحث الثانى أن تبين الشواذ من الجنسين ، ليسهل فهم ما يرمى إليه الإسلام من معنى الدعوة إلى الزواج الصالح ، فالبلهاء والمصابون بالأمراض النفسية والجنسية ، كالزناة ومدمنى الخمور وعشاق الجنس وغيرهم يبرأ منهم الإسلام ، ولا يعنيهم الدين عند الكلام عن الخطوبة مثلاً ، أو عند الكلام على تحريم تحديد النسل وغيرها ، وهكذا سهل علينا هذان المبحثان فهم معنى الزواج فى الإسلام ، وحقيقة أغراضه ومراميه .

وقبل تناوُلنا موضوع الزواج ، بيّنا فى المبحث الثالث كيف أن الإسلام لم يدع الفرد للزواج إلا وقد أعده إعداداً صحيحاً ليكون عضواً صالحاً فى العائلة ، مجهزاً بالصفات المختلفة التى تؤهله للنهوض بها ، مبينين شتى طرق الإعدادات الصحية ، والعلمية ، والعقلية ، والأخلاقية ، والنفسية .

وبيّنا فى المبحث الرابع كيف أن الإسلام مع إعداده الفرد للزواج ، أحاط العائلة بسياج منيع من الحفظ والوقاية ، فوضع القانون الذى ينظمها ، وسن التشريع الذى يحميها من دعاة الفساد ، ويمكن من ضرب أعناق الملوثين من الجنسين .

وجعلنا المبحث الخامس فى الزواج ، ولم نعن بالتفصيلات الفقهية ، إذ أن لها كتبها الخاصة ، ولكننا بحثنا مختلف النواحى التى رأيناها هامة فيه ، كفرضية الزواج وموضوع العزوبة ، والترغيب فى النسل ، والخطوبة ، ثم ذكرنا بعد ذلك ما وجدناه ذا أهمية خاصة فى عقد النكاح .

وعقبنا على ذلك بالمبحث السادس شارحين ما ذكره الإسلام فى العلاقة الجنسية بين الزوجين ، مبينين – كما قدمنا – كيف انفرد الإسلام بوضع أساس علم فلسفة التناسليات ، وكيف ذكر من غوامض هذا العلم ما يوطد العلاقة بين القرينين ويضمن سلامة الأسرة ورقيها ، مثبتين أن الإسلام سبق علماء أوروبا بثلاثة عشر قرناً بتوضيحه هذه الصلة ، ولقد ذكرنا شيئاً مما جاء

فى الإسلام عن الحب ، والغيرة ، والتزين ، والحياء ، والدلال ، والتمنع والصد ، وملاعبة الرجل لامرأته ، إلى غير ذلك مما تجده مفصلاً فى هذا المبحث .

وانتقلنا بعد ذلك إلى المبحث السابع فى بحث مسألة زواج الأقارب ، وبيّنا كيف وضع الدين الحد الأدنى لذلك الزواج ، وذكرنا مقصده من هذا التحرى ، ثم بحثنا مسألة نكاح أبناء الأعمام وأبناء الخالات ، وانتقلنا إلى بيان حكمة تحريم ما يحرم بالرضاع ، وبيّنا خطورة زواج نساء الآباء وحلائل الأبناء وأمهات النساء ، وذكرنا الحكمة فى تحريم الجمع بين الأختين أو المرأة وعمتها أو المرأة وخالتها ، ثم انتقلنا إلى سبب نكاح الربائب من بنات النساء .

وقصرنا المبحث الثامن على ما جاء فى الإسلام لتحسين النسل ، وذكرنا كيف أرشد الدين أن ينشد طالب الزواج أو طالبته فى القرين الجمال ، والدين والأخلاق الطيبة ، والصّحة البدنية ، والخلو من الآفات الوراثية ، والوجود فى البيئة الصالحة .

وجعلنا المبحث الذى يليه فى بحث موضوع تحديد النسل ، مبينين العوامل الطبيعية التى تعمل على إزهاق أرواح البشر ، ذاكرين فساد العوامل الوضعية التى تناقض السنن الكونية ، مشيرين إلى الأضرار الجسيمة التى تنجم عن وسائل منع الحمل وجرائم الإجهاض ، وبيّنا أن الإسلام لم يرغبْ فى النسل وينه عن تحديده ، إلا وقد أبعد الصور المشوهة من معانى الرجولة والأنوثة ، ونبه إلى الوسائل التى تكفل السعادة الزوجية : كتحريم نكاح الأخوات والعمات والخالات ، وكحثه على تحسين النسل ، والعناية بانتخاب الزوجين الصالحين اللذين ينجبان النسل الصالح ، الذى يكوّن الأمة العظيمة التى عناها الله تعالى فى قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وتؤمنونَ باللهِ ﴾ (١) .

وختمنا الكتاب بموضوع الرضاعة وعلاقتها بالأم والطفل ، وذكرنا

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .

حكمة الإسلام فى تحديد الحد الأقصى لزمن الرضاعة.

وقد سرنا فى تأليف هذا الكتاب على نمط خاص، فتوسعنا حين رأينا التوسع لازماً، واختصرنا حين وجدنا الفائدة فى ذلك ولم نر داعياً إلى تكرار ما ذكرناه فى مؤلفنا (الإسلام والطب) مما يتعلق بالأسرة، كالطلاق وتعدد الزوجات واللواط والخمر والمحيض وغيرها، إذ لا نراه عسيراً على القارئ إذا أراد أن يرجع إلى ذلك هنالك.

ولم نعن بذكر المراجع فى آخر الكتاب، لأن أهم هذه المراجع هى القرآن الكريم، وشتى كتب السنة، وكتب التفسير، وكتب الفقه، وما يطول ذكره من مختلف كتب الطب والأدب والأخلاق والنفس والاجتماع وفلسفة التناسليات وعلوم الحياة والوراثة وغيرها مما له صلة بهذا الموضوع المتشعب النواحى الممتد الأطراف.

ولقد حرصنا فى هذا المؤلَّف أن نذكر رقم الآية التى نستشهد بها، وسورتها، وأن نذكر رواة الحديث، وقد نقتصر بعض الأحيان على راو واحد، وقد يكون للحديث جملة رواة.

فنرجو أن نكون قد وفقنا فى هذا الكتاب وخدمنا هذه الناحية من نواحى التشريع الإسلامى، ونرجو أن يكون الله قد هدانا إلى إظهار حكم ما يرمى إليه الدين فيما أباح أو حرم، وما هذا المؤلف إلا تحليل للآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى لها علاقة بالأسرة والزواج، والله تعالى يقول: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لله وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ الله يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ۞ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ الله شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[1].

الدكتور/ محمد وصفى

(١) سورة الأنفال الآيتان: ٢٤، ٢٥.

المبحث الأول

الفرق بين الرجل والمرأة

وهكذا شاء الله سبحانه وتعالى أن يخلق البشر من جنسين مختلفين ليصبحا أداة للتوالد، ووسيلة لانتشار النسل، ولقد ميز كلا منهما بمميزات خاصة، ومنح كل جنس صفات مغايرة، تؤهله لما يقوم به نحو المجتمع الإنسانى من وظائف فرضها الله، وقضت بها حكمته فى خلقه، وجعل للرجل حدوداً خاصة لا يتعداها، ورسم للمرأة المجال الذى تسعى فيه، ثم أمرهما بالتعاون على تذليل عقبات الحياة، والتكاتف لتنفيذ ما قضى به الخالق، والتآزر لأداء الواجبات الإنسانية التى من أجلها عمّرا هذا العالم، واتخذا البسيطة ميداناً لجهودهما وأعمالهما، والله تعالى يقول: ﴿ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[1].

فالرجل والمرأة بذلك متممان للوحدة الإنسانية، يكمل كل منهما الآخر، ويسد أحد الطرفين ما فى الطرف الآخر من نقص، ولذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه: «إنما النساءُ شقائقُ الرجالِ»[2].

وسنثبت إن شاء الله فى هذا المبحث فساد رأى كل من يقول بوجوب المساواة بين الرجل والمرأة فى الحياة العامة، أو إمكان مزاحمة المرأة للرجل فى الأعمال التى تناسب قوة الرجل العضلية، ومزاياه العقلية والنفسية، أو أن الرجل يستطيع أن يزاحم المرأة فى بيتها، أو يستغنى عنها فى تربية عيالها،

---

(١) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

(٢) أخرجه أبو داود (الطهارة / ٩٤) ، وأحمد (٦/ ٢٥٦)، والبيهقى (١/ ١٦٨) وانظر كشف الخفاء (١/٢٤٨) ، والصحيحة (١٧٨) .

قال تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾ [1] .

وسنقتصر فى هذا المبحث على ذكر أهم الاختلافات المتباينة والفروق العامة التى تفصل بين الجنسين، متناولين شتى المميزات التشريحية، والوظيفية العضوية، والفروق العقلية والنفسية، مع الاختلافات المترتبة على ذلك فى الوظيفة الاجتماعية.

الاختلافاتُ التَّشْريحية

يختلف الرجل اختلافاً بيناً عن المرأة، فى تركيب جسمه، وفى كل ما يتعلق بِخَلْقه، وليس هذا الاختلاف قاصراً على الأعضاء التناسلية الأولية فحسب، كالمبيضين والرحم والمهبل وملحقاتها فى المرأة، والأنثيين والعضو التناسلى وملحقاتها فى الرجل، بل إن هذا الاختلاف يشمل كذلك الأعضاء التناسلية الثانوية التى تتناول المظهر العام لكل من الجنسين، وهذا المظهر العام هو الناشىء عن التناسق الجنسى ونسبة التركيب الجسمانى، بما فى ذلك الاختلافات التى ستظهر فى غضون هذا البحث.

(أ) الاختلافُ فى الهيْكلِ العَظْمى

١ - الجمجمة :

فجمجمة الرجل أكبر حجماً [2] وأثقل وزناً [3] من جمجمة المرأة، وجُدُرها أرقّ، وحرف العظام ومواضع ادغام العضلات أقل وضوحاً، وقرنة الحاجبين والأقواس الهدبية والنتوءات الحلمية وما يقابلها من جيوب هوائية أصغر كذلك فى المرأة.

---

(١) سورة الفرقان الآية : ٢ .

(٢) يقل حجم جمجمة المرأة بنحو العشر، ويتبع ذلك حجم فراغ الجمجمة، وقد وجد أن حجم فراغ الجمجمة تختلف نسبته باختلاف الممالك، فحجم فراغ جمجمة المرأة الأسترالية الأصل يقل عن مثله فى الأسترالى ٣٧سم٣، والصينية تقل ٥٩سم٣، والزنجية ٩٩ سم٣، والهندية ١٢٢سم٣، والإسكيمية ١٤٩سم٣، والألمانية ١٦٠ سم٣، والإنجليزية ٢٠٤ سم٣ .

(٣) خفة وزن جمجمة المرأة إلى كون العظام المسطحة فى الجمجمة رقيقة جداً فى وسطها .

وفى الأنثى تكون حافة المجاج العليا حادة، والجبهة رأسية، والنتوءات الجبهية والجدارية بارزة، والقبوة مفلطحة لدرجة ما، ومحيط الوجه أكثر استدارة، وعظام الوجه أسلس، ولعل من أظهر الخلافات صغر المسافة بين فتحتى العينين.

وأسنان المرأة أصغر من أسنان الرجل، ولكن عرض سنيها القاطعين أكبر(٢)، والفك الأسفل عند النساء أقل وزناً منه عند الرجال فيزن عند المرأة ٦٣ جراماً وعند الرجل ٨٠ جراماً.

وعلى وجه عام فوجه جمجمة المرأة يشبه وجوه الأطفال(٣).

٢ - القفصُ الصَّدرى:

وصدر المرأة أقصر وأقل(٤) سعة واستدارة وبروزاً من صدر الرجل، كما أنه أضيق من أسفل، وهذا ما يسبب رفع خصر المرأة، وضلوع المرأة العليا أكثر تحركاً، ولذلك تسمح بتمدد أكبر للجزء العلوى من صدرها.

٣ - العمودُ الفَقْرى:

والعمود الفقرى عند المرأة أقل طولاً، وفقراته أخف وزناً، والقسم القطنى منه أطول من مثله عند الرجل، وأكثر انحناءً، وهذا هو الذى يجعل خصر المرأة نحيلاً متقوساً، وأما الرجل فمستقيم القامة، وعجز المرأة أعرض وأقصر من عجز الرجل.

---

(١) نسبة عرض السنين القاطعين عند البنات ١٣٣٪ من عرضها عند الأولاد، ونسبته عند النساء ٨٨ إلى ٨٣ عند الرجال.

(٢) وسبب هذا أن نشاط المخ عند الرجال يستدعى نشاط عضلات الوجه للتعبير عما يدور فى المخ من أفكار ولذلك تظهر ارتفاعات بارزة على سطح جمجمة الرجل عند اتصال العضلات بعظام الوجه أكثر مما تظهر على جمجمة المرأة.

(٣) القفص أقصر عند المرأة، وحده الأعلى مواز لأسفل جسم ثالث فقرة من فقرات الصدر، على حين يوازى فى الذكر أسفل جسم الفقرة الثانية.

٤ – عظامُ الأطراف :

وعظام الأطراف كذلك فى المرأة أخفّ وزناً ، وأقل طولاً[(٢)] ، والرجل على وجه عام أطول من المرأة ، وأثقل منها وزناً ، وعظمة الفخذ فى المرأة أكثر ميلاً منها عند الرجل لزيادة عرض حوضها .

٥ – عظامُ الحوض :

١ – عظام الحوض فى الأنثى أخف وأملس ، وآثار التصاق العضلات بها أقل وضوحاً ، كما هو الحال فى سائر أجزاء الهيكل .

٢ – موضع عظمتى الحرقفتين رأسى أكثر منه فى الذكور .

٣ – المسافة بين عرف عظمتى الحرقفتين أقل فى الإناث منها فى الذكور .

٤ – الشوكتان العليان للمرفقين أكثر تباعداً بعضهما عن بعض .

٥ – الحفرة الحرقفية فى الإناث قليلة العمق .

٦ – استدارة عرف عظمتى الحرقفتين فى الإناث ليست ظاهرة .

٧ – بروز مفصلى الفخذين بسبب المميزات لعظمتى الحرقفتين .

٨ – فتحة الحوض العليا الصغرى أوسع فى الإناث ومستديرة تقريباً ، على حين تراها فى الذكور قلبية الشكل .

٩ – تجويف الحوض فى الأنثى أعرض وأقل عمقاً ، لأن العجز أقصر وأعرض فى الأنثى مما هو فى الذكر ، وهو مستقيم فى جزئه العلوى ، وعمق

---

(١) إذا فرضنا أن ذكراً وأنثى طولهما واحد مثلاً ، وهو ١٥٢سم ، وجدنا طول أطرافهما بالمليمتر على حسب جدول الأطوال لروليه كما يلى :

	عظم الفخذ	القصبة	الشظية	عظم العضد	الكعبرة	الزند
فى الذكر	٤١٥	٣٣٤	٣٢٩	٢٩٨	٢٢٣	٢٣٣
فى الأنثى	٤٠٩	٣٢٩	٣٢٥	٢٩٢	٢١٣	٢٢٩

وإذا كان طولهما ١٧٠سم ، كانت أطوال الأطراف على الترتيب المتقدم كما يأتى :

فى الذكر	٤٦٢	٣٧٣	٣٦٩	٣٣٥	٢٤٦	٢٦٤
فى الأنثى	٤٥٣	٣٦٩	٣٦٥	٣٢٧	٢٣٢	٢٥٣

الارتفاق العانى والمسافة بين التتوءين العانيين فى الأنثى أكبر ، وكذلك فجوة العصب الوركى أوسع، وأقل عمقاً . وكذلك شوكتا العظم الوركى لا تبرزان إلى الداخل بدرجة بروزهما فى الذكور .

١٠ – والفتحة السفلية للحوض أوسع فى الأنثى ، لأن القوس العانى أوسع وأكثر استدارة ، وهو فى الذكر أحدّ ، واتساعه أقل من زاوية قائمة ، ونتوء العظم الوركى أكثر انقلاباً للخارج ، والعصعص أكثر تحركاً منه فى الذكر .

١١ – وحوض الذكر له مميز جنسى واحد، وهو أن حافة القوس العانى أكثر انقلاباً بسبب الحجم الكبير لساقى القضيب .

١٢ – التجويفان الحرقفيان المستديران لعظم الوركين أصغر فى الإناث ، وهما متباعدان، واتجاههما إلى الأمام، ولذا كان قطر هذا التجويف المستعرض أكثر من البعد ما بين الحافة الأمامية والارتفاق العانى ، ولكن هذين البعدين فى الذكور متساويان تقريباً .

١٣ – الثقب الوركى ثلاثى الشكل فى الإناث ، أصغر عندهن وهو بيضى الشكل فى الذكور .

١٤ – الشق الحرقفى الأذينى الشكل يشاهد دائماً فى عظم الحرقفة للأُنثى .

١٥ – والسطح الأذينى للعجز فى الأنثى يقتصر على الفقرتين العجزيتين الأولى والثانية ، ويمتد فى الذكر عادة إلى منتصف الفقرة الثالثة ، وبجانب هذا فعظام المرأة على وجه العموم أرق وأضعف ، وأقل صلابة ، واحتمالاً من عظام الرجل، وهو ما يشير إليه رسول الله ﷺ فى قوله : « يا أَنْجَشَةُ رُوَيْدَكَ سَوْقَكَ بالْقَوَارِيرِ » [1] والقوارير جمع قارورة سميت بذلك

---

(١) أخرجه البخارى (٨/ ٤٤، ٤٦، ٥٥) ومسلم (الفضائل/ ٧٠) ، وأحمد (٣/٢٤٥)، والدارمى (٢/٢٩٦)، والبيهقى (١٠/٢٢٧) وشرح السنة (١٢/٢٢١).
أنجشة مولى للنبى ﷺ ، كان حادياً له .

لاستقرار الشراب فيها ، ومعنى الحديث الشريف : لا تسرع السير بالنساء فى سفرك حال سوقك للإبل ، لئلا يفضى ذلك إلى السقوط ، وهن لضعف بنيتهن ، ورقة عظامهن ، كالقوارير يسرع إليها الكسر .

(ب) الاختلافُ فى العضَلات

وعضلات الرجل على وجه عام أقوى من عضلات المرأة ، وتحتوى عضلات المرأة سائلاً مائياً أكثر مما تحتويه عضلات الرجل ، ولذلك تجد عضلات المرأة رخوة ، وتشبه إلى حد بعيد عضلات الأطفال ، ولا يهم المرأة ضعف عضلاتها ما دامت تستعمل عضلات الرجل لحمايتها ، وللقيام بأمور معاشها ، وللسعى لجلب الرزق لها ولعيالها ، والله تعالى يقول : ﴿ **الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْض وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ** ﴾ [1] .

وتجد عضلات المرأة التى بين الأضلاع قليلة النمو ، ويزيد فيها النسيجان الخلوى والدهنى ، وتقدر كمية العضلات عند المرأة بنحو ٨ر٣٥٪ من كل جسمها - وتبلغ فى الرجل ٨ر٤١٪ من جسمه .

(ج) الاختلافُ فى مقدار الدّهن وتوزيعه

وكمية الدهن فى المرأة أوفر منها عند الرجل ، إذ تجد نسبته فى جسمها ٢ر٢٨٪ ونسبته عند الرجل ٢ر١٨٪ . وتجد فى المرأة ثلاثة أجزاء من بدنها يظهر فيها الامتلاء الدهنى واضحاً ، وهى الصدر والعجز والفخذان ، وفى سائر أجزاء بدنها ترى عضلاتها الرخوة محوطة بالدهن مما يجعل شكلها مستديراً ، وأما عضلات الرجل فتراها بارزة لا يخفيها ما يغطيها من دهن قليل ، وهذا مايساعد على ظهور رءوس العظام وبروزها عند الرجل .

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٤ .

(د) الاختلافُ في الجلد والشَعر

وجلد المرأة أكثر نعومة، وأقل سمكاً، وأفتح لوناً[1]، وأشد إحساساً وتأثراً بالمؤثرات الجوية كالحر والبرد من جلد الرجل.

والشعر الذى ينبت على جلد الرجل أطول مما يكون على جلد المرأة، ويزيد طوله فى أجزاء كثيرة من جسمه، وخاصة الصدر والذقن ومكان الشارب، والشعر النابت من السطح الخلفى لوتدة الأذن، يصبح أطول فى الرجل بعد تجاوز السن المتوسطة من العمر، وشعر رأس المرأة أطول من شعر رأس الرجل، وفى المرأة يكاد الشعر يقتصر على إبطيها وعانتها[2] وهنالك فرق بين شعر عانة المرأة والرجل، فشعر عانة المرأة أطول من شعر عانة الرجل وأكثف، وأشد تلاصقاً، وقد وجد أن متوسط شعر عانة المرأة هو ١٥ر٠ من المليمتر يقابله فى الذكر ١١ر٠ من المليمتر. وقد ينمو للمرأة بعد سن اليأس بعض شعر الذقن والشارب.

(هـ) الاختلافُ فى القلب وأنابيبه

وقلب الرجل أكبر حجماً من قلب المرأة، وأثقل وزناً، إذ يبلغ ثقله فى الرجل من ٢٨٠ إلى ٣٤٠ جراماً، وفى المرأة من ٢٣٠ إلى ٢٨٠جراماً، ويزيد القلب فى الحجم والثقل إلى سن متأخر من سنى الحياة، ويلاحظ أن هذه الزيادة أكثر وضوحاً فى الرجال منها فى النساء، وشرايين الرجل وأوردته أوسع منها عند المرأة، وحوائطها أسمك من حوائط أوعية المرأة.

(و) الاختلافُ فى الحنجرة

وحنجرة المرأة أصغر من حنجرة الرجل وأقل تصلباً، وإذا نظرت إلى رقبة الرجل وجدت الجزء المسمى (تفاحة آدم) من عظام الحنجرة ظاهراً، وأما فى المرأة فالبروز الذى تراه فى رقبتها من أمام يرجع إلى بروز الغدة

(١) ما عدا الجلد الأسود.

(٢) العانة: الشعر الذى ينبت حول الفرج.

الدرقية ، وهو ما يعطى رقبة المرأة منظراً جميلاً .

وكذلك تختلف أوتار الصوت الموجودة فى حنجرة المرأة عنها فى الرجل ، وعلى هذا يظهر الاختلاف بين صوتى الجنسين ، وسأوضح ذلك عند الكلام فى الاختلافات الوظيفية العضوية .

(ز) الاختلافُ الناشئ عن اختلاف الجهازين التناسليين

وهنالك اختلافات كثيرة ناجمة عن اختلاف الجهازين التناسليين للرجل والمرأة ، كقبل الرجل الذى يقابله بظر المرأة ، وكالصفن الذى يقابله شفرا الأنثى ، إلى غير ذلك من الفروق بين أعضاء التناسل المختلفة .

ومن الاختلافات المترتبة على توزيع أعضاء التناسل ، كبر سعة (الحلقة الفخذية) فى المرأة ، الناجم عن زيادة عرض حوضها ، وصغر الأوعية الوركية ، وكطول مجرى البول ، إذ يبلغ طوله فى الذكر من ٨ - ١٠ بوصات ، وفى المرأة من ١ - ٥ر١ بوصة ، إلى غير ذلك من الاختلافات فى توزيع الأوردة والشرايين فى الجنسين ، الناشئة عن اختلاف الحوضين والأعضاء التناسلية فيهما .

(ح) الاختلافُ فى الجهازِ العصبى

ويختلف الجهاز العصبى فى الجنسين اختلافاً ظاهراً ، فإذا ما أخذنا أهم جزء فيه وهو المخ ، وجدناه أكبر فى الرجل ، وأثقل وزناً ، وقد جُمعت أبحاث لبعض العلماء تتلخص فى أن مخ المرأة ، ما بين سن العشرين والستين ، يقل عن مخ الرجل فى نفس هذه السن ، بمقدار يتراوح بين ١٢٦ و ١٦٤جراماً ، ويقل وزن مخ المرأة ، ما بين الستين والتسعين بمقدار يتراوح بين ١٢٣ و١٥٨ جراماً عن وزن مخ الرجل فى نفس السن .

وفى الجنين (الذكر) الذى يبلغ طوله ٢٦٤ مليمتراً ، ويزن ٣٦٢ جراماً ، تجد وزن مخه ٣٢جراماً ، والذى يبلغ طوله ٢٥٦مليمتراً ، ويزن ٣٣٠جراماً ، ويبلغ وزن مخه ٣٠ جراماً .

والجنين الذى يبلغ طوله ٤٠٠ مليمتر ذكراً أو أنثى ، يزن إذا كان ذكراً ١١٨٥جرامًا ، وإذا كان أنثى ١١٨٨جراماً ، ويزن مخ الذكر ١٧٥جراماً ، ويزن مخ الأنثى ١٦٥جراماً .

ووجد - بجانب ذلك - فرق كبير بين مخ الطفل والطفلة بعد الولادة ، ولوحظ أن مخ الطفلة ينقص فى وزنه عن مخ الطفل بمقدار ٤٦جراماً ، ووجد أيضاً أن جميع الأبعاد التى تتبع مقياس أطوال المخ أقصر عند الطفلة منها عند الطفل بمسافة ٥ مليمترات و٩ مليمترات .

والاختلافات ليست قاصرة على الفرق بين وزن مخ الجنسين وحجمهما ، بل هنالك اختلافات أخرى ظاهرة فى شكل المخ : فالتعاريج والانخفاضات والارتفاعات التى على سطح مخ الطفل متعددة وأكثر كثرة واضحة مما هى عند الطفلة ، ويظهر هذا الاختلاف كذلك جلياً فى مخى الرجل والمرأة ، وعلى وجه عام فمخ المرأة أبسط فى تركيبه عن مخ الرجل .

وللتعاريج المذكورة علاقة مميزة لأنواع المخ الراقى ، فكلما تعددت وكثرت كان نوع المخ أرقى ، ولذلك نجد التعاريج قليلة نسبياً عند القردة ، وأكثر عند الإنسان .

والمادة الرمادية وهى التى تكثر فى المخ الراقى ، وأكثر فى مخ الرجل منها عند المرأة ، إلى ماهنالك من سائر الاختلافات فى الجهاز العصبى .

فتعالى : ﴿ الَّذِى أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ ﴾ (١) .

الاختلافات فى الوظائف العضوية

وتختلف المرأة عن الرجل فى الوظائف العضوية اختلافاً بيناً تبعاً للاختلافات التشريحية ، وهاك أهم هذه الاختلافات وأظهرها :

---

(١) سورة السجدة الآية : ٧ .

(أ) الطمثُ والحملُ والوضعُ والرضاعة :

فالطمث والحمل والوضع والرضاعة كلها خاصة بالمرأة دون الرجل، وقد جهز الله سبحانه وتعالى المرأة بالأجهزة التى تستدعيها هذه الوظائف .

(ب) الدورةُ الدمويةُ والدم :

وتختلف الدورة الدموية فى المرأة عن الرجل، فنبض قلب الرجل ينقص فى دقاته عن نبض المرأة، ومتوسط دقات قلب الرجل فى الدقيقة الواحدة ٨٤ يقابله فى المرأة ٩٤.

وفى حالة الحمل تختلف الدورة الدموية فى المرأة اختلافاً ظاهراً ناشئاً عن وجود الجنين الذى يحتاج إلى نظام خاص فى التغذية .

بل إن دم الرجل يختلف عن دم المرأة، من ذلك أنه فى المليمتر المكعب يحتوى دم الرجل على ٥ إلى ٥ر٥ مليون كرة دم حمراء، ويحتوى دم المرأة على ٥ر٤ إلى ٨ر٤ مليون .

وهيموجلوبين المرأة يبلغ من ١٢ - ١٤٪ ، وهيموجلوبين الرجل من ١٣ - ١٦٪، وكذلك ضغط الدم أقل فى المرأة من الرجل.

(ج) التنفس :

والمرأة تتنفس تنفساً صدرياً، وأكثر اتساع الصدر عند الشهيق يحصل فى الأضلاع العليا، وقد جعله الله تعالى كذلك، لأن المرأة فى أثناء الحمل لا يمكن أن يتمدد صدرها ناحية الجزء الأسفل العامر بالجنين، وأما الرجل فتنفسه بطنى أو حجابى.

والتبادل الغازى يختلف بين الذكر والأنثى : فالمرأة يتصاعد منها قليل من حمض الكربوليك، وتمتص من الأكسجين أقل من الرجل.

وتزداد حركة التنفس فى الفتاة لحد البلوغ، ثم تقف عن الزيادة إلى

سن اليأس ، ثم تزيد بعد ذلك ، وتزيد حركة التنفس نسبياً فى الحمل ، وكذلك يزيد التبادل الغازى .

(د) الميتابولزم الأساسى :

ويختلف كذلك الميتابولزم الأساسى فى الرجل والمرأة ، ويقدر فى الرجل بأربعين كالورى[1] فى كل متر مربع فى الساعة ، وفى المرأة بـ ٣٧ كالورى فى المتر المربع فى الساعة[2] .

(هـ) الصوت :

واختلاف صوت الرجل عن صوت المرأة راجع إلى اختلاف تركيب حنجرة كل منهما فصوت المرأة من نوع الجواب ، وهو كصوت آلة الكمان ، وأعلى صوت للمرأة هو : « السوبرانوا » ويقابله أعلى صوت للرجل وهو : « التينور » ، والفرق بين هذين الصوتين « أوكتاف » واحد ، ويأتى بعد ذلك الصوت المتوسط وهو : « كونترالتو » للمرأة و « باس » للرجل ، وطبيعى أنه توجد درجات مختلفة من الضعف والقوة بين هذه الأنواع المختلفة فى الرجل والمرأة .

(و) أثر الغدد اللاقنوية :

وتتأثر الوظائف الجنسية تأثيراً كبيراً بالإفرازات الداخلية للغدد المختلفة فى الجسم كالخصيتين والمبيضين ، وكذلك الثديان ، وكالغدة النخامية والدرقية والمحافظ فوق الكلى .

---

(١) **الكالورى** : وحدة طبية تدل على كمية الحرارة اللازمة لرفع لتر من الماء لدرجة واحدة مئوية .

(٢) عند اليابانى والصينى يقدر التمثيل بـ ٣٧ كالورى فى المتر المربع فى الساعة . وفى اليابانية والصينية بـ ٣٤ كالورى فى المتر المربع فى الساعة ، ويبلغ مقدار التمثيل للرجل فى سن التسعين إلى الموت بـ٣٧ كالورى فى المتر المربع فى الساعة كالأنثى ، وهذا من الأسباب التى تدعو الرجل فى هذا السن إلى فقد حرارته بسرعة ، وكذلك شعوره بالبرد بسرعة .

١ – الخصيتان [١] :

فالخصيتان لهما إفراز داخلى خاص له تأثير كبير فى نمو العضلات ، وفى تنبيه الميل الجنسى ، وفى إظهار علامات الرجولة الثانوية المختلفة ، كشعر الذقن ، والشارب ، والصوت وغيره مما تقدم الكلام عليه .

٢ – المبيضان [٢]:

والمبيضان وظيفتهما الرئيسية تكوين البويضات ، ولهما إفراز داخلى يعرف من علاقة إفراز البويضات بالحيض ومدته ويظهر تأثيره كذلك من نمو الثديين ، وأعضاء التناسل ، وسائر العلامات الثانوية للمرأة .

ولإفراز المبيض تأثير آخر على نمو العظام ، وقد وجد أن البنات اللاتى يبلغن الحلم ويحضن ، يقف عندهن نمو عظام الفخذين ، فإذا أتاهن الحيض مبكراً كانت أرجلهن قصيرة ، وإذا جاء متأخراً كانت أرجلهن طويلة ، وفى حالة عدم كفاية المبيضين نرى الفتاة وقد سمن أعلى فخذيها والمنطقة التى حولها فى دائرة الجسم .

٣ – الثديان :

وللثديين تأثير كبير فى زيادة حركة الدم فى أعضاء التناسل ، وإفرازها الداخلى ينبه إفراز المبيضين ، ويقاوم الضمور [٣] المبكر للرحم .

٤ – الغدة النخامية :

والغدة النخامية ، تقع فى السرج التركى أسفل الجمجمة تحت المخ ، وجزؤها الأمامى يساعد على إنماء العظام وأعضاء التناسل ، وخاصة أعضاء الذكر ، والجزء الخلفى وظيفته تنبيه العضلات غير الإرادية كالرحم

---

(١) الخصية : البيضة من أعضاء التناسل ، وهما خصيتان والجمع خُصًى .
(٢) المبيض : عضو التأنيث الذى ينتج البيضة .
(٣) ضمر : انكمش وانضم بعضه إلى بعض .

والشرايين، ويشترك فى تحويل الأغذية النشوية، ويساعد على نمو أعضاء التناسل فى الأنثى.

٥ – الغدة الدرقية:

وتقع الغدة الدرقية فى الجهة الأمامية من العنق، وأسفل الحنجرة، ولإفرازها الداخلى أثر كبير فى نمو أعضاء التناسل، وفى توزيع الشعر والدهن فى الجسم، وغدد العرق، ودورة البروتين، وكذلك فى بياض الأسنان.

ولهذه الغدة علاقة متينة بمبيض المرأة إذ أنه لا ينمو ولا يقوم بعمله الأكمل إلا بها، والمرأة أشد ما يكون احتياجاً لهذه الغدة فى وقت الحلم وفى مدة الحمل.

وللغدة كذلك علاقة بالتمثيل الغذائى، وبعض الأمراض الجلدية، وأمراض الطفولة، وتضخم اللوزتين، والعقلية الساذجة والتبول أثناء النوم.

٦ – المحافظ فوق الكلى:

وتؤثر قشرة المحافظ تأثيراً خاصاً على الأعضاء التناسلية [١].

وهكذا إلى غير ذلك من الاختلافات الفسيولوجية المترتبة على التركيب الجسمى للجنسين، فسبحان ﴿... **الَّذِى أَعْطَى كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾ [٢].

الاختلافات العقلية

والاختلافات الجسمية والوظيفية العضوية بين الرجل والمرأة، يقابلها اختلافات عقلية عميقة الأثر بعيدة الغور، فإن الصفات المتعلقة بأحدهما

---

(١) وأما لبها فيفرز الإدرنالين، وله علاقة بانتظام توتر عضلات الشرايين، وحركة الأغذية النشوية، وإفراز توكسيات الأغذية، وتقليل التعب والإجهاد.

(٢) سورة طه الآية: ٥٠.

تتحد جميعاً لتظهر تلك الشخصية التى يمتاز بها كل من الفريقين ، وتحدد الوظيفة الخاصة التى يقوم بها نحو المجتمع الإنسانى ، فالمرأة والرجل بذلك يختلفان فى المواهب العقلية اختلافهما فى الاستعدادات الجسمية [1] .

(أ) الاختلافاتُ فى الفكر :

تميل المرأة إلى الأفكار الواضحة المختصرة ، فتدرك أبرز الصفات الخاصة التى تتعلق بالأشياء المختلفة ، وتنقصها الدقة فى إدراك الكلى ، أو الإدراك المعنوى العام وهو عبارة عن التفكير الذى يتضمن إدراك المعانى العامة التى تنطبق على جميع أفراد نوع من الأنواع ، أو جنس من الأجناس .

ويرجع هذا النقص إلى :

أولاً : عدم التدقيق فى الملاحظة التى تدرك بها خواص الأشياء وصفاتها الذاتية والعرضية [2] .

ثانياً : عدم اهتمامها بالموازنة بين الأشياء لمعرفة أوجه التشابه والتضاد بينها [3] .

ثالثاً : عدم الدقة فى التجريد ، وهو انتزاع الصفات العامة المشتركة بين الأشياء ، وتكوين صورة عقلية عامة منها ، مع ترك الصفات العرضية .

رابعاً : أنها لعدم دقتها فى الملاحظة والفحص والتحليل ، ولعدم

---

(١) يجب أن أشير هنا إلى أننى أتكلم عن الرجل العادى والمرأة العادية ، ولست أعنى أولئك الرجال أو الشبان الذين ﴿ **إذا رأيتهم تعجبك أجسامهم وإن يقولوا تسمع لقولهم كأنهم خشب مسندة** ﴾ [المنافقون : ٤] ، الذين ﴿ **لا يكادون يفقهون حديثا** ﴾ [النساء : ٧٨] ، ولا يغرن الشاب شهادة عالية يحملها ، فكم من فتاة أعقل من كثيرين من أمثاله ! وما الشهادة إلا دليل على أن حاملها تعلم حرفة من الحرف ، وليست هى شهادة بذكائه وفطنته كما يتوهم .

(٢) وتشمل الملاحظة التجارب العلمية للوصول إلى حقيقة من الحقائق ، أو قاعدة من القواعد العلمية .

(٣) وتقتضى الموازنة التفكير فى المعلومات والتجارب السابقة ، والحقائق الموافقة أو المخالفة ، والنظر من جميع الوجوه ، لمعرفة الأسباب والمسببات ، والبحث عن النتائج .

اهتمامها بالموازنة ، ولعدم دقتها فى التجريد ، تراها تخطئ فى التعميم وهو إدخال ما يندرج من الأشياء تحت المدرك الكلى .

خامساً : وفى النهاية تعطى تسمية غير صحيحة للمدرك الكلى ليميزه عن غيره .

ومعنى ذلك أن الإدراك الكلى للمرأة ، أقل منه نسبياً فى الرجل ، فهى مثلاً أقل إدراكاً فى تفكيرها فى الثروة الكبيرة من المعانى التى تحملها كلمة (أم) فى جميع الأحوال كالتشجيع فى العمل ، والمواساة فى المرض ، أو المساعدة عند الحاجة ، والتوبيخ عند التقصير ... إلخ .

وإذا كانت الفتاة تدعى إدراك هذه المعانى كلها كالرجل ، فهل تدرك المعانى المتشبعة النواحى ، المترامية الأطراف ، التى تحملها لفظة « زوج » أو كلمة « زواج » التى نحاول شرحها فى هذا المؤلف ؟

وإنك لترى لفظة « زوج » فى ذهن المرأة ، صورة غير صحيحة للمعنى الحقيقى للكلمة ، فقد تسمى أى رجل تراه « زوجاً » باعتبار ما سيكون إذا تزوجها ، وهاهنا تخطئ فى التسمية ، إذ أنها تتصور الزوج : « إنساناً ذكراً ، مليح الوجه معتدل القوام ، حسن الملبس ، يجيب طلباتها ، ويخرس بزواجها منه ، ألسن عاذلاتها وحاسداتها » .

فهى تلاحظ فقط أبرز الصفات ، ولا تدقق فى سائر الصفات الذاتية والعرضية التى يجب أن تتوافر فى الزوج الحقيقى ، مما بيناه فى هذا الكتاب ، وترى ذهنها عاجزاً عن وزن هذا الذى تسميه زوجاً ، ومقارنته بماهية الزوج الحقيقى ، وإذا وازنت فميزانها ليس هو العقل بل العاطفة التى كثيراً ما تخطئ ، وعند التجريد تراها - وقد أغفلت المميزات العقلية التى يجب أن تتوافر فى الزوج الصالح ، وسائر الصفات النفسية السامية ، والعيوب البدنية المختلفة - تنبو عن الحقيقة الواقعة ، وتخطئ فى التعميم ، وحينئذ تخطئ فى التسمية وتسمى (زوجاً) من يصح أن يسمى « خنثى » مثلا .

والله تعالى يقول : ﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ﴾ [1] .

ومثل ذلك صورة (الرجل) فى ذهن المرأة ، فهى تسمى كل من له شارب مثلاً وله بعض الصفات الجسمية للذكورة (رجلاً) ، وقد يكون ممن حذر الله الناس أن يكونوا مثلهم فى قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [2] . وقوله : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴾ [3] .

ولذلك تسمع كثيراً أن تتزوج المرأة ، أو الفتاة سائق سيارة أبيها أو أحد خدمه من سَيِّئى الأخلاق ، وحسبك أنه أغراها ومثل لها دور الرجل العاشق المتيّم .

وتجد صورة كلمة « الزواج » فى ذهن المرأة صورة ممسوخة [4] لا تمت إلى معنى الكلمة بصلة ، وترى هذه الكلمة فى رأس أكثر فتيات اليوم كما يلى : (الوجود فى منزل أو شقة مع رجل يداعبها ، ويشترى لها أدوات الزينة ، والملابس الثمينة ، ويخرج معها للنزهة فى السينما والمسرح ، ويرافقها إلى الأهرام وإلى القناطر الخيرية وغيرها ، وتحيا فى شقتها أو منزلها مستقلة مثل فلانة أو علانة ، ويزورها صديقاتها فيرينَ عندها أثاثاً غالى الثمن يحسدنها عليه) .

ولذلك أمر الإسلام ألا تزوج المرأة نفسها ، بل يزوجها أبوها أو وليها ،

---

(١) سورة المنافقون الآية : ٤ .
(٢) سورة الأنفال الآية : ٢١ ، ٢٢ .
(٣) سورة الأنفال الآية : ٥٥ ، ٥٦ .
(٤) ممسوخة : مقلوبة ومحولة .

فهما فى الغالب أكثر منها إدراكاً لمعانى « الرجولة » و « الزواج » قال رسول الله ﷺ : « لا نِكاح إلا بولىّ » [1] وقال صلوات الله وسلامه عليه : « لا تُزَوِّجُ المرأةُ المرأةَ ، ولا تزوِّجُ المرأةُ نفسها » [2] وقالت عائشة رضى الله عنها : قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة نُكحتْ بغيرِ إذنِ وليّها فنكاحُها باطلٌ فإن دخل بها فلها المهر بما استحل من فَرْجها ، فإن اشتجروا فالسُّلطان ولىّ من لا ولىّ لها » [3] .

ولقد قرر الإسلام أن مستوى المرأة العقلى أقل من مستوى عقل الرجل التام الرجولة ، فى قول رسول الله ﷺ : « وما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن .... » [4] .

(ب) الحـكم :

والمرأة بحكم خلقها واستعداداتها ، لا يصح أن تكون حكماً فى مسائل هامة ، ولقد قال رسول الله ﷺ : « لنْ يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » [5] وقال : « هلكت الرّجال حين أطاعتِ النّساء » [6] .

والحكم يقصد به فى الحياة العامة الوصول إلى نتيجة معينة فى مسألة من المسائل ، أو قضية من القضايا ، كالحكم الذى يصدره القاضى على

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٨٥) ، والترمذى (١١٠١ ، ١١٠٢) ، وابن ماجه (١٨٨٠ ، ١٨٨١) ، وأحمد (٣٩٤/٤ ، ٤١٣ ، ٤١٨) ، والحاكم (١٦٩/٢) ، والدارمى (١٤٧/٢) .

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٨٨٢) ، والدارقطنى (٣٨٤) ، والبيهقى (١١٠/٧) .

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٨٣) ، وابن ماجه (١٨٧٩) ، وأحمد (٤٧/٦ ، ١٦٥) ، والحاكم (١٦٨/٢) .

(٤) أخرجه البخارى (الحيض ١٦) ، ومسلم (الإيمان ١٣٢) ، وأحمد (٦٧/٢) .

(٥) أخرجه البخارى (١٨٤/٣) ، والنسائى (٣٠٥/٢) ، والترمذى (٤٣/٢) ، والحاكم (١١٨/٣) .

(٦) أخرجه أحمد (٤٥/٥) ، والحاكم (٢٩١/٤) ، وابن عدى (١/٣٨) ، والمقصود : إطاعتهن فى مسائل ليست من اختصاصهن ، وإلا فعلى الرجل أن يشاور زوجه فى زواج ابنتها لأن لها رأياً فى ذلك وهو قول رسول الله ﷺ : « آمروا النساء فى بناتهن » رواه أبو داود والبيهقى . عن عبد الله بن عمر .

المتهم بإثبات التهمة عليه، أو تبرئته بنفيها عنه، فهو عملية عقلية، تنشأ عن مواجهة مشكلة من المشكلات، تستدعى الاستعانة بالمعلومات والتجارب السابقة للتفكير فى حل هذه المشكلة، والوصول إلى النتيجة أو الحكم. ومن أمثلة الحكم كذلك قول رسول الله ﷺ: «العرق دساس» [1] أى أن الذكاء والصفات الجسمية والنفسية تورَّث.

١ - مقتضيات الحكم:

ويتطلب الحكم ثلاثة أشياء:

أولاً: البحث والمناقشة فى الموضوع بالموازنة بين الحقائق، وفحص كل حقيقة فحصاً دقيقاً.

ثانياً: تحديد الدعوى والعمل على إظهار الحق من الباطل.

ثالثاً: الحكم الأخير الذى تظهر به الحقيقة، ويجمع هذا قوله تعالى: **﴿ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾** [2] وقوله: **﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً ﴾** [3].

والرجل أقدر على وضع الحكم من المرأة، وذلك لاتصال الحكم بالمدرك الكلى، وسيره معه جنباً إلى جنب، إذ لا يمكن الحكم على الشيء إلا إذا تصور وعرف، ولأن المرأة لا تتوافر فيها الصفات التى يجب أن تتوافر عند الحكم مما سيأتى بيانه بعد. وليس كل ذكر يمكن أن يحكم، فنحن لا نعنى إلا الرجل التام الرجولة، الكامل العقل، السليم النفس، المتين

---

(١) أخرجه ابن عساكر (٤٢/٢) ولفظه: «تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس» وروى التخير فى أحاديث صحيحة.

(٢) سورة النحل الآية: ١١١.

(٣) سورة الكهف الآية: ٤٩.

الأخلاق ، وهنالك أمثلة كثيرة على خطأ الأشخاص فى الحكم ، من ذلك ذكرهم الله فى قوله : ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ * أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثاً وَهُمْ شَاهِدُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ * وَلَدَ الله وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ * مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾[1] وقوله : ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ * أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ * إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ * أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ * سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ * أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ فَلْيَأْتُوا بِشُرَكَائِهِمْ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾[2] .

٢ - أنواع الحكم :

وللحكم أنواع : فإن اكتسب بالتجربة العقلية سمى عملياً ، وإن اكتسب بالنظر والاستدلال سمى عقلياً أو إدراكياً ، وإن كان واضحاً لا يحتاج إلى تفكير سمى بدهياً ، وإن كان مقصوراً على فرد معين سمى خاصاً ، وإن شمل جميع الأفراد سمى حكماً عاماً ، وإن شمل بعضهم سمى جزئياً ، وإن عرف بطريق التحليل سمى تحليلياً ، أو بطريقة التركيب سمى تركيبياً .

وليس هناك مجال لتفصيل كل هذه الأنواع ، ولكننا نتكلم عنها بشكل عام محاولين تبسيط الموضوع ، حتى يتيسر الفهم ، ويعلم المراد بما نعنى به من الموازنة بين الرجل والمرأة فى الاستعدادات العقلية ، وقدرة كل منهما على الفهم أو التفكير الراقى ، متخذين كما أشرنا من قبل ، الجنسين الصحيحين نموذجاً لما نرمى إليه .

٣ - أهمُّ الصفات التى يجب أن تحقق عند الحكم :

إن أحكام الإنسان كأفكاره تختلف فى درجة الصواب والخطأ ،

(١) سورة الصافات الآيات : ١٤٩ - ١٥٤ .
(٢) سورة القلم الآيات : ٣٤ - ٤١ .

والكمال والنقص، ويختلف الناس فى حكمهم لاختلافهم فى عقولهم، وميولهم، وبيئتهم. وإذا تكلمنا على وجه عام، نجد مستوى الحكم عند الرجل أعلى منه عند المرأة، وذلك لتوافر الصفات التى يجب أن تتحقق عند الحكم فى الرجل أكثر من المرأة، وإليك البيان:

أولاً: الوضوح:

فالمدركات الكلية التى يتكون منها الحكم أوضح عند الرجل وأسباب الخفاء والغموض فى الحكم عند المرأة هى:

الخفاء فى العبارة وعدم تحديدها: فالمرأة لا يدرك عقلها إدراكاً تاماً، أى أن عقلها أقل نسبياً من عقل الرجل فى إدراك كل ما يتعلق به الحكم من محكوم عليه، ومحكوم به، والرابطة بينها.

ضعف الذاكرة: والمرأة كذلك أضعف ذاكرة من الرجل، وعقلها يصعب عليه أن يستحضر صفات الشيء ومميزاته، وأن يتذكرها، وهى تنسى كثيراً من الحقائق بعد تركها، فلا تدركها إدراكاً جلياً واضحاً، ولذلك تخطئ فيها إذا سئلت عنها، ولقد ذكر الله تعالى هذه الصفة عند المرأة فى قوله: ﴿**وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى**﴾ [١].

تغلب العاطفة والوجدان على العقل فى أثناء الحكم: ومن أسباب خفاء الحكم كذلك، تغلب العاطفة والوجدان فى المرأة على العقل فى أثناء تأدية الحكم، مما يكون عقبة فى سبيل ملاحظة الشيء ملاحظة دقيقة، وتمييز الأفكار بعضها من بعض، فيؤدى ذلك إلى المبالغة، بل الخطأ فى هذا الحكم الذى يصدر تحت تأثير العاطفة القوية والمرأة كما سيأتى فى

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٨٢.

الاختلافات النفسية هى حاملة لواء العاطفة، فهى بلا شك تحكم تحت تأثيرها، فيدعوها ذلك إلى أن تبدل الحق باطلاً والباطل حقاً، إذ تقف فى صف المحبوب، أو تحكم على العدو، ولو خالف هذا سلطان العقل، والله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ...﴾[1].

ثانياً: الدقة:

والمرأة لا تتوافر فيها الدقة عند حكمها مما يؤدى إلى التساهل فيه ويرجع هذا إلى الأسباب الآتية:

١ - عدم دقتها فى الملاحظة وخطؤها فى الاستنباط للإهمال، أو لقلة التجارب.

٢ - تغلب عاطفتها ووجدانها كما قدمنا.

٣ - نقص تجاربها، وجهلها بالحياة الاجتماعية، وبالظروف التى تحيط بالمتهم والبيئة التى يعيش فيها.

٤ - إهمال المرأة غالباً للنظم والقوانين التى يجب ملاحظتها عند الحكم.

ثالثاً: عدم التردد فى إصدار الحكم عند الوصول إلى النتيجة:

والمرأة تتردد فى الحكم عند وصولها إلى نتيجة وتتنازعها الميول المختلفة، وتتسيطر عليها، وقد تتسرع فى إبداء الحكم، فتخطئ فيه، لعدم ترويها، وتفكيرها فى القضية وظروفها، والبواعث التى أدت إليها، وفى نفسية المجرم، والشهود، والتفكير فى الشهادة، وهل هى تتفق مع العقل والمنطق أم لا، إلى غير ذلك من الأمور التى يجب ملاحظتها فى الحكم.

رابعاً: ثبات الحكم واستقراره:

والمرأة تكثر التردد فى حكمها، وتناقض نفسها فى حكمها على

(١) سورة الأنعام الآية: ١٥٢.

الأشياء، وقيمتها، لقلة تجاربها، ونقص تكوينها العقلى، فلذلك تحكم بشىء اليوم وبضده غداً، وقد يكون ذلك كذلك لسهولة إقناعها، ولقبولها ما يلقى عليها من الآراء، وتأثرها بأفكار من يحيطون بها.

ولسنا نعنى بثبات الحكم أنه لا يصح أن يتغير مطلقاً، فالأحكام قابلة للتغير، بحسب التأثيرات والظروف الجديدة، والتطورات فى الآراء والقوانين، والاختراعات، ولا نعنى بالثبات كذلك العناد أو المكابرة فى الحكم. والمرأة إذا ثبتت فى الحكم فيكون هذا فى الغالب مكابرة وعناداً، فحكمها: إما أن يكون متقلباً غير ثابت، أو يكون عناداً بغير حق، وقلما يكون وسطاً بين الحالتين.

خامساً: الاستقلالُ فى الرأى مع احترام آراء الغير:

والمرأة كثيراً ما تثق بكل ما يقال لها من غير أن تفحصه وتزنه بميزان العقل والعدالة، أو ترفض آراء غيرها، وتستخف بمعتقداتها غروراً وعناداً، وفى الوقت نفسه قلما نجد لها رأياً مستقلاً مقاماً على دعائم صحيحة صالحة.

سادساً: العلم بالشىء:

ولا يستطيع المرء أن يحكم على الشىء حكماً صحيحاً، إلا إذا كان على علم به وخبرة، ولقد بينا كيف أن المرأة لا يكون فى الغالب علمها دقيقاً كاملاً يتناول كل نواحيه، لعدم استعدادها للاندماج التام فى المجتمع بحسب تركيبها وطبيعتها كما يتبين فى هذا المبحث.

ولعدم قدرة المرأة على إبداء الحكم الصحيح وتقريره، وخوفاً من خطئها فى التطبيق، أمرها الإسلام أن ترضخ لحكم رجلها وأن تطيعه فى أمره، وقد ذكر رسول الله ﷺ أن خير النساء للزوج التى (تطيعه إذا أمر)[1] ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «إذا صليت المرأةُ خمسها،

(١) أخرجه ابن ماجه (١٨٧٥) بلفظ: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً من امرأة صالحة، إن نظر إليها سرته، وإن أمرها أطاعته وإن غاب عنها حفظته، وإن أقسم عليها أبرته» ومعناه صحيح.

وصامتْ شَهْرها ، وحفظتْ فَرْجها ، وأطاعتْ زَوْجها ، قيل لها ادخلى من أى أبواب الجنة شئت »[(1)] وقوله عليه الصلاة والسلام : « ألا إن النارَ خلقتْ للسفهاء، وهنَّ النِّساء ، إلا التى أطاعتْ بَعْلَها »[(2)] .

(ج) الاختلافاتُ فى الاستنباط :

والاستنباط هو التفكير المنظم ، أى المراعى فيه القوانين والقواعد العلمية ، وهو عملية عقلية يراد بها الوصول إلى قاعدة مجهولة ، أو قانون جديد ، بدراسة حقائق أخرى معلومة تكون مؤدية إلى هذه القاعدة المجهولة ، وفيه نستدل بالمعلوم على المجهول وبالمحس على المعقول ، فهو بذلك أرقى أنواع التفكير .

والمرأة العادية ، أقل قدرة من الرجل العادى فى البحث عن النتائج لاستنباطها ، إذ يعوزها صفاء الذهن وقوة الملاحظة ، والنظر بعين العدالة ، والصبر على المقدمات حتى تدرك الصلة الحقيقية بينها .

ولما كان الاستنباط بشكله الأعلى (وهو الاستنباط المنطقى) لا بد أن يسبق بالحكم ، ولما كان حكم المرأة كما قدمنا يغلب فيه الخطأ ، فاستنباطها يصبح خطأً تبعاً لذلك .

قد تحكم المرأة على صورة ما فتقول إن (هذه الصورة ليست جيدة) وقد تكون الصورة ليست جيدة فعلاً ، ولكن هل مجرد هذا الاتفاق دليل على صحة الحكم؟ إن حكم المرأة على الصورة جاء من ناحية العاطفة ، كعاطفة محبة الجمال وسلامة الذوق ، ولكنها من ناحية العقل يكون استنباطها للأحكام الضمنية قليلاً أو ضعيفاً ، إذ يستطيع الرجل أن يستنبط أحكاماً أكثر وأدق كقوله : الرسم ردىءٌ ، الظل خفيف ، لا تناسب فى الصورة بين هذا اللون وذاك ، إن ما نراه فى الطبيعة يخالف ما نراه فى هذه

---

(1) أخرجه ابن حبان (١٢٩٦) ، وابن عساكر (١٥٩/٢) .
(2) أخرجه الطبرانى (٢٦٢/٨) .

الصورة إلى غير ذلك من الأحكام المختلفة التى يمكن ملاحظتها عند رؤية الصورة .

والاستنباط نوعان : الاستنباط الاستقرائى ، والاستنباط القياسى .

الاستنباط الاستقرائي : هو الطريق الطبيعى فى التفكير حيث يبتدئ العقل بملاحظة الأمثلة أولاً للوصول منها إلى القاعدة ، ففيه يسير العقل من المحس إلى المعقول ، ومن الخاص إلى العام ، ومن الجزئى إلى الكلى ، فالحركة الفكرية فيه تصاعدية ، وهو أحسن وسيلة للابتداع والاختراع ، وهو بمثابة التركيب .

فالاستقراء يؤدى إلى وضع الحقائق والقواعد العامة ، وتحديدها كقوله تعالى : ﴿ **فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ** ﴾ (١) وقوله : ﴿ **يـٰأيُّها الَّذِين آمَنُوا إنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأنْصَابُ والأزْلَامُ رجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ** ... ﴾ (٢) وقوله : ﴿ **كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ** ﴾ (٣) .

وعقل الرجل يؤهله أكثر إلى هذا النوع من التفكير ، وقد وصف العالم (هيلموتز) (٤) المخترع الكبير الطريقة التى كان يخترع بها فقال : (إنه كان يزود نفسه فى الصباح بكل ما يستطيع حمله من المعلومات التى يمكنه جمعها عن المادة التى يبحث فيها ، وبعد الظهر كان يخرج للتنزه والمشى فمن غير أى مجهود يقوم به كانت هذه الحقائق والمعلومات المختلفة تتجمع لديه بشكل جديد ، وتوحى إليه بتفسيرات وحقائق جديدة لم يفكر فيها هو أو غيره من قبل) .

ومع ذلك فقد يعجز العالم البحاثة عن رؤية النتائج بوضوح ، وقد

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٤ .
(٢) سورة المائدة الآية : ٩٢ .
(٣) سورة الرحمن الآية : ٢٦ .
(٤) **هيلموتز** : طبيب وكميائى وفيزيقى هولندى . له الفضل فى إدخال كلمة (غاز) بمعناها العلمى المعروف الآن .

لا يكون العالم حاضر البديهة ، فلا يستطيع أن يرى الحقائق التى تستدعيها الفروض .

هذا شأن بعض العلماء! فما بالك بالآلاف من ناقصى الرجولة ، ضعاف العقول أدعياء التفكير ، ممن تسمو المرأة الكاملة الأنوثة بعقلها عنهم ، وتفكر أحسن من تفكيرهم ، وتحكم أحكاماً خيراً من أحكامهم ، وتستنبط ما لا تصل إليه رءوسهم الخربة الجوفاء .

والاستنباط الاستقرائى الحسن يقتضى عناية كبيرة ، وصبراً كثيراً فى البحث ، ودقة فى التحليل ، وعناية بالنتائج ، ومعرفة الأمور الجوهرية من العرضية ، ويتطلب كذلك قوة مدربة على الملاحظة .

واختبار الحقائق وفحصها فحصاً دقيقاً يقتضى أمرين :

١ - أن يكون هناك عدد كاف من الأمثلة والتجارب لفحصها .

٢ - التحليل الدقيق للبحث عن النتائج التى تلاحظ فى أثناء التجربة والأمثلة التى تقدر عليها المرأة قليلة وغير كافية ، مما يؤدى إلى التسرع فى التعميم واحتمال الخطأ فى النتيجة ، كما يحدث حين تقول المرأة : (زوجى ظالم) مستنبطة ذلك من حالة أو أكثر من الحالات التى حدثت لها وأدت إلى لومها وتوبيخها ، ناسية مثلاً الذنب الذى أتته والإهمال الذى ارتكبته تأمل قول رسول الله ﷺ : « أُريتُ النارَ فإذا أكثرُ أهلها النساء يكفرنَ . قيل : أيكفرن بالله ؟ قال : يكفرن العشير ، ويكفرن الإحسان ، لو أحسنتَ إلى إحداهنَّ الدهرَ ثم رأتْ منك شيئاً قالت : ما رأيتُ منك خيراً قط » [1] .

الاستنباطُ القياسى (والاستدلال) :

والاستنباط القياسى بعكس الاستقرائى ، فالثانى تكون الحركة الفكرية فيه تصاعدية ، والأول تكون الحركة الفكرية فيه تنازلية ، إذ يبتدئ فيه العقل بفحص القواعد العامة وملاحظتها للتحقق والتثبت منها ، لمعرفة ما إذا كانت

(١) رواه البخارى (٢٩) .

صوابًا أو خطأً، وذلك باختبار الجزئيات التى تدخل تحت القاعدة العامة. ففيه ينتقل العقل من المعقول إلى المحس، ومن العام إلى الخاص، ومن الكلى إلى الجزئى فالحركة الفكرية فيه تنازلية، وهو بمثابة التحليل والبرهنة كاستنباط سقراط من القاعدة العامة التى وضعها وهى قوله: (العلم فضيلة): أن (الشرير هو الجاهل وأن الإنسان ليس شريراً باختياره). ومثل الاستقراء كذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [1] وقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ﴾ [2] يستنبط من هذه القاعدة العامة أن الرسول ﷺ يموت وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ﴾ [3] وأن الناس تموت وهو قوله: ﴿وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [4].

هذا: والمرأة أقل قدرة على القياس من الرجل بوجه عام.

(د) التعليل:

والتعليل هو عملية عقلية يراد بها ذكر السبب وربطه بالمسبب، وشرح الأحكام الطبيعية وغيرها لتوضيحها أو تثبيتها، أو التحقق منها والرجل يفوق المرأة نسبياً فى قوة التعليل، وينشأ هذا من قلة تجاربها، أو لخطئها فى تشبيهاتها، أو لسوء فهمها لشرح الحوادث والأشياء التى تراها، وكثيراً ما تخطئ فى تعليلها لتسرعها فى الحكم لأقل مشابهة، ولرغبتها فى معرفة السبب فتعلل تعليلاً غير صحيح.

ولقد حضنا الله تعالى على التفكير فى مخلوقاته وطلب منا محاولة تعليل ما يقع تحت أعيننا، ويحيط بنا من الأحكام الطبيعية، والموجودات الكونية. من ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِى تَجْرِى فِى الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا

---

(١) سورة الرحمن الآية: ٢٦.

(٢) سورة القصص الآية: ٨٨.

(٣)، (٤) سورة الزمر الآية: ٣٠.

أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِها وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ (١) .

ومن أمثلة التعليل ما يراد من السؤال الآتى : لِمَ أرى القمر يبدو أحياناً صغيراً ، وأحياناً كبيراً ؟ وقد سأل الناس الرسول ﷺ هذا السؤال فأجابهم عنه بما يهمهم منه لعدم استعدادهم لفهم علة ذلك . قال تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالحَجِّ ... ﴾ (٢) .

وحين نذكر أن قوة التعليل فى المرأة أقل من الرجل ، فلسنا نعنى بهذا طبعاً أنها لا تستطيع التعليل مطلقاً . فهنالك من المسائل الكثيرة التى شغلت العلماء ولا تزال تشغلهم لتعليلها كقول الفلاسفة (من أنا ؟) و (هل أنا مسير أم مخير ؟) ... إلخ .

وهنالك كثير من ضعاف العقول ، لا يستطيعون تعليل البدهيات ، كمن يعللون إعجاز القرآن وبلاغته بكونه سحراً ، أو شعراً ، أو قول كاهن . قال تعالى : ﴿ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلاً مَسْحُوراً * انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ (٣) ﴿ كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴾ (٤) وقوله : ﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَا تُؤْمِنُونَ * وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٦٤ .

(٢) سورة البقرة الآية : ١٨٩ . ولا يخفى أن فى هذه الآية الكريمة مثال عال بلفت نظرنا إلى وجوب الإجابة على كل سؤال بما يتناسب عقلية السائل ، فقد يسأل الولد الصغير أمه : أين كنت ؟ فتقول : فى بطنى . فيسألها وكيف خرجت ؟ وهنا يجب أن تراعى الحكمة معه فى الإجابة بلغة تناسبه مع مراعاة الأدب واللياقة . تقول الكاتبة الإنجليزية : (جورج إيليت) : إذا ذكرت لطفلك البرهان على كل شىء جعلته وحشاً غريب الخلقة .

(٣) سورة الإسراء الآيتان : ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) سورة الذاريات الآية : ٥٢ .

العالَمِينَ ﴾ [1] وقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ ﴾ [2] .

(هـ) التفكيرُ الراقى :

والرجل تفكيره من النوع الراقى ، وأفكاره أقرب إلى الصواب لخبرته واطلاعه وتجاربه في الحياة ، ولا يعد الرجل رجلاً ذا عقل إلا إذا كان يفكر فيما يقول وما يفعل ، مُحَكِّماً العقل والمنطق والتجربة ، معتمداً على نفسه فى بحثه وتفكيره ، حتى يصل إلى الحقيقة المنشودة ، ولا يعارض فى الاستعانة بتجارب غيره إن وجدت ، ويجمع الحقائق والملاحظات التى يمكن استخدامها فى تفكيره للوصول إلى غرضه .

والمرأة - ويشاركها فى ذلك عدد كبير من الذكور - تتغلب عليها العاطفة فى أفعالها ومناقشاتها ، فتنقاد لها أكثر من انقيادها إلى التفكير فتصغى إلى وجدانها أكثر من إصغائها إلى عقلها ، ولا تعمل بآراء غيرها إلا إذا وافقت طباعها ورغباتها وميولها .

ويوجد بجانب هذا صنف آخر من الذكور والإناث على حد سواء يعتمدون على غيرهم فى تفكيرهم ، وقلما يفكرون بأنفسهم ، ولكنهم يفكرون بفكر غيرهم من الآباء والأجداد والأساتذة ، ويوافقونهم فيما يبدونه من الآراء ، ولا يكلفون أنفسهم بحثاً أو تفكيراً ، بل يقلدون غيرهم فى أفكارهم تقليداً غير مصحوب بفحصٍ أو نقد أو تمحيص ، ومثل هذا النوع من الناس - ذكوراً وإناثاً - إذا لقنوا خطأً أو شراً قلدوه بحذافيره وآمنوا به ، وقد حكى القرآن عن مثل هؤلاء فقال تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ الله قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ ما أَلْفَيْنَا عَلَيْه آبَاءنَا أَو لو كانَ آباؤُهُم لا يَعْقِلُونَ

---

(1) سورة الحاقة الآيات : ٤١ - ٤٣ .

(2) سورة النحل الآية : ١٠٣ .

شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [1] ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ [2] .

وبذلك يقعون فى شر أعمالهم ، ولا ينفعهم بعد ذلك الاعتذار والندم . قال تعالى : ﴿ ... وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ . قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴾ [3] .

وقوله تعالى : ﴿ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعاً فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعاً فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ . وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [4] .

وعامة الناس وأغلبهم من هذا الضرب وهذا النوع من التفكير . وإذا وقع من لهم هذه الصفة من التقليد تحت تأثير الصالحين من الأساتذة والزعماء والقادة المصلحين ، صلحوا ونجوا .

وهناك نوع آخر من الناس - ذكوراً وإناثاً - يضيق عقلهم فيفكرون بأنفسهم ، ولكنهم لا يقبلون آراء غيرهم مطلقاً . والإسلام لا يقبل هذا النوع من الناس ، فمبدؤه الشورى . قال تعالى لرسوله صلوات الله وسلامه عليه :

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٧٠ .
(٢) سورة الصافات الآيتان : ٦٩ ، ٧٠ .
(٣) سورة سبأ الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .
(٤) سورة إبراهيم الآيتان : ٢١ ، ٢٢ .

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[1] وقال عن المسلمين: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾[2].

الاختلافاتُ النَّفسية

وسنتكلم هنا عن الاختلافات النفسية بين الرجل والمرأة: كالوجدان، والإحساس، والانفعالات، والعواطف، وسنتناول كل واحدة، ولو أنها تتصل جميعاً ببعض اتصالاً وثيقاً، وترتبط ببعضها ارتباطاً محكماً.

(أ) الوجدان والإحساس:

وللوجدان أهمية كبرى، إذ أنه هو المسيطر على السلوك الإنسانى، فهو يبين لنا الفرق بين سلوك المرأة وسلوك الرجل.

ويمكن تعريف الوجدان بأنه الشعور باللذة أو الألم. فالسرور والراحة، والرضا والتفاؤل، حالات وجدانية تدخل تحت اللذة، والحزن والقلق والسخط والتشاؤم تدخل تحت الألم، وللوجدان علاقة بالإحساس، ويظهر هذا من قولك: إن هذه الصورة سارة، وذلك الطعام لذيذ، وتلك الرائحة ذكية أو كريهة، ولكنك يمكنك التفرقة بين الوجدان والإحساس، فترى أنك إذا تناولت جزءاً صغيراً من طعام شهى شعرت بشىء من اللذة، وإذا تناولت كمية أكبر زاد شعورك باللذة. وكذلك ترى شعورك بالسرور يختلف باختلاف روائح الأشياء، فالسرور بشم الورد يختلف مثلاً عن السرور بشم الفل بل نرى أنه كلما طال إحساسك بالأشياء السارة زاد سرورك حتى يبلغ أقصاه، ثم يأخذ فى النقصان حتى يزول وهكذا، فموضع الإحساس هو الحواس الخاصة، أو العامة. وأما موضع الوجدان فهو النفس[3] ولذلك تجد الأشخاص المتساوين فى القوة الإحساسية، يختلف

---

(١) آل عمران الآية: ١٥٩.

(٢) سورة الشورى الآية: ٣٨.

(٣) يقول علماء النفس إن موضع الوجدان العقل وهذا خطأ حسب نظريتى التى أخالف بها جميع العلماء وعندى أدلتها.

وجدانهم باختلاف بيئاتهم، وتربيتهم، وتجاربهم. ولسنا نريد هنا الذهاب إلى أكثر من ذلك، ولكن ما يعنينا هنا هو الفرق بين وجدان المرأة ووجدان الرجل. وللتفرقة بينهما نرانا مضطرين أن نتخذ أسباب الوجدان أو متعلقاته أساساً لبيان نوع الوجدان فنقسمه إلى حسى ومعنوى:

١ - الوجدان الحسى:

والوجدان الحسى هو إحساس مؤلم أو لذيذ. وهو إما أن يكون حسيًّا خاصاً، أو حسيًّا عاماً.

الوجدان الحسى الخاص: والوجدان الحسى الخاص ينشأ عن تأثر إحدى الحواس الخمس مباشرة بمؤثرات خارجية. والفرق بين الرجل والمرأة فى هذا النوع من الوجدان، أننا نجد حواس المرأة الخمس أكثر تأثراً وأسرع إحساساً من الرجل إذا وقعت تحت مؤثر خارجي واحد: كالسرور بشم رائحة طيبة، أو سماع نغمة موسيقية خاصة، أو رؤية منظر سار، أو التألم لرؤية صورة بشعة، أو منظر قبيح.

الوجدان الحسى العام: وأما من حيث الوجدان الحسى العام، الذى يرجع الإحساس فيه إلى أعصاب الحس الباطن المتصلة بالمراكز السفلى، وهى: المخيخ، والنخاعان، والعظم السمبساوى، فالمرأة أكثر شعوراً بالجوع، والعطش، والشبع، والرى، والتعب، والراحة، وغير ذلك من الآلام التى تنشأ عن تأثر أحد الأعضاء الباطنية: كالقلب، والرئتين، والكبد، والكليتين.

٢ - الوجدان المعنوى:

والوجدان المعنوى إما مطلق أو مقيد:

الوجدان المطلق[1]: فمن حيث الوجدان المطلق ترى المرأة أشد من الرجل شعوراً بالخوف، والغضب، والاشمئزاز، والتعجب، والخجل،

(١) الوجدان المطلق يكون فى العادة عنصراً من عناصر إحدى الغرائز، ويسمى الانفعال.

والغيرة، والحسد، والحقد، وسيأتى بيان ذلك فى حينه .

الوجدان المقيد[1] : ومن ناحية الوجدان المقيد ترى المرأة أشد إحساساً وشعوراً بمحبة الأهل والوطن، وكراهة الظلم، والخوف من عمل القبيح، وسيأتى شرح هذا عند الكلام فى العاطفة .

(ب) الانفعالات :

والحالة الانفعالية فى أظهر حالة نفسية يتجلى فيها الوجدان بأجلى مظاهره وهى أظهر - على وجه عام - فى المرأة منها فى الرجل . وإذا ذكرنا الحالة الانفعالية، فنعنى بها كل وجدان يمتاز بالشدة، ويكون فطرياً شعورياً متعلقاً بشىء يدركه الإنسان إدراكاً حسيًّا، أو يتصوره، أو يتذكره، وتصحبه ثورة حسية عقلية عامة .

والفرق بين الرجل والمرأة فى الانفعال، أن الرجل يحكم عقله فى الانفعال، ولا يستسلم له، ويكيف انفعاله ويتحكم فيه، بحيث يوجهه إلى طريق الخير، ويساعده على الفوز والنجاح، ويعاونه على إخضاع الظروف المعارضة، وتذليل صعوبات الحياة، والتغلب عليها، فإذا لم يكن الرجل عاقلاً، قوى الإرادة، وجهته انفعالاته إلى ما يجلب له الخزى، والعار، والمرض، والحزن المستمر، والفشل الدائم، ويمكن لسهولة الشرح أن تقسم الانفعالات إلى بسيطة، ومركبة، ومشتقة .

١ - الانفعالات البسيطة :

والانفعالات البسيطة تتكون من عنصر واحد، ومن أمثلتها :

الحزن : فالحالة الانفعالية للحزن عند المرأة، أكثر وضوحاً، وأشد جلاء، ويرجع هذا من وجه، إلى شدة إحساس المرأة كما قدمنا، وقوة وجدانها، فترى المرأة تظهر عليها علامات الحزن أكثر من الرجل عند وفاة

---

(١) ويسمى بالعاطفة .

ولدها مثلاً ، أو أبيها ، أو زوجها ، وسائر من تحب .

الخوف : وكذلك تلاحظ أن المرأة تتأثر وتشعر بالخوف أكثر من الرجل ، وتظهر عليها الحالة الانفعالية أوضح مما تظهر عليه .

الغضب : وغضب المرأة أشد من غضب الرجل ، وهى تستسلم للغضب وتقع فى أشد حالاته ، ولذلك تطلب المرأة الطلاق فى حالة غضبها ، ولهذا لم يعط الإسلام الطلاق للمرأة إلا فى حالات خاصة ، لتحكم الانفعالات فيها .

وترى الرجل إذا تضاربت بعض الميول الانفعالية فيه ، كان أقوى على حلها والتغلب عليها ، وأما المرأة إذا أغضبها من تحب ، فغضبها يستدعى غضبها عليه ومهاجمته ، ومحبتها له تقتضى عطفها عليه ومسامحته ، وحينئذ يحدث التضارب فلا تستطيع حل هذه العقدة ، مثل ما يحلها الرجل .

الفرح : والمرأة كذلك أشد إحساساً بالفرح من الرجل ، وتظهر عليها الحالة الانفعالية أوضح وأظهر .

الشفقة : وكذلك شعور المرأة بالشفقة أشد ، وانفعالها به أكثر وضوحاً وظهوراً .

٢ – الانفعالات المركبة :

والانفعالات المركبة ما تحتوى على أكثر من انفعال واحد ، ومن أمثلة ذلك :

١ – **الاحتقار** : ويحتوى على الاشمئزاز والأنفة .

الازدراء : ويحتوى على الغضب والاشمئزاز ، وقد يضاف إليها الأنفة والاعتزاز بالنفس .

المقت أو الفزع : ويحتوى على الخوف والاشمئزاز ، وذلك كما

يحصل عند رؤية بعض الحيوانات كالفئران والصراصير والخنافس.

الإعجاب: ويحتوى على الاستغراب واستصغار النفس، ولذلك تعجب المرأة بالرجل لشعورها بضعفها أمامه، كما يعجب الضعيف بالقوى، وكما تعجب الأمة المحكومة بالأمم الحاكمة، وكما يعجب بعض الشرقيين بالأجنبية ويتزوجها إعجاباً بعنصرها الأوروبى.

البهت أو الدهش: ويتكون من الإعجاب والخوف.

التوبيخ: ويتكون من الشفقة والغضب.

الإكبار والإجلال: ويتكون من الإقرار بالجميل والبهت.

الإقرار بالجميل: ويتكون من انجذاب قلبى نحو صانع المعروف واستصغار النفس.

العطف والرأفة: ويتكون من الشفقة والمواساة – أى المشاركة فى الضيق والألم – إلى غير ذلك من الانفعالات التى يظهر أثرها واضحاً فى المرأة أكثر من الرجل.

٣ – الانفعالات المشتقة:

والانفعالات المشتقة، كغيرها من الانفعالات، ولكنها تظهر أثناء سير نزعة من النزعات، أو ميل من الميول القوية فى طريقها، وهى أوضح وأشد فى المرأة، ويمكن تقسيمها إلى قسمين:

١ – **انفعالات الرغبة المنتظرة**: كالثقة، والأمل، والقلق، واليأس، والقنوط، ويمكن توضيح ذلك، بأن نفرض امرأة غنية مالت إلى فرد ميلاً شديداً، وأظهرت له هذا الميل، فطمع فى مالها، فطلب زواجها، وهو يخفى عنها نواياه، متملقاً[1] لها ممثلاً لها دور المحب، فشعرت بثقة فى

---

(١) الملاق: الذى لا يصدق وده.

نفسها فتزوجته ، فسرعان ما يظهر بمظهره الحقيقى ، فيأخذ فى التبذير فى أموالها ، ومع ذلك لا تيأس منه ، بل يكون لديها أمل فى نجاح حياتها الزوجية ويمتزج تبذيره بمصاحبة بعض النساء ، فيعتريها القلق ، وينصرف عنها فيتحول القلق إلى يأس ، ثم يطلقها بعد أخذ مالها ، فيتحول اليأس حينئذ إلى قنوط ، وشعور المرأة فى مثل هذه الأمور أشد من شعور الرجل .

٢ - انفعالات الرغبة الماضية : وهذه كالندم ، وتوبيخ الضمير ، ، والأسف ، أو الحزن ، والحقد ، فالمرأة حين يطلقها زوجها لسوء أخلاقها ، تشعر بالندم ، وتدرك تقصيرها معه ، وسوء عملها ، فيوبخها ضميرها ، فترجع متقربة إليه ، ليردها ، فيأبى ، فتشعر بالأسف أو الحزن ، ويتزوج غيرها فيملكها الحقد ، إلى غير ذلك .

وأما الرجل بما له من العقل ، يمكنه أن يسيطر على انفعالاته وسنبين فيما بعد ، كيف يمكن الإنسان أن يضبط انفعالاته إذا اتبع تعاليم القرآن الكريم ، وسار على تعاليم الإسلام ، وسترى حينئذ أن استعدادات الرجل فى ذلك أقوى من استعدادات المرأة .

(ج) الحالة المزاجية :

والحالة المزاجية هى الحالة التى تلى الانفعال بعد زوال المؤثر له ، وتجد انفعال المرأة سريع الظهور ، سريع الخمود والزوال ، فهى تغضب منك بسرعة لأدنى سبب ، ويزول غضبها كذلك بأوهى سبب ، وأقل المؤثرات يبكيها وأقلها كذلك يضحكها ، وذلك لأنها ينقصها التفكير والروية وضبط النفس ، فهى تخضع لتجاربها الحسية الوقتية ، المرتبطة ببيئتها الحاضرة ، لا للفكر ، والنظر فى المستقبل ، ولذلك كانت حالتها المزاجية سريعة الزوال كذلك ، ولكن بالرغم من ذلك قد تطول الحالة المزاجية فى المرأة ، لكبتها الانفعال ، وعدم تمكنها من إظهاره فى بعض الأحيان إذا أغضبها زوجها مثلاً وهى تخشى بأسه وتهاب بطشه ، ولم تجد الفرصة لإظهار غضبها حقيقة ، فقد تنزوى بعد خروج زوجها وتأخذ فى البكاء ، ولكنها إذا لم تستطع

ذلك، ومنعتها الظروف من إظهار حالتها، انتقل انفعالها إلى اللاشعور، وظهرت آثاره من حين إلى آخر في الشعور بصورة حالة مزاجية عرضية، أو مستمرة، ولعل كيد المرأة يأتي من هذا الطريق قال تعالى: ﴿إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ﴾[1].

(د) العواطف:

والعاطفة هي مجموعة منظمة من الانفعالات، تتجمع حول معنى شيء من الأشياء، والمرأة عاطفية أكثر من الرجل، وتكاد تكون أسيرة عواطفها إلى حد بعيد، ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «احْمِلُوا النِّساء على أَهْوائِهِنَّ»[2]، وإذا اعتبرنا تقسيم العواطف إلى حسية ومعنوية، نرى تضارباً في نفس الإنسان بين هذين النوعين من العواطف، مع ميل العاطفة الأولى إلى التغلب على العاطفة الثانية.

وفي المرأة يكون تغلب العواطف الحسية على المعنوية أشد منها في الرجل، فتغلب عاطفة المحبة لفرد ما مثلاً، عاطفة محبة الحق عندها، فتقف في صف المحبوب، ولو كان على ضلال.

وشدة عاطفتها الحسية، هي التي تدعوها إلى التمسك أكثر بمحبة الأم، والأب، والزوج، والبيت، والمدرسة، أو البلدة التي تعيش فيها، والأطفال، والمستشفيات، إلى غير ذلك من المتعلقات الحسية الخاصة والعامة.

وأما العواطف المعنوية، فهي أقوى في الرجل لاحتياجها إلى قوة الخيال، والقدرة على التفكير، وانتزاع المعاني العامة من المثل الخاصة، والتجارب الجزئية، فتعم عنده عاطفة حب الجمال مثلاً، والشرف، والحرية، وتقديس الحق، والعدل، والإخلاص.

---

(١) سورة يوسف الآية: ٢٨.

(٢) أخرجه ابن عدى (٢١٨٥/٦)، والميزان (٧٢٤١).

وترجع قوة العاطفة فى المرأة إلى زيادة حساسيتها، ودقة هذه الحساسية فهى أشد تأثراً بالأعمال الحسنة، والأقوال الطيبة، وأقوى شعوراً بالحب والبغض والكراهية.

وهكذا نرى أن المرأة تمتاز بنوع خاص من العواطف، وكذلك الرجل له ضرب خاص منها يفوق فيه المرأة، ويرجع ذلك لأن للتركيب الجسمانى لكل من الجنسين، ولأفكارهما، ولمبادئهما، وللمثل العليا التى تتعلق بكل منهما، الآثار الفعالة فى عواطف كل فريق، ولنضرب لذلك أمثلة بعض العواطف، كالعاطفة الذاتية، والعاطفة الفكرية، والخُلُقِيَّة.

١ - العاطفةُ الذاتية:

فالرجل والمرأة يشتركان مثلاً فى عاطفة حب النفس، ولكن مظاهر هذه العاطفة تجد مجالها الحقيقى عند الرجل، لأن الطرق التى توصله إليها ممهدة عنده، كمحبة الحركة التى ترتبط بالناحية النزوعية العملية من نواحى العقل، أو بالنفس الفعالة التى تحاول أن تظهر مواهبها، وتخرجها من عالم القوة إلى عالم الفعل، كمحبة الحرية التى تثمر ثمرتها عند الرجل، لأن استعداداته تؤهله لحرية التصرف فيما يسعى إليه، وكمحبة السيطرة التى تكمن فيه حين يشعر بمواهبه الخاصة التى تجعله أهلاً لأن يسيطر على الجنس المقابل، بالقوتين الجسمانية، والعقلية، وعلى الغير على وجه عام.

ولا يغيب عن البال أن العناد مظهر من مظاهر حب النفس، وأثر من آثاره، والرجل الحقيقى لا يسيطر عليه هذا المظهر، ولكن المرأة قد تتجه عاطفتها إلى العناد والمشاكسة، لشعورها بسلطان الرجل، وسيطرته عليها، وقد تشعر بهذا الميل عند توبيخ زوجها لها مثلاً، ويتجدد فى نفسها هذا الشعور بالضعف وهى فى الغالب لا تتغلب على زوجها، فيلازمها الغضب ولو بحالة لا شعورية، فيحدث فى نفسها من حين إلى آخر ميل للمعاداة والمشاكسة.

٢ – العاطفةُ الفكرية :

والعاطفة الفكرية توجد كذلك عند الجنسين، إلا أنها أقوى عند الرجل، وذلك لاشتمالها على محبة العلم، تلك المحبة التي تجد في عقله استعداداً لإظهار آثار المعرفة، والتي تدفعه إلى انتهاجه منهاجه الخاص في الحياة، وكذلك محبة الحق، التي تحتاج في تربيتها بجانب تأثير البيئة، ومعرفة تاريخ الأبطال إلى كثرة الاضطلاع، والبحث، والنقد، وغزارة المعلومات، والدقة في الدرس، وهو ما لا يجد مجالاً كاملاً عند المرأة ولا أثراً بارزاً في حياتها العملية، إذا أضفنا إلى ذلك الاستعداد العقلي، وضرورة إعمال الفكر.

٣ – العاطفةُ الخُلُقِيَّة :

والعاطفة الخلقية هي صفة نفسية وجدانية ثابتة، ينشأ عنها استحسان أعمال، واستقباح أخرى، نعملها أو يعملها غيرنا، وتحملنا على اتباع الحسن والحث عليه، وتجنب القبيح، والنهي عنه، وهي مرتبطة بالسلوك الخلقي الذي يمكن الحكم عليه بالحسن أو القبح.

والرجل تمكنه مؤهلاته واستعداداته إلى اكتساب هذه العاطفة بصورة أتم وأكمل، لحبه للتعلم، ولاستعداده لاقتفاء أثر الأنبياء والرسل عليهم السلام، والاقتداء بهم، ولسهولة فهمه لمعاني الحسن والقبح، ولاتساع دائرة تجاربه الشخصية التي تدعو إلى اتساع معلوماته، ولدراسته للتاريخ، ولتمكنه من الاندماج بين الأوساط المختلفة، وإدراك مشاربهم، ومعرفة مبادئهم، حتى تتكون له فكرة خاصة عن الحسن والقبح، مقتدياً بمثله الأعلى في ذلك رسول الله ﷺ، فيشعر من نفسه باستحسان الأعمال الطيبة، واستقباح الأعمال الرذيلة، حتى يصبح عضواً عاملاً في الهيئة الاجتماعية، ويمكنه أن يصدر أحكاماً خلقية على المجتمع.

وتؤهل هذه العاطفة الرجل أن يصبح فيلسوفاً، وقد يصل إلى الدرجة

العليا ، فيصدر أحكاماً خلقية مبنية على أساس علمى صحيح ، ضد مجتمعه الخلقى ، مما يعتبر مثلاً أعلى له ، الأنبياء والمرسلون عليهم السلام ، الذين نهضوا له بالمجتمع الإنسانى وميزوا فيه الحق من الباطل ، وقال تعالى : **﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾** (١) .

ولقد قدمنا كيف أن العواطف الحسية فى المرأة ، تفوق العواطف المعنوية ، وأما فى الرجل ، فتجد العاطفة الخلقية تتغلب على غيرها من العواطف التى تعارضها ، كعاطفة محبة الأب والأم أو الأقارب أو الأصدقاء .

ورجل العاطفة الخلقية المتينة ، هو الذى يقول للمصيب : أنت مصيب ولو كان أعدى أعدائه ، وللمخطئ : أنت مخطئ ، ولو كان أباه أو أخاه قال تعالى : **﴿ .. وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُون ﴾** (٢) .

(هـ) الإرادة :

والإرادة اتجاه النفس لعمل ما ، والمظهر الخارجى لهذا الاتجاه يسمى عملاً إرادياً ، والاتجاه يكون دائماً مسبوقاً برغبات ، وميول متضاربة يتغلب أحدهما بعد التفكر والتروى والتدبر .

والمرأة بطبيعة تركيبها الجسمانى أو العقلى ، أقل تجارباً وحنكة من الرجل وأقصر نظراً إلى المستقبل ، وتبصراً فى العواقب ، ولذلك فإرادتها خاضعة لوجدانها أكثر من أن تكون خاضعة لفكرتها ورويتها ، ولذا تراها تندفع إلى الأعمال بدافع الرغبة والحاجة الوقتية ، فالذى تريده وتقدم عليه هو الذى ترغبه وتشتهيه .

وطبيعة تركيب المرأة تجعلها كذلك عرضة للشعور بالتعب بعد بذل

---

(١) سورة الإسراء الآية : ٨١ .
(٢) سورة الأنعام الآية : ١٥٢ .

قليل من المجهود فى عمل واحد ، ولهذا تنقصها القدرة على المثابرة فى العمل ، ويعوزها ضبط النفس ، والانتباه إلى الشىء الواحد مدة طويلة .

وإننا نستطيع أن نقرر أن نوع الإرادة التى تتصف بها المرأة ، هى الإرادة الطائشة ، إذ أنها لا تفكر تماماً فى العواقب ، لأنها أقل قدرة على التروى ، وموازنة بعض الميول بالبعض الآخر ، ولا تنظر إلى المستقبل نظرة جدية ، مسترشدة بالتجارب ، مستعينة بالذكاء والفطنة .

وأما نوع إرادة الرجل فهى الإرادة الحازمة القوية ، التى بها ينفذ ما يقضى به التفكير والتروى فى حينه[1] .

(و) الطباع :

والطبع هو الطريقة التى تتبعها النزعات النفسية فى سيرها نحو الأغراض التى ترمى إليها . والمرأة على وجه عام ذات طبع حساس ، سريعة التأثير من الناحية الوجدانية ، تظهر عليها أمارات الفرح ، والجزل عند النجاح ، ولو قلت قيمته ، دائمة الفرح والسرور متفائلة بالمستقبل ، وتبدو عليها أمارات الألم عند الشعور بالخيبة أو الخوف من الإخفاق فى المستقبل ، ويسمى هذا النوع من الطبع بالزئبقى ، لسرعة تأثر هذه المادة بدرجة الحرارة ، وهى تقدم على الشىء بدون أن تسبر[2] غوره[3] وتعرف خباياه ، ولا تستقر على حال من القلق ، وإذا بدأت فى عمل يندر أن تستمر فيه ، ويمكنك أن تصفها بالإقدام الغير العادى ، أو البطء الذى يفوت الفرصة ، والتقلب مع قوة التأثر الوجدانى .

---

(١) وسواء الرجل أو المرأة إذا اتصف أحدهما بالإرادة الجامحة أو المعتقلة ، فهو مريض النفس ، ويجب علاجه ، وأن صاحب الإرادة الجامحة : ولو أنه يندفع إلى العمل مع شىء من التروى ، إلا أنه لا يلبث أن ينتقل إلى عمل آخر ، قبل أن يتم عمله الأول فهو ضعيف الإرادة ، عاجز عن ضبط النفس ، وأما صاحب الإرادة المعتقلة : فهو المتردد الضعيف الذى يأتى عند مرتبة الموازنة بين الميول ويقف متردداً أو قد يصل بعد فوات الوقت .

(٢) سبر : علم وخَبر . (٣) غوره : بعده وحقيقته .

وأما الرجل فهو فى الغالب يقدم على العمل كذلك ، ولكن بعد الاسترشاد بالعقل ، والتجارب ، ويستمر فى عمله حتى النهاية ، ومن الناحية الوجدانية محايد أو معتدل .

(ز) المزاج :

وأما من ناحية المزاج فنرى أن نسلم مبدئياً بالتجارب التى قام بها (بولدوين)[1] و (فوييه)[2] وغيرهما وهو أن معظم البنات مزاجهن من النوع الحركى ، وأن معظم البنين من النوع الإحساسى ، وأن أغلب الرجال من النوع الحركى ، وأغلب النساء من النوع الإحساسى .

نحن نسلم بهذا مبدئياً ، إذا ذكرنا أن الحركى هو الذى يلبى نداء كل مؤثر خارجى بسرعة وينفذ ما يراه فى الحال بشرط أن تكون التلبية على نداء العقل ، والتنفيذ بسرعة تأييد الفكر للوجهة الصحيحة ، مع الفارق طبعاً بين عقلية الصغار والكبار والرجل والمرأة .

والمرأة إحساسية إذا قلنا بتباطئها فى العمل الذى يستدعى مجهوداً فكريا قبل البدء فيه .

وإلا فالمرأة عملية أكثر منها فلسفية ، بخلاف الرجل فهو يميل إلى النظر العقلى ويجنح إلى التفلسف ، والتفكير فى عواقب الأمور .

والرجل عملى إذا قلنا باستعداده الجسمى إلى الزعامة ، والقيادة ، فالرجل يمد أسرته بالآراء ، ويحركها ، ويوجهها إلى ما فيه صلاحها ، والمرأة بحذقها ، ومثابرتها ، وقوة إرادتها الخاصة بشئون البيت ، تنفذ ما يرسمه لها الرجل ، وتظهر قوة إرادة المرأة واضحة فى اعتنائها بأطفالها ، وملاقاة الصعاب فى سبيل المحافظة على عيالها قال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنْسَانَ

---

(١) بولدوين جيمس مارك : فيلسوف وسيكولوجى مؤلف قاموس الفلسفة وعلم النفس – توفى سنة (١٩٣٤م) .

(٢) فوييه ألفرد : فيلسوف فرنسى – توفى سنة (١٩١٢م) .

بوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِى عَامَيْنِ أن أَشْكُرْ لِى وَلِوَالِدَيْكَ إلَىَّ الْمَصِيرُ﴾[1] والرجل تنقصه فيما يتعلق بالبيت المثابرة، والمرونة، والتشبث مما يلزم لبروز الأسرة ونموها.

والرجل عملى إذا أردنا بذلك عنايته بالحقائق الخارجية الواقعية، أكثر من الخيال، وتغلب ميوله العملية على الميول الفلسفية الإدراكية.

والرجل عملى إذا عنينا بذلك عدم قصر جهوده على مصالحه الخاصة من ناحية أخرى، وأنه يشعر بالثقة فى نفسه فيما يختص بالمسائل الاجتماعية.

وهو بحسب ذلك يصلح للأعمال التى تحتاج إلى نشاط دائم، كالتجارة والصناعات المختلفة، وقيادة الجيوش وغيرها من الأعمال التى يساعده جسمه على الإتيان بها.

والرجل تأملى إذا نظرنا إليه من ناحية حركاته الدائمة المستمرة فى القيام بالأبحاث العلمية الفلسفية، وغيره من الأعمال الفكرية، والكتابية.

فالمرأة عملية فيما يختص بالأسرة، وتربية صغارها، وتأملية إذا نظرنا إلى شغفها بالخيالات، بحيث ترجح خيالاتها الحقائق الواقعية، وهى تأملية كذلك إذا رأينا اكتفاءها فيما وراء الأسرة، بأن تكون من النظارة لا من العاملين الممثلين، وأنها تميل إلى الهرب من تحمل المسئوليات، ومن التجديد فى النظم، والتغيير من القوانين.

فالرجل والمرأة كلاهما يجمع بين المزاج العقلى والتأملى، بنسب خاصة، تتعلق بتركيبهما الجسمانى، وقواهما العقلية، وماهيتهما النفسية، وغايتهما فى المجتمع، بحيث يكمل كل منهما الآخر فى كل ما يختص بكينونتهما.

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٤ .

خاتمة :

نستطيع مما تقدم فى هذا المبحث، أن نصل إلى حقيقة لا مراء فيها وهى أن الله تعالى خلق الجنس البشرى من نوعين، يكمل أحدهما الآخر، وأن كلاً منهما يتجه فى الحياة اتجاهاً يسير جنباً إلى جنب مع اتجاه الجنس المقابل، ليؤدى كل واحد منهما الوظيفة التى تؤهله صفاته للقيام بها نحو المجتمع الإنسانى، وليس ما قدمناه تفضيل للرجل على المرأة، بل بيان حقيقة تكوينهما، وتوضيح الاستعدادات البدنية، والعقلية، والنفسية لكل منهما، ولا شك أن رقى الإنسانية الحقيقى لا يكون إلا بتوزيع الأعمال، وملاءمة كل جنس للوظيفة التى يقوم بتأديتها فى هذه الحياة، فالرجل كما بينا مستعد بطبيعته وقواه الجسمية إلى الزعامة والقيادة، لقدرته على التصرف عند المواقف الحرجة، وعلى الابتكار للخروج من المآزق بسرعة، وأما المرأة فليس لها هذا الاستعداد، ولكنها تفوق الرجل فى الصبر والجلد والقدرة على المقاومة والسرعة فى التنفيذ، ولذلك كان الرجل أكثر استعداداً للتشريع والابتداع، والمرأة أكثر استعداداً للتنفيذ، ولما تمتاز به المرأة من الصبر وقوة الوجدان والحنو والشفقة، تستطيع أن تكون أُمًّا وممرضة، وسلوة للرجل إذا حلت به النكبات، أو استولت عليه الهموم، فترى المرأة بذلك عوناً للرجل، وترى الرجل عوناً للمرأة كذلك.

ومزاج المرأة أقرب ما يكون إلى المزاج الانفعالى، ويشتد تأثرها بجمال الأشياء، وتناسبها مع بيئتها، وتقل عنايتها بالأفكار المجردة، وإذا حاولت التعميم والوصول إلى قواعد كلية، فإنها لا تعنى بالتحليل والتدقيق والبحث العميق، وهذا هو السبب - كما قدمنا - فى أنها تميل إلى التسرع فى الحكم والخطأ فى التطبيق، كما أن المرأة تكره التحليل المنطقى العميق الذى يصل به الرجل إلى القوانين العلمية الصحيحة.

والمرأة كذلك عملية أكثر منها فلسفية، وأما الرجل فيميل إلى النظر

والتفلسف والتدبر والتفكير فى عواقب الأمور ، وإذا رأى خطراً محدقاً به [1] تجنبه وهو هادئ الفكر ، وربما ضجر وغضب . ولكن المرأة تولول وتصيح ، وقد يعتريها اضطراب يعوقها عن التروى والتفكير .

والرجل كذلك ينظر إلى بواطن الأشياء وحقائقها ، ولكن المرأة لا تنظر إلا إلى ظواهرها .

ونستطيع أن نقول : إن المرأة تحمل لواء العاطفة ، وإن الرجل يحمل لواء العقل ، فإذا اجتمع الرجل والمرأة ، تمكنا من السير فى مضمار الحياة بقدم ثابتة ، واستطاعا أن يتعاونا لتذليل عقبات الحياة ، ومن هنا تتكون العائلة التى تعد نواة المجتمع ، وتعتبر دعامة من دعائمه .

ولا بد أن ننبه هنا أن العائلة الصالحة لا يمكن أن تتكون من عضوين مريضين ، ولا ينتفع بها المجتمع إذا كان أحد طرفيها مصاباً بشذوذ جسمى ، أو خلقى ، أو نفسى ، ولذلك دعا الدين إلى الزواج الصالح ، ووضع الأسس المتينة التى يجب أن تقام عليها الأسرة كما سنبين فى هذا الكتاب وأرى أن أوضح فى المبحث القادم ، أهم الأمراض المنتشرة بين الناس والتى يشترط اتقاؤها عند القدوم على الزواج .

* * *

(١) محدقاً به : ملماً به ومحيطاً .

المبحث الثاني

الشواذ من الجنسين

وبدهي أنني في المبحث السابق، لم أعن الشواذ من الجنسين سواء كان هذا الشذوذ ناشئاً عن أمراض جسمية، أو آفات عقلية، أو علل نفسية وأخلاقية، وقد يصاب المرء بعلة من هذه العلل، فيغدو غير كفء للزواج، بل قد تدنيه الآفة من مرتبة الحيوان والله تعالى يقول: ﴿ **لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ * ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ** .. ﴾ (1) وأرى أن أتوسع بعض التوسع في بيان أكثر هذه الآفات انتشاراً بين الناس، خاصة ما يتعلق بالأمراض النفسية الجنسية التي لها علاقة وثيقة بالزواج والتي تغمض وتخفى عن فراسة الكثيرين من طالبي الزواج والمتزوجين.

الشذوذُ العضوي

فمن الناس من يرث أمراضاً جسمية، أو تشوهات خَلقية، أو يصاب بعلل بدنية قد تدعه غير صالح للزواج: كالكساح، والسل، والزهري الوراثي، وغيرها مما سيأتي بيانه في مبحث تحسين النسل، وأرى أن أضرب هنا مثلاً لبعض الأمراض الأشد تشويها للبدن.

١ - مرض الغدة الدرقية :

فمرض الغدة الدرقية، يدع الذكور والإناث الذين تجاوزوا سن الحلم، هم صغيري الأجسام، فاقدي النمو الطبيعي، فقد لا يتجاوز طول الشاب في سن الثلاثين، سبعين سنتيمتراً، مع مشابهة شكله لشكل الأطفال.

---

(١) سورة التين الآيتان : ٤ ، ٥ .

٢ – مرض العمالقة :

ومرض العمالقة، يسببه نشاط غير طبيعي فى الجزء الأمامى من الغدة النخامية.

٣ – مرض الأقزام :

وضعف إفراز الجزء الأمامى من الغدة النخامية، يسبب مرض الأقزام.

٤ – مرض السمن :

وضعف إفراز الجزء الخلفى من الغدة النخامية، يسبب مرض السمن فيعطى المريض به مظهر النساء.

ولعل فى مثل هذا ما رواه الواحدى فى أسباب النزول أن النبى ﷺ قال لبعض أحبار اليهود: «أنشدكَ الله ألم تعلمْ أن الله أنزلَ فى التوراة: (إن الله يبغضُ الحبر السمين) فاغتاظ ذلك الحبر وقال: (ما أُنزل الله على بشر من شيء) فأنزل الله الآية. ﴿وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيءٍ﴾ [الأنعام آية: ٩١] [(١)].

وروى أحمد والحاكم بإسناد جيد عن عبدة الجشمى قال: رأى رسول الله ﷺ رجلاً سميناً فأومأ بأصبعه إلى بطنه وقال: «لو كانَ هذا فى غيرِ هَذا لكان خَيْراً لكَ» [(٢)].

وقال مالك بن دينار مما وجدناه فى كتب الحكمة السابقة: إن الله يبغض الحبر السمين [(٣)].

٥ – الخصيان :

ويسبب شذوذاً عضوياً فى الرجل كذلك خصيه فى طفولته، فلا ينمو

---

(١) أخرجه ابن جرير (١٧٦/٧)، والواحدى (١٥١)، وابن المنذر، وابن أبى حاتم كما فى الدر المنثور (٢٩/٣).

(٢) أخرجه أحمد (٣٣٩/٤)، الحاكم (١٢١/٤، ٣١٧).

(٣) ومثله ما رواه البيهقى عن كعب الأحبار قال: مما أنزله الله فى الكتب: (إن الله يبغض الحبر السمين).

شعر بدنه أو لحيته ، ويرق صوته ، ويشذ قوامه عن قوام الرجال ، وقد ذكر الله تعالى أن عملية الخصى هذه من وحى الشيطان فقال : ﴿ وَإِنْ يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَاناً مَرِيداً • لَعَنَهُ اللهُ وقال لأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيباً مَفْرُوضاً • وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللهِ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾ [1] .

الشذوذ العقلى

ومن الشذوذ العقلى : العته ، والعبط ، والهذيان ، والملاخوليا ، والجنون وسائر أنواع الأمراض العقلية .

الشذوذ النفسى الخلقى

ومن الناس من هو مصاب بأمراض نفسية خلقية كالزناة [2] ، وشاربى الخمور [3] ، والجهلة ، والكذابين والمنافقين ، والنمامين [4] ، والفاسقين على وجه عام .

ولقد وضع الإسلام القواعد الثابتة التى تكفل لمتبعيها عدم الوقوع فى مثل هذه الأمراض النفسية [5] ، وبين الوسائل الصحيحة التى تعالج بها النقائص الخلقية ، وقال جل شأنه : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَاراً ﴾ [6] وسيأتى بيان ذلك فى مبحث حماية الأسرة . فترى الدين وقد أرشد إلى الطريق الذى يوصل إلى

---

(١) سورة النساء الآيات : ١١٧ - ١١٩ .

(٢) راجع الأمراض الجسمية والنفسية التى يسببها الزنا فى المبحثين الرابع والخامس من مؤلفنا الإسلام والطب .

(٣) راجع مبحث الخمر فى مؤلفنا الإسلام والطب .

(٤) قال تعالى : ﴿ولا تطع كل حلاف مهين • هماز مشاء بنميم • مناع للخير معتد أثيم • عتل بعد ذلك زنيم﴾ سورة ن (١٠ - ١٣) .

(٥) قال تعالى : ﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ سورة الأعراف (٣٣) .

(٦) سورة الإسراء الآية : ٨٢ .

الكمالات الإنسانية، ويحرر المرء من عوامل الضعف والفساد.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوه وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾ (١).

فشهوة الزنا مثلاً مرض، ويفسر ذلك قوله عز وجل: ﴿ يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَعْرُوفاً ﴾ (٢).

والجهل كذلك مرض كما جاء في قول رسول الله ﷺ في الذين أفتوا بالجهل، فهلك المستفتي بفتواهم «قتلوه، قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا؟ فإن شفاء العى السؤال» (٣).

والجبن مرض قال تعالى: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ﴾ (٤).

والنفاق مرض والله تعالى يقول: ﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُوراً ﴾ (٥) وقوله: ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فى قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ (٦).

وهذه أمراض يصاب بها من اتبع هواه وتملكه شيطانه والله تعالى يقول: ﴿ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِى الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ

(١) سورة الأنعام الآية ١٥٣.

(٢) سورة الأحزاب الآية: ٣٢. فهذا مرض نفسي، وفي المرض الجسدي يقول تعالى: ﴿ فمن كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ﴾ سورة البقرة ١٨٥ – وذكر مرض النفس كذلك في قوله تعالى: ﴿ وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون ماذا أراد الله بهذا مثلا ﴾ سورة المدثر ٣١.

(٣) رواه أبو داود (٣٣٧)، وابن ماجه (٥٧٢)، وأحمد (٣٣/١)، والحاكم (١٧٨/١).

(٤) سورة محمد الآية: ٢٠.

(٥) سورة الأحزاب الآية: ١٢.

(٦) سورة محمد الآية: ٢٩.

﴿قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [1] .

ولقد ذكر الله تعالى أن الأمراض النفسية تعدى كما تعدى الأمراض البدنية ، قال جل شأنه عن مرض الشرك : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [2] .

وذكر الله تعالى للوقاية من عدوى الأمراض النفسية : ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [3] .

وجاء فى القرآن الكريم أن هذه الأمراض تشفى إذا عولجت بما يناسبها من طرق العلاج فقال تعالى : ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ * وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [4] .

وذكر الله تعالى أن المرض النفسي إذا لم يعالج فى وقته زاد وتضاعف فقال : ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضاً﴾ [5] فإذا أهمل المرض بعد ذلك أزمن واستعصى وهو قوله تعالى : ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [6] ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [7] ، وقال تعالى عن الذين لا يسمعون الخير ولا ينظرون إليه ولا يقولون به ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [8] .

فإذا ترك هؤلاء ماتت قلوبهم ، وهلكت نفوسهم ، فإذا رجعوا إلى الله تعالى ، وشرح المولى صدورهم للهدى ، فتابوا وثابوا ، نجوا ، والله تعالى

---

(١) سورة الحج الآية : ٥٣ .
(٢) سورة التوبة الآية : ٢٨ .
(٣) سورة الأعراف الآية : ١٩٨ .
(٤) سورة التوبة الآيتان ١٤ ، ١٥ .
(٥) سورة البقرة الآية : ١٠ .
(٦) سورة البقرة الآية : ٧٤ .
(٧) سورة المائدة الآية : ٤١ .
(٨) سورة البقرة الآية : ١٨ .

يقول : ﴿ أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ [1] .

وهكذا ذكر الله تعالى أن الميل إلى المعاصي مرض يجب اجتنابه وأن طريق الدين هو طريق الوقاية والخير ، إذ أن هنالك من النفوس ما عند صاحبها استعداد للميل إلى الشر والانغماس فيه ، فهذه يجب عليها البعد كل البعد عن سبله ، واجتناب دروبه وطرقه ، ومن القلوب ما أوجد فيها التمسك بكتاب الله مناعة ، والعمل بما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه حفظاً ووقايةً ، وفي هذا يقول النبي ﷺ : « تُعرضُ الفتنُ على القلوب كعرض الحصير عوداً عوداً ، فأى قلب أشربها نكتتْ فيه نكتةٌ سوداء ، وأى قلب أنكرَها نكتتْ فيه نكتةٌ بيضاء ، حتى تعود القلوب على قلبين : قلب أسود مرباداً [2] كالكوز مجخياً [3] ، لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً ، إلا ما أُشرب من هواه . وقلبٌ أبيض ، فلا تضره فتنةٌ ما دامت السماوات والأرض » [4] .

الشذوذ النفسي الجنسي

وكما أنه لكل مرض مضاعفات ، فكذلك الأمراض الخلقية من مضاعفاتها أمراض نفسية جنسية ، تحيد بالمرء عن طريق الفلاح ، وتعكر عليه

(١) سورة الأنعام الآية : ١٢٢ .　　(٢) مرباداً : حالك السواد وشديده .

(٣) مجخياً : منكساً .

(٤) أخرجه مسلم (الإيمان /٢٣١) ، وأحمد (٥/٣٨٦ ، ٤٠٥) ، وأبو عوانة (١/٥٣) شبه عرض الفتن على القلوب شيئاً فشيئاً كعرض عيدان الحصير ، وهي طاقاتها شيئاً فشيئاً ، وقسم القلوب عند عرضها عليها قسمين : قلب إذا عرضت عليه فتنة أشربها كما يشرب السفنج الماء ، فتنكت فيه نكتة سوداء ، فلا يزال يشرب كل فتنة تعرض عليه حتى يسود وينتكس وهو معنى قوله : (كالكوز مجخيا) أي مكبوباً منكوساً ، فإذا اسود وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران فيرميان به إلى الهلاك : **أحدهما** : اشتباه المعروف عليه بالمنكر فلا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً وربما استحكم فيه هذا المرض حتى يعتقد المعروف منكراً والمنكر معروفاً . **الثاني** : تحكيمه هواه على ما جاء به ﷺ وانقياده للهوى واتباعه له .

وقلب أبيض ، قد أشرق فيه نور الإيمان ، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وردها فازداد نوره وإشراقه وقوته .

حياته، وتورده موارد الظلمة والهلاك، فيصبح عضواً أشل فى المجتمع، لا يصلح للزواج، ولا ينفع لتكوين أسرة صحيحة، قوية الدعائم، متينة الأساس.

وأرى من الأوفق هنا أن أبين بعض هذه المضاعفات التى تصيب الذكر والأنثى على السواء، وأسرد أهم العلل النفسية الجنسية التى لها علاقة متينة بالزواج، ولها أثر بالغ في انهيار الأسرة وشقاءها. وسنرى كيف أن الإسلام ذكر هذه الأمراض، وأمر باستئصالها، وعمل على التخلص منها وسعى لعدم وقوع المؤمن فى ويلاتها ومصائبها، بما سنه الرسول ﷺ، وأتى به القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى** ..﴾ [1] وسترى فى المبحث التالى كيف يعد الإسلام المرء إعداداً صحيحاً ليكون نافعاً فى المجتمع، بعيداً عن كل ما يشينه، ويزرى به، والله تعالى يقول: ﴿**يَٰأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [2].

١ - مرض استعمال العنف:

قد يستعمل الزوج بعض العنف عند ملاعبة امرأته، أو فى حالة التهيج الطبيعى، كقرص الأهداف أو الضرب الخفيف على الأرجل، أو الخدش، أو عض الشفة، ولكن إذا زاد الأمر عن حده غدا مرضاً مثال ذلك: إذا استعمل الدبابيس، أو الضرب المبرح، أو غيرها من شتى وسائل العنف والإيذاء.

قال رسول الله ﷺ عن الزوجة: «تطعمها إذا أكلتَ وتكسوها إذا اكتسيت ولا تضرب الوجه ولا تقبح [3] ...» [4] بل لقد أشار رسول الله

(١) سورة فصلت الآية: ٤٤. (٢) سورة يونس الآية: ٥٧.

(٣) تقبح: أى تقول قبحك الله.

(٤) أخرجه أحمد (٤/٤٤٦، ٤٤٧، ٥/٣)، أبو داود (٢١٤٢)، وابن ماجه (١٨٥٠)، والحاكم (٢/١٨٧).

ﷺ إشارة صريحة إلى هذا المرض وهو قوله صلوات الله وسلامه عليه : « لا يَجْلدُ أحَدُكُم امرأتَهُ جَلدَ العبدِ ثم يُجامِعَها »[1] وفى رواية « ولعله أن يضاجعها » فقوله ثم يجامعها دال على أن علة النهى أن ذلك لا يستحسنه العقلاء فى مجرى العادات ، لأن الجماع والمضاجعة إنما يليق مع ميل النفس ، والرغبة فى العشرة ، والمجلود دائماً ينفر ممن جلده .

فالدين يحرم استعمال العنف والقسوة بالزوجة ، ولكن هنالك مرضى بإيذاء المرأة كرجل لا يهتاج إلا برؤية الدم ، فكان يضع الدود يومياً على عانة عشيقته حتى يرى الدم فيهتاج ، وذكر (إبنج)[2] حكاية رجل كان ينبه عاطفته فى شوارع (ليبزج) بطعن الفتيات بالمدى[3] فى أكتافهن ويبلغ المرض بالبعض حداً يجعله يختطف المرأة إلى مكان بعيد ، ويقيدها ويجامعها بالعنف ، ثم يقتلها بعد ذلك، مما تسمع عنه كثيراً وتقرأ أخباره فى الجرائد ، ولا يخطر ببالك أن هذا مرض من الأمراض .

ويسمى هذا المرض مرض سادى نسبة إلى (المركيز سادى)[4] الذى يروى عنه أنه قابل امرأة فى الطريق تدعى (روزكلر) فأخذها هو وزملاؤه إلى منزله ووضعها على منضدة وأخذ يشرح جثتها بقطع ثدييها ، وأعضائها التناسلية » وادعى أنه يدرس الطب ، ثم جامعها بعد ذلك .

والنساء يصبن كذلك بهذا المرض ، ويروى لنا التاريخ أن كاترين دى مدسيس ، كانت تشعر بلذة عندما ترى وصيفاتها يضربن أمامها بالسياط ،

---

(١) أخرجه البخارى (٣/ ٣٧٥، ٤٤٧ - ٤٤٨)، مسلم (٨/ ١٥٤، ١٥٥)، والترمذى (٢/ ٢٣٧)، والدارمى (٢/ ١٤٧).

(٢) ابنج ريتشارد فون (كرافت) : هو طبيب ألمانى فى الأمراض العقلية أبرز الجانب النفسى فى الاضطرابات العقلية وعلاقتها بالطب الشرعى . له كتاب مشهور (الاضطرابات النفسية الجنسية) توفى سنة (١٩٠٢م) .

(٣) المدية : السكين .

(٤) عاش المركيز سادى سنة ١٧٥٠ وسجنه نابليون حينما كان قنصلاً بعد الثورة الفرنسية وأودعه مستشفى المجاذيب ، وحرق جميع مؤلفاته التى تحوى الكلام عن هذا المرض . ومات وهو فى الرابعة والستين من عمره .

وكذلك كان شعورها عندما كانت تشاهد مذبحة الهوجينوت ، وترى كثيراً من النساء يلذ لهن أن يضربن أزواجهن بالأكف والنعال وغيرها ، ويطلق الإسلام المرأة من زوجها إذا استعمل معها العنف ، فعن عائشة أن حبيبة بنت سهل كانت عند ثابت بن قيس بن شماس فضربها ، فكسر بعضها ، فأتت رسول الله ﷺ ، فدعا ثابتاً ، فقال : « خذ بعض مالها وفارقها » فقال ويصلح ذلك يا رسول الله ؟ فقال ﷺ : (نعم) [1] .

٢ - هتكُ الموتى :

وترى بعض الناس مصاباً بمرض هتك عرض الموتى ، فيتربص أحدهم بامرأة دفنت ، فينبش عليها القبر ، ويجامع جثتها ، ويروى هيرودوتس [2] المؤرخ ، أن بعض المحنطين لجثث قدماء المصريين كانوا يهتكون عرض الموتى من النساء ، وهنالك قصة ذلك الشاب الذى هام بامرأة سنها ٥٣ سنة وأراد اغتصابها ، فأبت فخنقها ، ثم جامع جثتها ، وألقاها فى اليم ، ثم أتى بعد ذلك بسنارة واصطاد الجثة ، ووطأها مرة أخرى .

٣ - مرضُ احتمال الأذى [3] :

وهو عكس مرض استعمال العنف ، وفى هذه الحالة لا يهتاج المريض حتى يؤذى إيذاء شديداً من الجنس المقابل .

وأبسط أنواع هذا المرض أن تحلم الفتاة أنها تؤخذ بالقوة ، وتؤتى بالقوة ، وهذا بالنسبة للمرأة يعد مبالغة فى شعورها الطبيعى ، لأنها تمثل الدور السلبى فى الحياة الجنسية ، وأما الرجل فلا يتفق مع طبيعته أن يشعر باللذة فى تحمل الأذى . وهذا النوع من المرض منتشر كل الانتشار بين

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٢٢٨) ، الطبرى (٢٠٨/٢) .

(٢) **هيرودوتس** : مؤرخ إغريقى يلقب (أبو التاريخ) توفى سنة ٤٢٥ ق م .

(٣) يسمى الماسكزم نسبة إلى سوشر ماسوك وهو أول من بحث هذا المرض ، وألف فيه وسجله ، وقد علم أخيراً أنه كان مصاباً به .

الرجال، فترى الرجل يشعر بلذة أن تهجره حبيبته، وأن تهينه وتشتمه. ويستجدى بعضهم المرأة لتصفعه، أو تبصق فى وجهه، وقد يتحايل على ذلك باعتدائه عليها اعتداء بسيطاً، وترى المصاب بهذا المرض يسلم نفسه للمرأة لتستعمله كعبد أو كخادم. ويروى (باسكال)[1] حادثة شخص كان يذهب إلى بغىّ كل ثلاثة شهور، فتخلع عنه ثوبه، وتوثق ربط يديه ورجليه، وتعصب عينيه، ثم تتركه مصفداً فى الظلام نصف ساعة، ثم تعود إليه وتحل وثاقه، فيرتاح، ويعطيها عشرة فرنكات أجراً لذلك.

والقوادون مصابون بهذا المرض، ويرى بعض الفلاسفة علاقة وثيقة بين هذا المرض وما يفعله فقراء الهنود من إذلال نفوسهم وتعذيبها، وكذلك بينه وبين حالة الذهول عند القديسين.

وتستطيع أن تلمس مبلغ انتشار هذا المرض، مما تسمعه فى الأغانى من التغزل فى قسوة المحبوب وصده وهجرانه، والتلذذ بذلك، كالأغنية التى يقال فيها: (تهجرنى برضه أحبك، تلاوعنى برضه أحبك، تنسانى برضه أحبك) ومثلها: (طول عمرى عليك مشغول، وقساوتك مهما تطول) و(ياما قاسيت، ياما حبيت) و(وفضلت بين هجران وخصام أقاسى وحدى شوق وحنين) و(بس ليه بتكايدينى، وتحبى دائما تجافينى، عمرى فى يوم ما نصفتينى، ولا شفت منك حنيه، وكل ده وبرضه بأحبك) و(ابتسمى مرة وهنينى) إلى غير ذلك من الأغانى التى يؤلفها المؤلفون لإرواء المرضى بهذا الداء، وإلا فأى رجل يحب من تقسو عليه وتجافيه ولا تبتسم له مرة فى عمره، ولا تريه إلا كل امتهان وتحقير، وهو يتلذذ بحبها، ويهيم بالشعور بتحقيرها له.

تأمل قول كثير بن عبد الرحمن بن الأسود فى تائيته المشهورة:

---

(١) هو عالم فرنسى، وفيلسوف لاهوتى، جمعت كتاباته الدينية باسم (أفكار)، وهى موسومة بالتصوف فى مجملها توفى سنة ١٦٦٢م.

أسيئى بنا أو أحسِنى لا ملومة　　إلينا ولا مقلية إن تقلت
هنيئاً مريئاً غير داء مخامر　　لعزة من أعراضنا ما استحلت
كأنى أنادى صخرةً حين أعْرضت　　من الصمّ لو تمشى بها العصم زلت

ومثله قول جميل بن عبد الله ، متولهاً من مجرد تصور أن امرأة تقتله :

خَليلى فيما عِشْتما هَلْ رأيتُما　　قَتِيلا بَكى من حبِّ قاتلِهِ قَبْلى !؟

وانظر كذلك إلى أبى الشيص الخزاعى حين يشعر باللذة فى إهانة المرأة له ، واستسلامه لهذه الإهانة فى قوله :

وأهَنْتِنى فأهنتُ نَفْسى صَاغراً　　ما من يهون عَلَيْكَ ممن يُكْرَمُ

وتأمل كذلك قول السرى الرفاء :

بِنَفْسى من أجُود له بِنَفْسى　　ويبخلُ بالتَّحِيَّة والسَّلام
وَيَلْقَانِى بِعِزَّة مستطيل　　وألْقَاهُ بِذِلَّةِ مستهام

وتأمل قول ابن الرومى :

عجبتُ من ذُلِّى ومن قَلْبِكِ القَا　　سى عَلَيْنا وخُلُقِك الشكس [1]

وقول الآخر :

فردى مصابَ القَلْب أنت قَتَلْتِه　　ولاَ تَبْعِدى فيما تجشمت [2] كُلثُمَا
إلى الله أشْكُو بُخْلَها وَسَماحَتى　　لَها عَسلٌ مِنِّى وَتَبْذُل عَلْقما

وعن المرضى بهذا الداء أخذ المثل السائر (ضربُ الحبيب زى أكل الزبيب) مما يقابل معنى قول شكسبير : Like Lover's Pinch is hirt, but is desired.

وقد يزيد هذا المرض ويتجاوز مجرد الشعور بالتعذيب ، كالحالة التى

---

(١) شكس: ساء خلقه .
(٢) تجشمت : ثقلت وتكلفت على مشقة .

يرويها (كرافت)[1] عن رجل متزوج له طبع رزين ، وله أولاد ، كان يذهب إلى البغايا مرة كل أسبوع ، فيطلب منهن السير عليه بأقدامهن وأحذيتهن ، ويطلب منهن أحياناً أن يضربنه أو يكوينه بالنار ، ومثله رجل يرسل إلى محبوبته أن تقابله في الغد، ولا تنسى السوط والجلدة ، فإذا ذهبت إليه ، خلع ملابسه وربط إلى الجدار ، وجلد بالسوط أو الجلدة من أخمص[2] القدم إلى منتصف الظهر حتى يستمني ، وترى أمثلة أخرى في بعض الرجال ذوى المراكز الاجتماعية التي لا بأس بها ، فهم يهمون بزوجاتهم اللاتي يضربنهم إذا ما رجعوا إلى بيوتهم بالنعال والأحذية[3] .

٤ - مرضُ التعشق الخيالي :

الرجل الطبيعي تثير فيه المرأة على وجه عام عاطفته ، ولا يتقيد حبه لها بجزء خاص منها ، أو بشيء يتعلق بها دون سواه ، ولتوضيح هذا الداء ، نرى أن نتكلم عنه ببعض التفصيل .

١ - حبّ جزءٍ خاصٍ في الجسم :

فإذا كانت العاطفة الجنسية تثار من رؤية جزء أو أجزاء معينة من الجسم دون غيرها ، كالقدم أو اليد مثلاً ، فهذا نوع من أنواع ذلك المرض ، فقد يحتفظ أحدهم بخصلة شعر يقدسها كل التقديس ،وتجد هذا المرض منتشراً بين الحلاقين الذين يحلقون للنساء ، فإنهم يزاولون هذه المهنة لهذا الغرض ويستمنون[4] بلمس الشعر ، وقد يحفظون خصائل منه ، ليستمنوا بها إذا رجعوا إلى بيوتهم ، ومثلهم بائعو الأحذية الذين تخول[5] لهم صناعتهم لمس أرجل النساء ، ويصيب هذا الداء النساء ، كذلك فقد تحب امرأة أنف فرد ما أو رقبته مثلاً وهكذا .

---

(١) تقدمت ترجمته في (ابنج) .

(٢) **الأخمص** : باطن القدم .

(٣) قال عليه الصلاة والسلام : « تعس عبد الزوجة » ذكره الإمام الغزالي .

(٤) **يستمنون** : يخرجون المني .

(٥) **تخول** : تسند وتهيئ .

٢ - حبّ شكلٍ خاصٍ للجسم :

ومن المرضى بهذا الداء من يتعشق شكلاً خاصاً للمرأة، فأحدهم يعشق اللون الأبيض للمرأة دون سواه، وآخر يعشق اللون الأسود وحده، فإذا اختلف اللون لا تثار عاطفته، وقد يؤثر فيه اللون فيدفعه هذا إلى قضم الجسم استمتاعاً، ومنهم من لا تثير عاطفته إلا السمينة، ومنهم من لا تثيره سوى النحيفة الهزيلة، ولا يهم حينئذ القبح أو الجمال أو غير ذلك من الصفات النفسية أو العقلية .

٣ - حبّ عيبٍ خاصٍ فى الجسم :

ومن المرضى بهذا الداء من يحب عيباً خاصاً فى الجنس المقابل، كمجنون ليلى الذى يجن بها مع قصرها فيقول :

يقول لى الواشُون : ليلى قَصِيرةٌ   فَلَيْتَ ذراعا عَرْض ليلى وَطُولها

ومنهم من يتعشق العرج فيقول :

قالوا : تَعَشَّقْتَ عَرْجاء فقلتُ لهم :   العيبُ يحصلُ فى غصونِ البان

ومنهم من يتعشق العجائز كقول بعضهم :

فعشقتها شَمْطاء[1] شاب وليدها   وللناس فيما يعشقونَ مَذَاهب

٤ - حب أدوات يستعملها الفرد :

ومن المرضى من يتعشق أدوات النساء دون أجسامهن كالحذاء أو القفاز أو المنديل، ومنهم من يحب المرأة فى زى خاص، فإذا خلعت هذا الزى مجها ولا تثير فيه عاطفة ما، وقد روى (بنت) حادثة قاض كان فى باريس لا يحب إلا النساء الإيطاليات اللاتى كن يحضرن لابسات ثوباً خاصاً، وكن يفدن على باريس ليشتغلن كنماذج للمصورين .

وهذا المرض تشاهده فى النساء كذلك، فترى المريضة به تحب الرجل

(١) شمطاء : هزيلة نحيفة .

في زى خاص ، وتعشقه فى هذا الزى مهما كانت أخلاقه ، ولا تحب سواه مهما كان ، ومن أمثلة هؤلاء المرضى من تعشق الجنود الذين يرتدون الملابس الرسمية ، والبحارة ، والضباط ، وغيرهم .

وقد تتزوج المرأة أحدهم فإذا قابلها فى البيت بدون هذا الزى الخاص مجته (1) وقبحته ، وقد يمكنها أن تستر ما فى نفسها ، وتعيش معه على مضض (2) ، فإذا لبس الزى أحبته فيه .

٥ - حب المشهورين من الجنسين :

ومن الحب الخيالى ، أن يعشق الناس المشهورين من الجنس المقابل أياً كان نوع هذه الشهرة ، فقد يسمع أحدهم عن إحدى المشهورات مثلاً فيحبها كبشار الذى أحب ولم ير لأنه ولد ضريراً :

قالُوا : بِمَنْ لَا ترى تَهْذِى فقلتُ لهم :   الأذن تَعْشقُ قبل العينِ أحيانا

وصف أحدهم لآخر امرأة فأحبها بالسماع فلامه فقال :

لَا تَلُمْنِى وأنتَ زينتها لى   أنتَ مثْل الشَّيْطان للإنْسان

بل قد تعشق النسوة المريضات مجرماً مشهوراً ، أو ممثلاً مشهوراً ، أو ممثلاً سينمائياً مشهوراً ، وقد يهمن بحب هؤلاء وهن لم يقابلنهم ، بل سمعن عنهم ، أو رأينهم فيالمسارح ودور الخيالة ، ويبلغ بهن الوجد أن يحفظن صورهم ويقدسنها كل التقديس ، وقد يتاح لأحد المرضى أن يتصل بمعشوقه بالمسرة (التليفون) فيتلذذ بسماع صوته وكلامه .

ومن الذكور أو الإناث من يحب مغنياً أو مغنية مشهورة ، ويشترون حاكيا « فوتوغراف » يديرون عليه القرص المسطر عليه صوتهما .

ولقد أشار الإسلام إلى هذا المرض ، واعتبر المصابين به لوثة ووباء ،

---

(١) مجته : تفلت في وجهه ولفظت فيه .
(٢) على مضض : أى كارهاً متألماً .

وحذر من هذا العشق، فقال رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَمع إلى قَينة صُبَّ في أُذُنَيْه الآنُكُ[1] يَوْم القِيَامة»[2] وقال صلوات الله وسلامه عليه: «مَنِ اسْتَمع إلى صوتِ غِنَاء، لم يؤذن له أن يَسْتَمِع إلى صَوْتِ الروحانيّين في الجنة»[3].

٥ - الحبُّ الأفلاطوني أو الهوى العذرى:

وقد يحب الرجل امرأة ما حباً شديداً، ويتمنى أن يتزوجها وهذا أمر عادى ما دام الحب مصحوباً برغبة في الزواج، ولكن إذا أحب رجل امرأة أو بالعكس، وقدس هذا الحب، ولم يفكر في التمتع بالمحبوب بالزواج، فهذا هو المرض، وهذا الحب منتشر بين الخياليين من الناس، وخاصة الشعراء ولا يحب أحدهم إلا معشوقته، ولا ينظر إلى سواها، ولو كانت قبيحة المنظر، وترى المصابين بالحب الأفلاطونى مصابين في الغالب باحتمال الأذى، وإذا قرأنا كتب الأدب، وجدنا هذا الحب سائداً بين الكثيرين من المحبين منهم، فسموا بالمجانين. اسمع قول جميل بن عبد الله بن معمر في بثينة بنت حبأ بن ثعلبة الذى سمى لعشقها (جميل بثينة):

وإنى لأرْضَى من بُثَينة بالذى ... لو أبْصره الوَاشِى لقرت بَلابله
بلا، وبألا أستطيع، وَبالمنى ... وبالأَمَل المَرْجُو قد خابَ آمِلهُ
وبالنظرة العجلى وبالحول تَنْقَضى ... أواخره لا نَلْتَقِى وَأوائِلُه

وقوله:

أريدُ لأُنْسى ذكرها فكأنما ... تمثل لى ليلى بِكُلّ سبيل

وروى أن جميلاً لقى بثينة بعد تهاجر كان بينهما طالت مدته، فتعاتبا طويلاً، فقالت له: ويحك يا جميل! أتزعم أنك تهوانى وأنت الذى تقول:

---

(١) والآنك: الرصاص المذاب.
(٢) الضعيفة (٤٥٤٩).
(٣) الكنز (٤٠٦٦٠، ٤٠٦٦٦)، القرطبي (١٤/٥٤). وضعيف الجامع (٥٤٠٩).

رَمَى اللهُ فى عَيْنَى بثينة بالقَذى وفى الغر من أَنْيابِها بالقَوَادح

فأطرق طويلاً يبكى ثم قال : بل وأنا القائل :

ألا ليتنى أعمى أصم تقودنى بثينة لا يَخْفَى علىَّ كلامها

وتأمل قول مجنون ليلى :

وإنّى لمجنونٌ بليلى موكل ولستُ عزوفا[1] عن هواها ولا جلدا

إذا ذكرتُ ليلى بكيتُ صبابة لتذكارها حتى يبل البكا الخدا

وقوله :

أرانى إذا صَليتُ يممتُ نَحْوها بِوَجْهِى وإنْ كانَ المصَلّى وَرَائيا

وما بى إشْراكٌ ولكنّ حُبّها كَعُودِ الشّجا أعيا الطبيبَ المداويا

أُصَلّى أدْرِى إذا ما ذَكَرْتُها أثْنتين صَلَّيتُ الضّحى أمْ ثَمانيا

٦ - مرض الكشف التناسلى :

ويوجد فريق من الناس تنحصر كل عواطفهم فى رؤيتهم لأعضاء المرأة أو رؤية المرأة لأعضائهم ، دون الاتصال بها ، فيختفى أحدهم خلف شجرة أو حائط ، فإذا مرت بهم امرأة استوقفوا نظرها واستمنوا أمامها ، ويقول (روسو)[2] فى اعترافاته : لى رغبة شديدة لا أستطيع مقاومتها وهى أن أختفى وراء شجرة عارياً ، منتصب العضو التناسلى لأريه للفلاحات ، ولكنى كنت مضطراً للهرب لأنهن كثيراً ما صرخن فى وجهى ورميننى بالحجارة لقد قال تعالى محذراً المؤمنين أن يقعوا فى هذا المرض : ﴿ **قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ** ﴾[3] .

---

(١) عزف : بَعُد وانحرف .

(٢) روسو جان جاك : فيلسوف فرنسى له كتب ومؤلفات فى ميادين الفكر المختلفة وفلسفات خاصة به . توفى سنة ١٧٧٨م .

(٣) سورة النور الآية : ٣٠ .

وهذا المرض منتشر بين النساء انتشاراً كبيراً ، فلا تهتاج إحداهن إلا إذا كشفت ساقها حتى يراها الناس ، وبعضهن يقفن فى النوافذ عراياً ، ليرى المارة أجسامهن وبعضهن يعرضن سيقانهن ، أو أذرعتهن ، أو عورتهن أمام أحد الرجال أو أمام الناس ، فإذا رأوهن شعرن بالراحة واللذة ، ولقد أشار الله تعالى إلى هذا المرض محذراً المسلمات من التشبه بالمصابات به فى قوله : ﴿ يٰأَيُّها النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [1] .

بل تأمل قوله تعالى فى هذا المرض عامة : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَو بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [2] .

فتأمل كيف بين الله تعالى هذا المرض ، وشرح تفاصيله شرحاً كافياً ، وبين كيف أن من الشواذ فى الجنسين من يعرضون عورتهم على النساء ، وأن من النساء من يعرضن على الرجال عورتهن وسرائر زينتهن أو يُلفتن الأنظار إليهن بالضرب بخلاخيلهن ﴿ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ﴾ ولقد برأ الله تعالى المؤمنين من هذا المرض ، وأمرهم أن يحفظوا أنفسهم من الوقوع فى هذه العلة ، والتلوث بهذا الداء ، بغض البصر ، وحفظ الفرج .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٩ .

(٢) سورة النور الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .

فحذر إياهم من تقليد مرضى النفوس عليلى الأرواح حتى يصبحوا كاملين من جميع الوجوه، لا تشوبهم شائبة، ولا تحوم حولهم أية ريبة .

والآية الكريمة تشمل هذا المرض، ومرض الاستعراض الذى سيأتى شرحه، ومرضا الكشف التناسلى والاستعراض، يمكن أن يقال عنهما إنهما مرض واحد، ولكنا أحببنا أن نفرق بينهما، لأن الأول فيه كشف العورة، والثانى قد لا تكشف فيه العورة، وقد يقتصر فيه الأمر على جلوس الجنسين للمسامرة، والاكتفاء بالحديث والنظر .

وتصاب العجائز كذلك بهذا المرض، وفى هذا يقول عز وجل : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِى لَا يَرْجُون نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعففنَ خَيْرٌ لَهُنَّ والله سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (1) .

٧ - الاستعراض :

ومن النسوة من يكتفين بعرض أنفسهن على الرجال أو يستعرضنهم ليملأن أعينهن بمنظرهم، فيجلسن فى مجالسهم، ويتحدثن معهم، ويظهرن لهم ما استطعن من وسائل الإغراء، ويكتفين فى أغلب الأحيان بذلك، ومثل هؤلاء يدعين الشرف، وتقول لك إحداهن إذا انتقدت جلوسها مع الرجال : إننى شريفة، وما دام لا يمسنى أحد فما الضرر فى أن أجالس الرجال؟ أو تقول : أنا أجلس وسط مائة رجل ولا خوف علىّ، وهى تخفى من وراء هذا القول مرضها، وعشقها لمنظر الرجل، أو عرض نفسها عليه .

ومثل هؤلاء النسوة يتزين تزيناً يجذب أنظار الذكور، ويحاولن إغراءهم بلبس ما يحصلن عليه من أفخر الثياب . وقد يخطئ الرجل فى توسمه وفراسته، فيتزوج إحداهن، ولا يدرى ما يخبئ له القدر، فإذا لم

(١) سورة النور الآية : ٦٠ .

يفطن لمرضها، وعاشرها معاشرة عادية، وعاملها معاملة رُفعت فيها الكلفة، ولم يمتدح ثيابها وزينتها، أهملت معه التزين، وظهرت له فى البيت بصورتها الطبيعية، ولكنها تحاول بعد ذلك إشباع رغبتها، فلا تعزم على الخروج للنزهة من بيتها، إلا وقد ارتدت أفخر ما عندها من الثياب، وعملت أقصى ما تستطيعه من الزينة لتجذب إليها أنظار الأجانب، وقد يوافقها زوجها المسكين على ذلك، ويشترى لها ما تريد من أنواع الزينة، ولوازم الإغراء.

ولقد أشار الإسلام منذ أكثر من أربعة عشر قرناً إلى هذا المرض العضال، ونبه المسلمين إلى مثل هؤلاء النسوة العليلات النفس، وبين العلاج الذى يجب أن يستعمله الرجل فى هذه الحالة، وبين الوسيلة التى يمكنه أن يحفظ المرء شرفه بها، فأمره ألا يساعد امرأته لإبداء محاسنها للناس، وعرض جمالها للسابلة فى الطرقات، فقال رسول الله ﷺ: «اسْتَعِينوا على النِّساء بالعرى، فإنّ إحْدَاهُنَّ إذا أكثرتْ ثِيابَها، وأحْسَنَتْ زِينَتَها، أعْجَبَها الخُروج»[1]. وقال صلوات الله وسلامه عليه: «أعْروا النساءِ يلزمنَ الحِجال»[2]. وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: «اضربوهن بالعري» والله تعالى يقول: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ..﴾[3].

وهؤلاء النسوة من أشد النساء خطراً على المجتمع، فهن يغرين الناس، ويراهن الشيطان حبائله[4] ووسائله لبث الفساد، وإعلان الفسق والفجور، وقد نصح رسول الله ﷺ، من كان ضعيف الإرادة والعقل والنفس، يرى

---

(١) ابن عدى (٣٠٧/١)، كشف الخفاء (١٣٥/١)، وتنزيه الشريعة (٢١٣/٢)، الموضوعات (٢٨٢/٢).

(٢) كشف الخفاء (١٩٥/١)، الموضوعات (٢٨٢/٢)، وتنزيه الشريعة (٢١٢/٢)، والفوائد (١٣٥) وضعيف الجامع (٩٣٩).

(٣) سورة الأحزاب الآية: ٣٣.

(٤) قال رسول الله ﷺ: «النساء حبائل الشيطان» رواه البيهقى وابن عساكر عن عقبة بن عامر.

أمامه هؤلاء العابثات ، فيخشى على نفسه المروق من الدين ، أو الوقوع فى فتنة الشيطان ، أن يهرع إلى أهله ، وهو قوله صلوات الله وسلامه عليه : « إن المرأةَ تُقْبل فى صورةِ شيطان ، وتدبرُ فى صورة شِيطان ، فإذا رأى أحدُكم امرأةً فأعجبتْه فليأتِ أهله ، فإن ذلك يردُّ ما فى نفسه »(١).

وخاطب الرسول صلوات الله وسلامه عليه متين الخلق والنفس فقال : « إن المرأةَ سهم من سهامِ إبليس ، فمن رأى امرأة ذات جمال فغض عنها ابتغاء مرضاة الله ، أعقبه الله عبادة يجد لذتها »(٢) .

وقد حذر الله المؤمنات أن يتشبهن بالمصابات بهذا المرض فقال : ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى فِى قَلْبِهِ مَرَضٌ ﴾(٣) ولا يَغُرَّنَّ النساء قول الشاعر مشجعاً المرأة أن تلين فى كلامها للأجانب ، متعللاً كما ذكرنا بعدم ارتكاب الفاحشة .

يَحْسَبْن مِن لِين الكلام زَوَانيا   وَيَصدُّهُنّ عن الخنا الإسلام

فإن التى تلين للأجنبى فى حديثها ، ليست من الإسلام فى شيء حتى يصدها عن ارتكاب الفاحشة .

والرجل يصاب كذلك بنفس الداء ، ويسمى عند العرب (زير نساء) وهذا المرض منتشر بين المتقدمين فى السن ، وكثير من الشبان يقصدون المشارب ، ولا يبعث فى نفسه اللذة إلا الجلوس مع إحدى الراقصات ، أو البنات هناك ، ليتحادث معها ، وليراها أمامه .

وترى الذكور المصابين بهذا المرض مطروحين فى المقاهى ، أو يسيرون فى الطرقات يتعقبون المارات بأبصارهم ، ويكفيهم من اللذة مجرد رؤية المرأة وهى فى الطريق ، يرمقها بعينيه ، وكأنه يفحصها فحصاً ، وتوشك

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٠٣) ، وأبو داود (٢١٥١) ، وأحمد (٣/ ٣٣٠، ٣٤١، ٣٤٨، ٣٩٥) ، والبيهقى (٧/ ٩٠) .

(٢) انظر الكنز (١٣٠٦٧) ، وجمع الجوامع (٥٨٧٩) .

(٣) سورة الأحزاب الآية : ٣٢ .

نظراته أن تلتهمها التهاماً، وكثيراً ما يتبعها بالكلمات النابية البذيئة، وكثيرون من أمثال هؤلاء المرضى عنّينون، وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذا المرض ونهى عن هذا الفعل بقوله: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلاً * مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾ (1) وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والجلوس بالطرقات» قالوا: يا رسول الله، ما لنا من مجالسنا بُد نتحدث فيها، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «إن أبيتُم فأعْطُوا الطريقَ حَقَّهُ» قالوا: وما حق الطريق يا رسول الله؟ قال: «غَضُّ البَصَر، وكفُّ الأذَى، وردُّ السَّلام، والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المُنْكر» (2).

٨ - تحقير المرأة:

والمريض بتحقير المرأة لا يرى لذته إلا فى ذلك، فيشتمها، أو يسلح عليها ببوله، أو يبصق فى وجهها، أو يرميها بالحبر، أو يلقى عليها بعض القاذورات، فإذا فعل ذلك اهتاج وأمنى، ولا يهمه فى ذلك نوع المرأة، ولكن ما يثير عاطفته المريضة هو الشعور وحده بأنه أهانها وحقرها. ولقد نهى الدين الرجل أن يحقر امرأته أو يهينها فقال صلوات الله وسلامه عليه: «ما أكرمَ النساءَ إلا كريمٌ، ولا أهانَهُنَّ إلا لَئِيم» (3).

٩ - النظارة:

والنظارة أناس لا تتنبه عاطفتهم التناسلية إلا برؤية أشخاص يزنون أمامهم، ولهذا يذهبون جماعات إلى المومسات، ليرى بعضهم بعضاً فى أثناء العملية الجنسية، وتعد فى محال العهر ثقوب، يشاهد منها المرضى ما يجرى فيها، نظير دفع أجر خاص، وقد أخبرنى أحد المصريين أنه فعل

---

(١) سورة الأحزاب الآيتان ٦٠، ٦١.

(٢) البخارى (١٧٣/٣)، مسلم (اللباس ١١٤)، أحمد (٣٦/٣).

(٣) ابن عساكر فى التاريخ (٢٨٢/٤)، الضعيفة (٨٤٥).

ذلك في فرنسا، وشهده المرضى بهذا الداء، ولم يؤخذ منه أجر الزنا لأنه اتخذ ساعتئذ ممثلاً، جمعت لمشاهدته الجماهير أثناء اتصاله الجنسي بالعاهرة.

١٠ - الادّعاء الجنسي:

ومن الناس من هو مريض بالادعاء الجنسي، فلا يلذ له إلا التحدث عن النساء، وحوادثه المزعومة معهن، ويريد أن يفهمك أنه فارس الميدان، وأنه يستطيع أن يجامع كثيراً، وأنه لا يوجد أقوى منه في إرضاء النساء، وأنه يفعل معهن كذا وكذا ويشرح كيف يؤدى هذه العملية. والمدعى بهذا ضعيف من الناحية الجنسية، ويريد أن يخفي مرضه بهذا الادعاء. ولقد سن لنا النبي ﷺ في ذلك سنة حسنة، وهي أننا يجب ألا نصدق من ادعى الزنا بامرأة ما حتى نتأكد من ذلك، وجعل الإسلام عقاب الزاني الجلد للبكر، والرجم للثيب فقد جاء ماعز بن مالك للنبي ﷺ يقول له إنه زنى، فقال له صلوات الله وسلامه عليه: «لعلك قبّلتَ أو غمزتَ[١] أو نظرتَ»[٢] فقال: لا يا رسول الله. فأقيم عليه الحد.

ومن الأزواج من هو مصاب كذلك بهذا الداء، ويلذ له أن يتحدث كثيراً عن قدرته الجنسية، وعن تفاصيل لا يصح إذاعتها من فعل أو قول، ومثل هذا الرجل عليل مريض، ومن الزوجات من هن كذلك، ولقد ذكر الإسلام هذا المرض في قول رسول الله ﷺ: «إنَّ شَرَّ النَّاس عِنْدَ الله منزلةً يوم القيامة، الرجل يُفْضِى[٣] إلى امرأته وتفضى إليه، ثم يَنْشُر سِرَّها وتَنْشُر سِرَّه»[٤].

وممن أصيبوا بنوع من أنواع هذا المرض عمر بن أبي ربيعة، إذ كان

---

(١) المراد بالغمز الجس باليد لأنه ورد في بعض الروايات (أو لمست).
(٢) أحمد (١/ ٢٣٨، ٢٧٠)، الحاكم (٤/ ٣٦١)، الطبراني (١١/ ٣٣٨).
(٣) أفضى الرجل إلى المرأة جامعها أو خلا بها سواء جامع أم لا.
(٤) رواه أبو داود في الأدب (٣٢).

يختلق الروايات عن مغامراته مع النساء، وعن الأحاديث التى يزعم أنها تجرى بينه وبينهن، وكيف أنه محبوب منهن، مقرب لديهن تأمل قوله:

جَرى ناصحٌ بالودّ بينى وبينها ... فقربنى يوم الحِصَاب[1] إلى قتلى
فما أنْس م الأشياء لا أنس موقفى ... وموقفها وهنا بقارعةِ النَّخلِ
فلما تواقفنا عرفتُ الذى بها ... كمثل الذى بى حذوك النَّعل بالنَّعل
فقلن لها: هذا عشاء وأهلنا ... قريب ألَمَّا تسأمى مركب البَغْل
فقالت: فما شئتن قلن لها: انزلى ... فللأرض خيرٌ من وقوف على رَحْلِ
فأقبلنَ أمثال الدمى فأكتَنَفْنها[2] ... وكل يفدى بالمودةِ والأهل
نجومُ درارى تكنفن صورةً ... من البدر وافت غير هوج[3] ولا ثجل[4]
فسلّمتُ واستأنستُ خيفةَ أن يرى ... عدو مكانى أو يرى كاشح[5] فعلى
فقالتْ وألقتْ جانب الستر: إنما ... معى فتحدث غير ذى رقبة أهلى
فقلتُ لها: ما بى لهم من ترقب ... ولكنَّ سِرّى لَيْس يحملهُ مثلى
فلما اقتصرنا دونهنَّ حديثنا ... وهن طبيبات بحاجة ذى التبل[6]
عرفنَ الذى نهوى فقلن: ائذنى لنا ... نطف ساعة فى برد ليل وفى سهل
فقالت: فلا تَلبثن قلن: تحدثى ... أتيناك وانسبن انسياب مها الرّمل
وقُمْن وقد أفهمنَ ذا اللّب أنما ... أتين الذى يأتينَ من ذاكَ من أجلى

وقوله:

قالت على رقبة يوماً لجارتها: ... ما تأْمرين فإنّ القلب قد شغلا
فجاوبتها حصّان غير فاحشةٍ ... برجع قول وأمر لم يكن خطلا[7]

---

(١) الحصاب: موضع وموعد رمى الجمار.
(٢) اكتنف: جعله فى كنفه وجواره.
(٣) هوج: أسرع بحمق. (٤) ثجل: ضخُمه.
(٥) الكاشح: العدو. (٦) التبل: الحب والثأر.
(٧) الخطل: الحمق.

أقنى حياءك فى ستر وفى كرم — فلست أول أنثى علقتْ رجلا
لا تكْشِفِى حبّه حتى أكاشفه — إنى سأكْفِيكه إن لم أمت عجلا
صدّت بعاداً وقالتْ للتى معها: — بالله لُوميه فى بعض الذى فعلا
وحدثيهِ بما حدثت واستَمِعى — ماذا يقول ولا تَعْيَىْ به جدلا
وعرفيه به كالهزل واحتفظى — فى غير معتبة أن تغضبى الرجلا
فإن عَهْدى به والله يحفظه — وإن أتى الذّنْبُ ممن يكره العذلا[1]

ويقول الله تعالى فى مثل ذلك: ﴿ وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ * وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَالَا يَفْعَلُونَ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللهَ كَثِيراً وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾[2].

١١ – الإفك :

وهنالك مرض نفسى آخر، سماه الله تعالى بالإفك. وهو كالمرض السابق، غير أن الحديث لا يتناول به المريض نفسه، أو من تتصل به بل يتناول غيره، فيأخذ فى الافتراء على من يعرفهم أو لا يعرفهم، رجالاً ونساء، ويزعم أنه يعرف عنهم الفسق والفجور والزنا، وهذا المرض نفسى وجنسى، لأنه يتناول موضوع الجماع وقد يصف الأفاك حركات جماع من يدعى عليهم، وكأنه شاهدهم بالفعل. وهذا المرض يكثر كذلك بين صغار السن، ويسأل المصاب منهم، فيروى لك عن أى إنسان ما يكون قد رآه مصادفة من أبيه وأمه، فإن الصغير أو الكبير الذى يرى العملية الجنسية من أبيه وأمه أو غيرهم يصاب غالباً بصدمة عصبية، وتنطبع فى ذهنه هذه الحادثة، فلا يزال يرويها بصور مختلفة حتى بعد أن يكبر فى السن، وقد

---

(١) العذل : اللوم .
(٢) سورة الشعراء الآيات : ٢٢٤ – ٢٢٧ .

يظن بعض الأطفال حين يرى أباه على أمه أنه يقتلها ، أو يخنقها ، فتتأثر أعصابه ، فيصاب بالمرض الذى قد لا يتركه بعد ذلك أبداً حتى الموت .

وقد جاء فى سورة النور آيات بينات عن الإفك ، وهو قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ * لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْراً وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ ﴾ وقوله : ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللهِ عَظِيمٌ * وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوه قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ * يَعِظُكُمُ اللهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [1] .

ولما كان الإفك ليس خطراً على الفرد وحده ، بل خطراً على عائلتين كاملتين ، جعل الله عقاب آتيه ثمانين جلدة ، وعامله معاملة الحيوان بأن لا تقبل شهادته ، ونعته عند ذلك بالفسق فقال جل شأنه : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أبداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [2] والذى يدل على أن الإسلام اعتبر الإفك علة نفسية جنسية ، وهوى قلبياً مرضياً قوله جل شأنه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِى الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى الدُّنْيَا والآخِرَةِ واللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [3] فبدهى أن الرجل السليم لا يحب إلا الطيب من القول ولكن إذا أحب الفاحشة وإذاعتها كذباً وزوراً فهنا المرض النفسى العضال .

---

(١) سورة النور الآيات : ١١ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٦ ، ١٧ .

(٢) سورة النور الآية : ٤ .

(٣) سورة النور الآية : ١٩ .

١٢ – عشق الجنس :

قال رسول الله ﷺ : « لَعَنَ اللهُ المتشبهاتِ من النساءِ بالرجال ، والمتشبهينَ من الرجالِ بالنساء »[١] وقال صلوات الله وسلامه عليه : « لَيْس منا من تشبَّه بالرِّجال من النساءِ ، ولا من النساءِ بالرِّجال »[٢] .

١ – عشقُ الجنس فى النساء :

قال رسول الله ﷺ : « لَعنَ اللهُ الرجْلة من النساء »[٣] .

والرجلة من النساء هى الشاذة التى تشعر فى صميم نفسها أنها رجل ، فتميل إلى بنات جنسها ، وتصبح عندها رغبة جنسية شاذة فى الاختلاط بالنساء ، وتتخذ لنفسها عادات الرجال وأخلاقهم وملابسهم ، فتقص شعرها[٤] وتمارس الألعاب الرياضية الخاصة بالذكور .

والمريضة بهذا الداء يسهل إغراء الفتيات بالتحايل عليهن لتكسب عطفهن بأن تظهر لهن شيئاً من الحب والحنان العادى بين النساء ، ثم تتبع ذلك بالقبلات والعناق والنوم فى فراش واحد ، وهو أمر عادى بين النساء ، وبعد ذلك تعمل المريضة على إيقاظ شعور اللذة والشهوة فى نفس ضحيتها شيئاً فشيئاً ، وكثيراً لا تدرك الضحية ما وراء المظاهر من شذوذ ، وقد تستسلم لعواطفها دون تفكير . ومنهن من يقعن بدورهن فى هذا الحب الشاذ ، وتكثر هذه الحالات فى الأمكنة التى ينفرد فيها البنات والنساء كالمصحات ، والمدارس الداخلية ، وخاصة الثانوية ، حيث تكون الفتيات فى دور تيقظهن الجنسى ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « سِحاقُ النساءِ زنا

---

(١) أخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد (١٠٣/٨) ، الترغيب (١٠٣/٣) ، الكنز (٤٥٠٢٠) ، وأخبار أصفهان (١٢٠/١) ، ومشكاة المصابيح (٤٤٢٩) .

(٢) أخرجه أحمد (٢٠٠/٢) ، الحلية (٣٢١/٣) ، العقيلى (٢٣٢/٢) .

(٣) كنز (٤٥٠١٨) ، وصحيح الجامع (٥٠٩٦) .

(٤) يقول الحنفية إن شعر المرأة يحرم حلقه لغير ضرورة ولو أذن الزوج فى ذلك ، لأنه لا يحل أن تتمثل المرأة بالرجل .

بينهنَّ »[1] ولذلك أمر الدين ألا تنام البنات مع بعضهن ، وكذلك البنين فى قول رسول الله ﷺ : « وفرقُوا بينهمْ فى المضاجعِ »[2] .

روى (فوريل)[3] حادثة إحدى المريضات تمكنت أن تخفى شخصيتها ، وأن تعقد قرانها رسمياً على فتاة ، وحينما كُشف أمرها ، أرسلت إلى إحدى المصحات ، وأرغمت على لبس ملابس النساء ، ولكن الغريب فى هذا أن ضحيتها لم تنفك عن حبها وعشقها رغم ذلك .

وحكى عن أخرى سميت نفسها (الكونت ساندور) وتزوجت امرأة اسمها (مارى) فى هنغاريا ، وكانت تخدعها بأعضاء تناسلية مصطنعة ، ولاحظت الزوجة وجود دم فى كل شهر فى ملابس زوجها ، فسألته فى ذلك فادعى أنه دم بواسير ، ولكن الزوجة وخادمتها فاجأتاه فى الحمام فعرفا الأمر فقدم للمحاكمة للتزوير فى عقد الزواج ، وأعرف امرأة تسكن إلى اليوم حياً من أحياء القاهرة تعاشر امرأتين معاشرة الأزواج ، وهما مستأجرتان له منزلاً ، وينفقان عليه . ومن غرام النساء بالنساء قول (فضل) الشاعرة فى (قبيحة) جارية المتوكل :

سلافة كالقمرِ الباهرِ ... فى قدح الكوكب الزاهرِ
يديرُها خشف كبدرِ الدُّجىَ ... فوقَ قضيبٍ أهيفَ ناضر

ومن ذلك قول (علية) بنت المهدى فى جاريتها (زينب) :

أَضحى الفؤادُ بزينبا ... صبا كئيباً متعباً

وجاء فى (الأغانى) أن أول امرأة أحبت امرأة فى العرب هند بنت النعمان بن المنذر ، كانت تهوى (زرقاء اليمامة) فلما ماتت وبلغ (هنداً)

---

(١) كشف الخفاء (٥٤٤/١ ، ٥٤٥) ، الكنز (١٣٠١٠) ، والمطالب العالية (١٨٠٩) .
(٢) أخرجه أبو داود (٤٩٥ ، ٤٩٦) وأحمد ٢/ ١٨٠، ١٨٧) .
(٣) **فوريل** ، **فرانسوا ألفونس**: طبيب وعالم فيزيقى سويسرى ، كان أستاذ التشريح والفسيولوجيا بجامعة لوزان - توفى سنة (١٩١٢م) .

خبرها، ترهبت ولبست المسوح، وبنت ديراً يعرف بدير هند إلى الآن، فأقامت فيه حتى ماتت [1].

٢ – عشقُ الجنس في الرجال:

وهذا المرض منتشر كل الانتشار حتى أنه يوجد في أوروبا وأمريكا والبرازيل وغيرها مواخير خاصة يعمل فيها الرجال بدلاً من النساء، ويفسر هذا المرض الحالة التي يحكيها (فوريل) عن شاب في الثانية والعشرين من عمره، له أب سكير، وأخت معتوهة، رقيق الجسم، وافر الذكاء، تملكته منذ الطفولة فكرة أنه فتاة على الرغم من تمام تكوين أعضائه، فكان يستحي من الصبيان، ويميل ميلاً شديداً إلى ارتداء ملابس النساء وحاول أهله أن يعلموه صناعة من صناعات الرجال ففشلوا، وقد اشتبهت فيه الشرطة ظناً منهم أنه امرأة متنكرة، فاعتقل، ولما اضطر إلى ارتداء ملابس الرجال، عزى نفسه بلبس قميص نسائي ومشد (كورسيه) تحت ملابسه الخارجية.

ويروى (كرافت إبنج) ما يحصل في إحدى الأندية الخاصة بعشق الجنس من الرجال الذين يرتدون ملابس النساء، ويضعون الأصباغ مثلهن، ويتحلون بالعقود والأقراط الذهبية والأساور، ويضعون الأزهار على صدورهم، ويمسكون بالمراوح في أيديهم، ويتبخترون تبختر النساء، ويلبسون (الديكولتية). يقول كرافت: وسألت صاحبي عن هؤلاء السيدات فضحك وقال: سيدات!! إن الشقراء الجالسة إلى اليمين ذات الفستان القصير حلاق، والثانية ذات العقد اللؤلؤي التي تعرف هنا باسم (مس إيلا) ليست إلا خياطاً لملابس السيدات، وأما (الثالثة) فهي (لوتي) الشهير.

قال كرافت: وقد وجدت بعد البحث والتحري من الحاضرين كثيرين ممن أعرفهم فقد رأيت (ليونورا) بائع الخردوات، و(ديانا) خادم القهوة، ورأيت صانع الأحذية وغيرهم، وكلهم كنت أعرفهم من قبل دون أن يخطر ببالي أنهم مصابون بهذا الشذوذ.

---

(١) الأغاني ج ٢ ص ١٣٢ مطبعة دار الكتب المصرية سنة ١٩٢٨م.

ولقد حرم الإسلام كما قدمنا التشبه بالنساء تحريماً باتاً، بل لقد أمر بأن لا يخضب الرجل يديه أو رجليه بالحناء[1] أو أن يحلق شاربه ولحيته[2] أو يحلق شعر صدره وظهره[3] .

٣ – اللواطُ بين الكبار :

ويجر عشق الجنس من الرجال إلى اللواط . وقد تكلمنا عنه بالتفصيل في مؤلفنا (الإسلام والطب) فلا نرى داعياً إلى الكتابة عنه هنا من جديد، ولكننا نكتفي بذكر قوله تعالى : ﴿ وَلُوطاً إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ۞ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ ۞ وَمَا كَانَ جَوابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ۞ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ۞ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴾[4] وقوله : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴾[5] .

٤ – اللواط بالصغار :

وهنالك من لا يأتون غير الصغار من الذكور، بين سن الثامنة إلى السادسة عشرة، ولا يثير فيهم كبار السن شهوة .

---

(١) لا يجوز الخضب عند المالكية لغير ضرورة لما فيه من التشبه بالنساء وهو مكروه كذلك عند الحنفية ، وإذا أريد بالخضب التشبه بالنساء فحرام وموجب للعن .

(٢) الحلق مكروه عند الشافعية ، وحرام عند الحنفية والمالكية ، وإذا أريد به التشبه فهو موجب للعنة الله .

(٣) يباح عند المالكية حلق جميع الشعر الذى على البدن كشعر الصدر واليدين والألية والشعر الذى على حلقة الدبر . ويظهر أن هذا إذا كان الشعر كثيفاً كثيراً يخشى منه تشويه الجسم . ويقول الحنفية إن حلق شعر الصدر والظهر خلاف الأدب . وعلى كل حال إذا قصد بالحلق التشبه بالنساء فحرام قطعاً .

(٤) سورة الأعراف الآيات : ٨٠ – ٨٤ .

(٥) سورة الحجر الآيتان : ٧٣ ، ٧٤ .

١٣ - لواط الحيوان :

قال رسول الله ﷺ : « أربعةٌ يُصْبحون فى غضبِ الله ، ويُمْسون فى سَخَطِ الله : المتشبهون من الرجال بالنساء ، والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذى يَأْتِى البهيمة ، والذى يَأْتِى الرِّجال »[١] وقال صلوات الله وسلامه عليه : « من أتى بهيمة فاقتلوه واقْتُلُوها مَعَه »[٢] .

ولواط الحيوان منتشر انتشاراً كبيراً قد لا يخطر بالبال ، وقد قال لى الكثيرون من فلاحى مصر أن هنالك من مرضى النفوس من الفلاحين من لا يتعفف أن يأتى (حمارة) أو شاة أو معزة ، ومنهم من يأتى الجمل ، وذكر لى أحد الفلاحين أن أحدهم أرداه جمل أراد أن يقع عليه ، وروى لى آخر أن بعض هؤلاء الشاذين يربطون خصيتى الحمار ويثقلونها بحجر فيتمدد شرجه فيأتونه فيه .

ويذكرنى جماع الحيوان بذلك الأعرابى الذى مثل أمام القاضى لمضاجعته شاته فقال للقاضى : أليس لى الحق أن أذبحها فلماذا أحرم مضاجعتها !؟

ويحدث أحياناً أن تسمح بعض الإناث للحيوان بإتيانهن ، وهنالك على ميزاب كنيسة نوتردام دى ماربيه ، بفيلفرانش على نهر السون ، تمثال يرمز لها . ولا يجهل أحد انتشار استعمال صنف خاص من الكلاب فى مصر وغيرها من سائر بلاد العالم لمباشرة المريضات بهذا المرض ولعق عورتهن .

---

(١) ابن عدى (٢٢٣٣/٦) ، الكنز (٤٣٩٨٢)، والمجمع (٢٧٢/٦) .

(٢) أبو داود (٤٤٦٢) ، والترمذى (١٤٥٤)، والحاكم (٣٥٥/٤، ٣٥٦)، والبيهقى (٢٣٣/٨) .

١٤ – التَّخنث :

قال رسول الله ﷺ : « لَعَنَ اللهُ المُخنَّثِين مِنَ الرِّجال ... » [١] والمخنث هو الذى يميل أول الأمر إلى الجنسين بقدر متساو . وهو فاعل ومفعول به ، وينتهى به الأمر إلى أن يكون عنيناً . ذكر فوريل واقعة رجل متزوج كان قادراً على زوجته ولكنه كان يخونها مع غيرها من النساء ، كما كان يأتيه الرجال ، وقال أحد هؤلاء المرضى ذات يوم أن أمنيته أن يصادف رجلاً له مهبل كمهبل المرأة .

ومن المخنثين من يأتى المرأة فى قبلها ، ويأتيها كذلك فى دبرها ، ولهذا يقول صلوات الله وسلامه عليه : « مَلْعُونٌ مَنْ أَتى امرأته فى دُبُرِها » [٢] . ويقول كذلك ﷺ : « لا يَنْظر اللهُ إلى رجلٍ أَتَى رَجُلاً أو امرأةً فى دُبُرِها » [٣] ومثله قوله ﷺ : « مَنْ نَكَحَ امرأةً فى دُبُرِها ، أو رجلاً أو صبياً ، حُشِر يوم القيامة وريحُهُ أنتنُ من الجيفةِ يَتأذّى به النَّاس حتى يدخلَ النَّارَ ، وأحبط الله أجره ولا يقبلُ منه صرفاً ولا عدلاً ... » [٤] .

وروى أن النبى عليه الصلاة والسلام نفى مخنثاً من المدينة إلى الحمى وقال فيه : « لا يَدْخلنّ هؤلاء عليكنّ » [٥] ولما ولى عمر الخلافة قيل له إنه وهن واحتاج ، فأذن له فى الدخول كل يوم جمعة . فكان يدخل يستطعم ثم يعود إلى منفاه .

---

(١) أخرجه البخارى فى اللباس ، أحمد (١/ ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٣٧، ٣٦٥).

(٢) أخرجه أبو داود فى (٢١٦٢) ، وأحمد (٢/٤٤٤) ، والبغوى فى شرح السنة (٩/١٠٦) .

(٣) أخرجه الترمذى (١١٦٥) ، وابن حبان (١٣٠٣) ، وابن أبى شيبة (٤/٢٥٢) .

(٤) مسند الحارث ابن أبى أمامة من حديث أبى هريرة ، وابن عباس قال : خطبنا رسول الله ﷺ قبل وفاته وهى آخر خطبة خطبها فى المدينة حتى لحق الله عز وجل وعظنا فيها وقال : الحديث .

(٥) أخرجه البخارى (٥/ ١٩٨، ٧/ ٤٨، ٢٠٥) ، والبيهقى (٨/ ٢٢٣، ٢٢٤) والحميدى (٣٩٧) وانظر مشكاة المصابيح (٣١٢١) . صدر الحديث منه ﷺ حين دخل على الراوية وعندها هذا المخنث فسمعه يقول لعبد الله بن أمية : إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان . أى تقبل بأربع من العكن جمع عكنة وهو ما انطوى وتثنى من لحم البطن سمنا ، يريد أن لها أربع عكن ، فإذا أقبلت رؤيت مواضعها منكسراً بعضها على بعض ، وإذا أدبرت كانت أطراف هذه العكن عند خاصرتها ثمانية .

وقيل لعمر بن عبد العزيز : إن بالمدينة مخنثاً ، قد أفسد نساءها فكتب إلى عامله بالمدينة أن يحمله ، فأدخل عليه ، فإذا شيخ خضيب اللحية والأطراف ، معتجر بِسَبَنِيَّة[1] ، وقد حمل دفا في خريطته ، فلما وقف بين يدى عمر ، صعد بصره فيه وصوَّبه وقال :سوأةً لهذه الشيبة وهذه القامة ! أتحفظ القرآن ؟ قال : لا والله يا أبانا . قال : قبحك الله ! وأشار إليه من حضره فقالوا : اسكت اسكت فقال له عمر : أتقرأ من المفصل شيئاً ؟ قال : وما المفصل ؟ قال : ويلك ! أتقرأ من القرآن شيئاً ؟ قال : نعم أقرأ (الحمد لله) وأخطئ فيها فى موضعين أو ثلاثة ، وأقرأ ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ .. ﴾ وأخطئ فيها ، وأقرأ ﴿ قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ﴾ مثل الماء الجارى قال : ضعوه فى الحبس ، ووكلوا به معلماً يعلمه القرآن وما يجب عليه من حدود الطهارة والصلاة ، وأجروا عليه فى كل يوم ثلاثة دراهم ، وعلى معلمه ثلاثة دراهم أخر ، ولا يخرج من الحبس حتى يحفظ القرآن أجمع ، فكان كلما علم سورة نسى التى قبلها ، فبعث رسولاً إلى عمر : يا أمير المؤمنين وجّه إلىّ من يحمل إليك ما أتعلمه أولاً فأولا ، فإنى لا أقدر على حمله جملة واحدة ، فيئس عمر من فلاحه وقال : ما أرى هذه الدراهم إلا ضائعة ، ولو أطعمناها جائعاً أو أعطيناها محتاجاً أو كسوناها عارياً لكان أصلح ، ثم دعا به ، فلما وقف بين يديه ، قال له : اقرأ ﴿ قُلْ يَـٰأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ قال . أسأل الله العافية ! أدخلت يدك فى الجراب فأخرجت شر ما وضع فيه وأصعبه ، فأمر به فوجئت عنقه ، ونفاه ، فاندفع يغنى وقد توجهوا به .

عوجى علىّ فَسَلِّمِى جَبْرُ   فيم الوقوف وأنتم سفر
ما نلتقى إلا ثلاث منى   حتى يفرق بيننا الدهر

فلما سمع الموكلون به حسن ترنمه خلوه وقالوا له : اذهب حيث شئت[2] .

---

(١) شد على رأسه إزاراً أسود متخذاً من الحرير يلبسه النساء .
(٢) الأغانى ج ٦ ص ٢٣٧ .

ومن المخنثين من يتزيى بزى النساء، ويتزين كما يتزينّ.

وكان بالمدينة بعض المخنثين منهم (طويس) و(الدلال) و(هنب) أمر بهم سليمان بن عبد الملك فخصاهم. وحدث الزبيرى عن الدلال قال: إنما لقب الدلال لشكله، وحسن دله، وظرفه، وحلاوة منطقه، وحسن وجهه وإشارته. وكان مشغوفاً بمخالطة النساء ووصفهن للرجال. وكان من أراد خطبة امرأة سأله عنها وعن غيرها، فلا يزال يصف له النساء واحدة فواحدة حتى ينتهى إلى وصف ما يعجبه، ثم يتوسط بينه وبين من يعجبه منهن حتى يتزوجها.

وقال الزبيرى: أنا أعلم خلق الله بالسبب الذى من أجله خصى الدلال، وذلك أنه كان القادم يقدم المدينة، فيسأل عن المرأة يتزوجها فيدل على الدلال، فإذا جاءه قال له: صف لى من تعرف من النساء للتزويج، فلا يزال يصف له واحدة بعد واحدة حتى ينتهى إلى ما يوافق هواه، فيقول: كيف لى بهذه؟ فيقول: مهرها كذا وكذا، فإذا رضى بذلك أتاها الدلال، فقال لها: إنى أصبت لك رجلاً من حاله وقصته وهيئته ويساره ولا عهد له بالنساء، وإنما قدم بلدنا آنفاً، فلا يزال بذلك يشوقها ويحركها حتى تطيعه، فيأتى الرجل فيعلمه أنه قد أحكم له ما أراد، فإذا سوى الأمر وتزوجته المرأة، قال لها: قد آن لهذا الرجل أن يدخل بك، والليلة موعده، وأنت مغتلمة [1] شبقة [2] جامة، فساعة يدخل عليك قد دفقت عليه مثل سيل العرم، فيقذرك ولا يعاودك وتكونين من أشأم النساء على نفسك وغيرك، فتقول: فكيف أصنع؟ فيقول: أنت أعلم بدواء حرك ودائه وما يسكن غلمتك، فتقول: ما أجد له شيئاً أشفى من الوقاع [3] فيقول لها: إن لم تخافى الفضيحة فابعثى إلى بعض الزنوج حتى يقضى بعض وطرك، ويكف عادية حرك فتقول له: ويلك! ولا كل هذا! فلا تزال المحاورة بينهما حتى

---

(١) مغتلمة: مغطاة. (٢) الشبقة: شبق: اشتدت شهوته.

(٣) أبدلنا اللفظ الذى رواه ومثله، الأغانى ج ٤ ص ٢٧٠، والوقاع: الجماع.

يقول لها : فكما جاء على أقوم ، فأخففك وأنا والله إلى التخفيف أحوج ، فتفرح المرأة فتقول هذا أمر مستور فيقع عليها ، حتى إذا قضى لذته منها ، قال لها : أما أنت فقد استرحت وأمنت العيب وبقيت أنا ، ثم يجئ إلى الزوج ، فيقول له : قد واعدتها أن تدخل عليك الليلة ، وأنت رجل عزب ، ونساء المدينة خاصة يردن المطاولة في الجماع ، وكأني بك كما تدخله عليها تفرغ وتقوم فتبغضك وتمقتك ولا تعاودك بعدها ولو أعطيتها الدنيا ، ولا تنظر في وجهك بعدها ، فلا يزال في مثل هذا القول حتى يعلم أنه هاجت شهوته ، فيقول له كيف أعمل ؟ قال : تطلب زنجية فتواقعها مرتين أو ثلاثاً حتى تسكن غلمتك ، فإذا دخلت الليلة إلى أهلك لم تجد أمرك إلا جميلاً ، فيقول له ذاك : أعوذ بالله من هذا الحال أزنا وزنجية ؟! والله لا أفعل ! فإذا أكثر محاورته قال له : فكما جاء عليَّ فقم عليّ أنا حتى تسكن غلمتك ، وشبقك ، فيفرح فيواقعه مرة أو مرتين ، فيقول له : قد استوى أمرك الآن وطابت نفسك ، وتدخل على زوجتك فتثب عليها وثباً يملؤها سروراً ولذة ، فيطأ المرأة قبل زوجها ، ويطأه الرجل قبل امرأته . فكان ذلك دأبه ، إلى أن بلغ خبره سليمان بن عبد الملك ، فكتب بأن يخصى سائر المخنثين فورد الكتاب على ابن حزم فخصاهم .

١٥ - العادةُ السرية :

واستعمال الفتى يده للاستمناء ، مرض نفسى جنسى خطير ، ولا يمكن أن يفعل الرجل العادى ذلك ، وهذا المرض يستفحل ، ويصبح بعد ذلك عادة يصعب الإقلاع عنها ، ويرجع هذا الداء كغيره من الأمراض التى نحن بصددها ، إلى لوثات وراثية ، ومضاعفات لعلل خلقية ، ولا يقل ضرر هذا المرض عن أضرار اللواط .

والمرأة تمارس كذلك الاستمناء بطرق كثيرة ، فيحدث عندها اضطرابات عصبية شتى ، وقد تسوء حالها ، فتعوقها عن السعادة فى الزواج .

وتنشأ العادة السرية فى البنات، منذ شعورهن باللذة عند ركوب الدراجات (البسكليت) باحتكاك أفخاذهن، مما يهيجهن، أو باستعمال آلات الحياكة (ماكينات الخياطة) التى تديرها الأرجل، وقد يتمادى بهن الحال، فيحاولن إدخال أشياء غريبة فى مهابلهن، كأقلام الرصاص، أو الأصابع، أو رقبة الزجاجات، أو الخيار، وما شاكل ذلك مما يؤدى إلى إصابة أعضائهن التناسلية بإصابات لا حد لها، ويوقعهن فى مصائب لا قبل لهن بها.

وقد أشار الدين إلى هذه العادة، ولعن صاحبها، ونهى عن فعلها لبالغ ضررها، ولعظم خطرها، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «سَبْعَةٌ لا ينظر الله إليهم يوم القيامةِ، ولا يزكيهم، ولا يجمعهم مع العالمينَ، يُدْخلهم النار أول الداخلينَ، إلا أن يتُوبوا، إلا أنْ يَتُوبوا، إلا أنْ يَتُوبوا، ومن تابَ تابَ الله عليه: الناكحُ يَدَه، والفاعلُ والمفعول به، ومدمنُ الخمر، والضاربُ أبويه حتى يستغيثا، والمؤذى جيرانه حتى يَلْعَنُوه، والناكحُ حليلة جارِهِ» (١).

١٦ - الفسقُ بالأقارب:

وهو مرض مشهور كذلك، وهو أن يأتى الرجل ابنته، أو أحد محارمه. وقد فعل ذلك الوليد بن يزيد بن عبد الملك مع ابنته (٢) إذ خرج يوماً من مقصورة له إلى مقصورة، فإذا هو ببنت له معها حاضنتها، فوثب عليها فانتزعها، فقالت له الحاضنة: إنها المجوسية!! قال: اسكتى ثم قال:

من راقبَ الناسَ ماتَ غماً ... وفـازَ بـالـلـذةِ الجسـورُ

وكالآخر الذى يحلل هتك عرض البنات، ويرى أن آباءهن أولى بهن من الأغراب، كما أن النبات لمن زرعه ورباه فيقول:

ألـيسَ الـنبـاتُ لمن ربـا ... وسقاهُ فى الزمنِ المجدبِ

---

(١) انظر إرواء الغليل (٥٨/٨)، الكنز (٤٤٠٤٠)، كشف الخفاء (٥٤٢/١)، والعلل (١٤٤/٢).
(٢) الأغانى ج ٧ ص ٦٠.

ومن هؤلاء المرضى ، رجل يأتي إلى بيته سكراناً ، ويضطر زوجته أن تساعده على هتك عرض بناته كما روى (فوريل) وغيره .

وقد أشار الإسلام إلى هذا المرض ، وأمر أن يقتل الفاسق فعن يزيد بن البراء ، عن أبيه ، قال : لقيت عمي ومعه دابة . فقلت : أين تريد ؟ قال : بعَثني رسول الله ﷺ إلى رَجلٍ نَكَحَ امرأةَ أبيه ، فأمرني أن أضربَ عُنقه وآخذَ ماله [1] .

١٧ - الزنــا :

والزنا مرض نفسي جنسي من أشد الأمراض فتكاً بالمصابين به ، وقد شرحنا نفسية الزناة ، وحللنا أخلاقهم في مؤلفنا (الإسلام والطب) في مبحث (نكاح الزاني والزانية) فلا نرى داعياً إلى تكرار ما بيناه هنالك ، ولكن لا أرى بأساً أن أنقل حرفياً نبذة صغيرة مما قلناه آنفاً قلت :

« فالزانية مخلوقة شاذة ، وشذوذها لا يتفق مع طبيعة الرجل العادى من الناحية العقلية ، والنفسية ، والجنسية ، وهى مسلوبة الشرف والعفاف ، ظاهرة اللؤم والنفاق ، ترضى كل طارق وتدعى حب كل زان ، تبتسم ابتسامة ملؤها النفاق والخداع ، وتقبل عن نفس سقيمة عليلة ، وروح خادعة غاشة ، ألقت برقع الحياء ، ولبست أثواب الخبث والخديعة ، لا كرامة لها ، ولا قوام لأخلاقها ، لها عقيدة فاسدة ، ورأى ضال ، فلا تصلح أن تكون شريكة رجل مسلم مهذب النفس ، قويم الأخلاق ، حسن الطباع » .

وبعد أن ذكرنا هنالك علة البغاء ، وأنواع الزانيات والأثر الوراثى للزنا ، وبعد أن ذكرنا ذكر وراثة البغاء فى القرآن الكريم وصعوبة إقلاع المومس عن الزنا ، ذكرنا أن الزناة من الذكور كالمومسات من الإناث فقلنا :

« ولا تختلف أخلاق الزانى عن أخلاق الزانية فى شيء ، فالزانى أخلاقه

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٥٧/٤) .

كأخلاق البغى ، ونفسه كنفسها تماماً ، وهذا يفسر لك السقوط الخلقى الشديد الذى تشاهده فى بعض الذكور من الشبان والرجال فى هذا العصر ، وتسمع عنه فى سائر العصور فتجد الزانى من هؤلاء وقد انطبعت فى مخيلته صورة الحياة الجنسية الشاذة ، وتمركزت عقليته فى أعضائه التناسلية ، فتجد أحاديث هؤلاء السفلة لا تجد مجالاً إلا فى ذكر العملية الجنسية ، ولا تجد لهؤلاء الأوشاب موضعاً للافتخار إلا بمصاحبة المومسات والفاجرات ، ويزهو الواحد منهم بمراقصة البغايا ، وتراه من ضيق عقليته يزعم أنه محط أنظار الزانيات ، ولا يدرى أن الزانية لا تفرق بين الذكور ، ولا تعنى إلا بمن تعيش على حساب ضعفه الخلقى ، وسقوطه النفسى الشديد . قال تعالى : ﴿ والْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ .. ﴾ [1] إلى أن قلنا : « وما الزانى إلا حيوان منحل الخلق ، سقيم النفس ، خبيث الطبع ، لئيم مخادع ، تحسبه إنساناً إذا قابلته ، وتخاله رجلاً إذا لمحته ، تفضله الأنعام بما فيها من الصفات النافعة . ختم الله على قلبه فلا يسمع إلا لحن الخبث ، ولا تتلقى أذنه إلا نداء الفحش والفجور ، ولا يرى إلا القبيح ، فإذا صادف ناظريه الشىء الحسن انعكس على مرآة عقله السقيم ، فيراه عليلاً شائناً ، يسير فى الحياة مخادعاً يحاول أن يظهر بمظهر العادين من الرجال ، ويعمل جهده لإخفاء سريرته ، فتفضحه سيرته ، فيبدو أمام الناس عارياً من الفضائل ، مجرداً من الصفات الإنسانية السامية ، إذا نصحته وأنت ترجو إصلاحه ، نبذ نصيحتك نبذ النواة ، ويعجب منك كيف لا ترى بمرآته العمياء ، وتفهم ما يفهم عقله العليل ، وإذا طلبت منه الانقياد إلى تعاليم الله واتباع الدين الحق ، أخذته العزة بالإثم ، وكبر عليه أن يسير على طريق متبعى الدين ، لأنهم - كما يرى عقله الضعيف - سفهاء . والزانى بجانب ذلك كله نفاق ، فإذا وجد أن مصلحته الادعاء بالصلاح ، أظهر انقياده للفضيلة ، وقد يتحمس بعض الشىء لها ، فإذا خلا إلى

---

(١) سورة التوبة الآية : ٦٧ .

شياطينه ، صارحهم بطويته ومال إليهم بكليته » .

وأرى الرجوع إلى مؤلفى (الإسلام والطب) لمعرفة كيف (تنافق الزانية والزانى فى الاتصال الجنسى البهيمى) وللإلمام (بأمراض الزناة) ، و (وسط الزناة) و (الزناة والخمر) و (الزنا والزواج) و (غاية الإسلام من تحريم نكاح الزناة) وكون (الزنا ينبوع لأخطر الأمراض) و (أولاد الزناة) و (وجه الشبه بين الزناة والمشركين) .

١٨ - إدمانُ الخمر :

ومن الأمراض النفسية الجنسية كذلك مرض إدمان الخمر ، وقد وفينا الكلام فى الخمر فى مؤلفنا (الإسلام والطب) وتكلمنا هنالك عن (الجنون الكحولى) و (الخمر والأخلاق) و (الخمر وشذوذ العاطفة الجنسية) و (تأثير الخمر على الأعضاء التناسلية) و (تأثير الخمر فى النسل)[1] مما لا أرى ضرورة هنا لتكراره وأستطيع أن أقول هنا إن مدمن الخمر لا يصلح البتة للزواج ، لفساد بدنه ، ومرض أخلاقه ، وللعلل النفسية ، وللمضاعفات الجنسية التى يرزخ تحتها ، وتسلبه صفة الإنسانية ، وتعدم فيه الصلاح الذى تقوم عليه العائلة ، ويشاد عليه الزواج .

ومدمن الخمر يبرأ منه الإسلام ، والإسلام لا يقبل من كانت روحه روح مدمن الخمر ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « ثلاثةٌ لا يدخلونَ الجنة أبداً : الديُّوثُ ، والرجلةُ من النِّساءِ ، ومدمنُ الخمرِ »[2] .

---

(١) ومما تكلمنا عنه كذلك « تعريف الخمر » و « علة التسمية » و « خلايا التخمر » و « الغول » و « أهم أنواع الخمور » و « كيف تصنع الخمور » و « تحضير الكحول النقى » و « الغول ونجاسة الخمر » و « ما ينسب إلى الخمر من منافع » و « تحكم الخمر فى شاربيها » و « تأثير الخمر على الأعصاب » و « استغناء الطب عنها كدواء » و « الكبد الكحولية » و « التحول الدهنى للكبد » و « إصابة الكلى » و « الخمر والنسيج العصبى » و « إصابة الأوعية الدموية » « وتأثير شرب القليل من الخمر » « وعقاب شارب الخمر فى الإسلام » و « علاج إدمان مذهبات العقل » و « ضرر المنع الفجائى » و « الخمر فى الجنة » .

(٢) مجمع الزوائد (٣٢٧/٤) .

ولا يمكنني هنا إلا الإشارة لهذا المرض، حيث لا يمكن أن يتتبع القارئ ما أقول، إلا إذا قرأ مبحث (الخمر) في مؤلفنا المذكور، لمعرفة كيف يكون الخمر أساساً لمعظم الأمراض النفسية الجنسية وشاربوها مسرحاً لهذه العلل، كاللواط، ولواط الحيوان، ومرض استعمال العنف، وتحمل الأذى، والخنوثة النفسية الجنسية، إلى غير ذلك من الأمراض التي ذكرناها في هذا المؤلف، والتي لا يخلو شارب الخمر من الإصابة ببعضها، أو بكثير منها.

١٩ - مرضُ الدياثة:

والديوث هو الذي لا يغار على امرأته أو إحدى محارمه، وهو أول الثلاثة الذين ذكر رسول الله ﷺ أنهم لا يدخلون الجنة أبداً، قال رسول الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يدخلونَ الجنةَ أبداً: الديُّوثُ، والرجلةُ من النساء، ومدمنُ الخمرِ»[1] وشاربوا الخمر جميعاً مرضى بهذا الداء، ولا يستثنى من ذلك أحد، ومن علامات هذا المرض ما تراه في البلاد التي يشرب أهلها الخمر، ترى ساكنيها لا يرون بأساً أن تختلط نساؤهم مع غيرهم، وأن يراقصن سواهم، بل ترى المرضى بهذا الداء يسرون ويرون لذة كبيرة في أن يستحسن أحدهم امرأته ويمتدحها، ويطلب مراقصتها أو مرافقتها إلى النزهة، أو زيارة بيته وغير ذلك، فيجد ما يملأ صدره المريض جزلا ولذة، بل قد لا يهتاج الزوج المريض إلا إذا قرب امرأته ذكر سواه، وهذا المرض منتشر بانتشار الخمر، ومتوغل في البلاد توغل بنت الحان فيها، ولذلك يقول الشاعر العربي:

وكلُّ أُناس يحفظونَ حَريمهم ... ولَيْس لأَصحاب النبيذ حريم
وإنْ قلتُ هذا لم أَقلْ عن جهالةٍ ... ولكنَّني بالفاسقِينَ عليمُ

وأكتفي بهذا وأحيل القارئ إلى مؤلفي (الإسلام والطب) لقراءة مبحث الخمر، والخمر وشذوذ العاطفة الجنسية (ص ٢٠٠).

---

(١) تقدم تخريجه.

وذكر الدين أن الدياثة مرض نفسي جنسي في قول رسول الله ﷺ : «إني لَغَيورٌ، وما من امرئ لا يَغَارُ إلا هو منكوسُ القلبِ»[1] .

٢٠ – جنونُ الغيرة :

ومن طبيعة الرجل السليم النفس أن يغار على زوجته ، كما سنبين – إن شاء الله – في مبحث العلاقة الجنسية بين الزوجين ، ولكن إذا زادت الغيرة عن حدها كأن غار الفرد على الأجنبية من زوجها ، أو كانت غيرته مما يؤدى إلى الفتك بمن أحب ، فذلك هو المرض والجنون ، فمن أمثلة النوع الأول : ما حكى عن مجنون بنى عامر (مجنون ليلى) أنه مرّ بزوج ليلى ، وهو جالس يصطلى[2] في يوم شات ، وقد أتى ابن عم له في حى المجنون لحاجة ، فوقف عليه ثم أنشد يقول :

بربك هل ضَمَمْتَ إليك ليلى قُبَيْل الصُّبْح أو قبلتَ فاها ؟!
وهل رفّتْ عليك قُرون ليلى رفَيف الأقْحوانة[3] في نداها ؟!

فقال : اللهم إذ حلفتنى فنعم ! فقبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر ، فما فارقهما حتى خر مغشياً عليه ، وسقط الحجر من لحم راحتيه[4] ، وعض على شفته فقطعها[5] .

ومن أمثلة النوع الثانى – ويحدث غالباً فيمن اعتاد شرب الخمر – ما حكى في كتاب الأغانى عن عبدالسلام بن رغبان ، كان عنده غلام وجارية ، شغفاه حباً ، فكان يجلس للشراب ، والجارية عن يمينه ، والغلام عن شماله ، ثم خشى أن يموت قبلهما ، فينعم غيره بما لهما من روعة وجمال ، فذبحهما وأحرقهما وجعل من ترابهما آنيتين للشراب[6] .

---

(١) اتحاف السادة المتقين (٥/٣٦٢) .
(٢) يصطلى : يشعل النار .
(٣) الأقحوان : نوع من النبات .
(٤) الراحة : الكفّ .
(٥) الأغانى ص ٢٤ ج ٢ .
(٦) اقرأ ما ذكرته في مؤلفنا (الإسلام والطب) في مبحث الخمر مما له علاقة بهذا النوع من الجنون الذى يسببه الخمر قلنا : والجنون الكحولى المزمن هو السبب المباشر لجميع الجرائم الجنسية =

وكان ينشد حين يشرب من الآنية التي صنعها من تراب الغلام :

أَشْفَقْتُ أنْ يَردَّ الزمانُ بِغَدْره ... أو أُبْتلى بعدَ الوصالِ بِهَجْرِه
قَمرٌ قد استخرجتُهُ من دُجْنَة ... لبليتى وأسرْتُه مِنْ خِدْره
فقتلتُهُ وله علىَّ كرامةٌ ... فله الحشَا وله الفؤاد بأَسْره
عَهْدِى به ميتاً كأحسنِ نائم ... والحسن يَسْفحُ مدمعى فى نحره
لو كان يَدْرى الموت ماذا بَعْدَهُ ... بالحى مِنْه بكى له فى قَبْره
غصص تكاد تفيضُ منها نَفْسه ... ويكادُ يخرج قَلْبُهُ من صَدْرِه

ثم ينشد حين يشرب من الآنية التي صنعها من تراب الجارية :

يا طلعةً طَلَعَ الحمَام عليها ... فَجَنَى لها ثَمَرُ الرَّدَى بِيَدَيْها
حَكَمْتُ سَيْفى فى مجالِ خِنَاقِها ... ومدامعى تَجْرى على خَدَّيْها
روّيتُ من دَمِها الثرى ولطَالما ... رَوَى الهوى شَفَتى من شَفَتَيْها
فوحَقِّ نَعْلَيْها وَمَا وطئَ الثرى ... شىءٌ أعزّ علىَّ من نَعْلَيْها
ما كان قتلها لأنى لم أَكُنْ ... أبْكى إذا سَقطَ الذُّبابُ عليها
لكن بخلتُ على الوجودِ بِحُسْنها ... وَأنِفْتُ من نَظَرِ العيُونِ إليها

٢١ - جنون الشيخوخة الجنسى :

وهذا المرض يصاب به كبار السن ذكوراً وإناثاً ، فترى المريض منهم يلذ له أن يعبث بأعضاء الأطفال ، سواء أكانوا من جنسه أم من غير جنسه ، فترى المرأة العجوز تفعل ذلك مع الطفلة التى قد يبلغ سنها ثلاث سنوات ،

= المتسببة عن الغيرة ، وهذه الجرائم تكون فى الغالب تحل الأبرياء ، وتنشأ الحالة بأن يحسب المعتاد على الخمر أن امرأته تحب سواه ، فتنشأ فى فكره أشياء خيالية تثبت لديه ما يجول بخاطره من الأوهام ، ويذهب إلى امرأته ليرغمها على الاعتراف باستعمال القوة ، وبعد مشاجرات وتخيلات ينتهى الأمر بقتل الزوجة دون العشيق ، وقد يقتل هذا المعتوه أولاده انتقاماً ، إذ يخيل إليه أنهم ليسوا من صلبه ، بل جاءت بهم امرأته من عشيقها الموهوم . راجع مبحث الخمر .

أو أكثر أو أقل ، وقد تستر أمرها ، إذا كانت البنت تعى شيئاً ، فتقرصها فى قبلها مدعية أنها تعاقبها ، أو تداعبها ، وتفعل ذلك مع الذكران ، فهى تشبع فى نفسها رغبة مكبوتة ، وشهوة مكنونة فى قبر نفسها العليلة المريضة ، وخطر هذه العجوز المريضة على الأطفال كبير ، فهى تفعل بهم ذلك دون البلوغ فتلفت أنظارهم إلى أعضائهم التناسلية ، وقد يجر هذا إلى أضرار كثيرة ، ويحدث كثيراً عند مثل هؤلاء الصغار ، أن يفعلن بأنفسهن ذلك ، وقد يؤدى هذا الفعل إلى إزالة غشاء البكارة .

وكبار السن من الرجال يصابون بنفس الداء فتراهم يتوددون إلى الصغار تودداً مريباً ، يزور أحدهم صاحبه ، فإذا كان لهذا الصاحب أطفال تراه يعانقهم ويجلسهم على حجره ويداعبهم تحت ستار الشيخوخة وصغر سن الطفل . وترى هؤلاء المرضى يتخذون كل الحيل ليظفروا بفرائسهم ، بعيدين عن أعين الرقباء ، ليشبعوا شهواتهم بالعبث بأعضاء هؤلاء الأطفال ، وقد يفعلون ذلك مع الشبان والشابات ، وستارهم كذلك ادعاؤهم أن هؤلاء مثل أبنائهم وأحفادهم ، وحينئذ يكتفون بالقبل والعناق ، وقد تتاح الفرصة لبعضهم أن يحك أعضاءه بأعضاء فريسته ، ولقد رُوِيَتْ حوادث كثيرة مثل هذه ، وقعت من الخدم المصابين بهذه اللوثات ، ولعل هذا هو السبب الذى يعلل وجود كثير من الأطفال حوالى سن الخامسة مصابين ، بالسيلان الصديدى (الجونوريا) والزهرى أو هما جميعاً .

ويجب أن نشير هنا ، أن المريض بمرض نفسى جنسى ، قلما يكون مصاباً بنوع واحد من الأمراض المذكورة فى هذا المبحث .

وقد أمر الدين بعدم التشبه بالمصابين بهذه الأمراض ، ولعن الملوثين بها ، وسن القوانين اللازمة لحماية الأصحاء منهم ، وشرع التشريع الكافى لإحاطة العائلة بسياج منيع من الحفظ ، وسيأتى بيان ذلك فيما بعد .

* * *

المبحث الثالث

إعداد الفرد للزواج

تكلمنا في المبحث الأول عن الفروق الجسمية ، والعقلية ، والنفسية ، بين الرجل والمرأة ، وبينا كيف أن كلاً منهما قد أعد إعداداً خاصاً ليقوم بالوظيفة الإنسانية التي هيئ لها خير قيام ، وذكرنا في المبحث الثاني الشذوذ الذي يعترى المرء فيخرجه عن التكوين الطبيعي الخاص بجنسه . وسنبين في هذا المبحث الوسائل التي اتخذها الإسلام لتربية الفرد تربية صحيحة ، تحميه من الوقوع في مثل ما قدمنا من الأمراض المختلفة ، والعلل المتباينة ، ولتعينه على التخلص مما عساه يكون قد نقل إليه برغمه من شتى الآفات الوراثية التي أورثها إياه أحد أبويه الشاذين ، أو كلاهما جميعاً ، وسيظهر لنا كيف أن الذي يتبع الإسلام ، يضمن السلامة من العيوب الخلقية والخُلقية والنفسية ، والله تعالى يقول : **﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۞ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۞ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ﴾** (١) .

١ - الإعداد الصحي

فلقد عنى الدين بصحة البشر ، فدعاهم إلى النظافة ، وكره لهم النجاسات والقاذورات وحثهم على القيام بالأعمال الرياضية البدنية ، وحذرهم من الأمراض والعدوى ، فأمرهم باجتناب أسبابها ، وحرم عليهم تناول المواد التي تؤذيهم وتعرضهم للإصابة بشتى العلل : كالخمر والميتة والدم ولحم الخنزير ، وحرم عليهم كذلك الزنا واللواط ووطء الحائض إلى غير ذلك مما فصلناه وشرحناه في مؤلفنا (الإسلام والطب) فلا نرى هنا ضرورة لإعادته ، ونرجو القارئ أن يرجع إليه ليعلم عظمة الإسلام التي تعد

(١) سورة التين الآيات ٦ - ٨ .

متبعه ليكون سليم الجسم، صحيحاً غير عليل، فيغدو صالحاً للزواج، مهيئاً لقبول الإمدادات العقلية الطيبة، والمزايا النفسية السامية.

٢ - الإعدادُ العلمي

والإعداد العلمي هو الناحية الثانية التي أعدها الإسلام للفرد، لصلاح الأسرة، فإذا تآزر العلم مع العقل وسائر الإعدادات، كانت هذه وسائل لتوجيه الأسرة إلى الناحية الصحيحة، ولضمان عدم النزول بها إلى المستوى الذي لا يليق بها، ومن الثابت أن الزوجين إذا تعلم كل منهما ما يناسبه من العلوم، وتمتع بما يليق به من العقل، ألّفا أسرة صالحة، وعاشا عيشة هنيئة، وقلت بين الناس نسبة الطلاق، وكان الزوجان أقدر على حل مشاكلهما العائلية، وسنذكر فيما يلي عجالة تشير إلى مقدار اهتمام الإسلام بمتبعيه.

(أ) الحثُّ على التعلم:

فقد حث الدين على طلب العلم، والتزود به، والارتشاف من منهله العذب، فقال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [1] أي اسألوا صاحب الحرفة أو الصناعة التي لا تعرفونها فينبئكم عما خفي عليكم منها، وقال صلوات الله وسلامه عليه: «مَنْ سَلَكَ طريقاً يطلب فيه عِلماً، سهل الله به طريقاً إلى الجنَّة» [2].

(ب) فرضيةُ طلب العلم:

بل لقد اعتبر الدين العلم فريضة على المسلم يجب تحصيلها، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «طَلَبُ العلم فريضةٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ» [3].

---

(١) سورة الأنبياء الآية: ٧.
(٢) أخرجه أحمد (٥/١٩٦)، وابن حبان (٧٨)، والمشكاة (٢١٢)، والكنز (٢٨٧٤٦).
(٣) أخرجه الطبراني (١٠/٢٤٠)، العقيلي (٢/٥٨، ٣/٤١٠) والعلل المتناهية (١/٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧).

(ج) البعثات العلمية :

ولما كان العلم لا نهاية له ، ولما كان العلم ملكاً للعالم أجمع ، فقد أمر الدين بالتغرب لتحصيل ما لا يمكن تحصيله فى بلد طالب العلم ، فقال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فى الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١) وقال صلوات الله وسلامه عليه : « اطْلُبُوا العلمَ وَلَوْ بالصِّين » (٢) .

(د) تقريرُ مبدأ جهل الإنسان :

ولقد وضع الإسلام أساساً فلسفياً عظيماً ، يجعل المرء دائم السعى للتزود من سائر العلوم والفنون ، ألا وهو اشتراط إقرار طالب العلم بجهله ، حتى لا يقف بجانب مقدار محدود من الثقافة ولو علا ، فقال جل شأنه : ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً ﴾ (٣) وقال : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِى عِلْماً ﴾ (٤) .

(هـ) وجوبُ إرواء طالب العلم :

وقد أمر الدين أن لا يضن العالم بعلمه ، وأن يجيب بما يعلم على من لا يعلم ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ سُئِل عَنْ عِلْمٍ فكَتَمه أَلجمهُ الله بلجامٍ من نارٍ يَوْمِ القِيامَة » (٥) .

(و) العلومُ النافعة :

ومما دعا إليه الدين تعلم الحرفة والصناعة والعمل على حذقها ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً ﴾ (٦) .

---

(١) سورة التوبة الآية : ١٢٢ .

(٢) أخرجه الشجرى (٥٧/١) ، انظر الموضوعات (٢١٥/١) ، والعقيلى (٢٣٠/١) ، تنزيه الشريعة (٢٥٨/١) .

(٣) سورة الإسراء الآية : ٨٤ . (٤) سورة طه الآية : ١١٤ .

(٥) أخرجه أحمد (٢٦٣/٢ و ٣٠٥ ، ٤٩٥) ، والطبرانى (٤٠١/٨) ، وكشف الخفاء (٣٥٢/٢) .

(٦) سورة الكهف الآية : ٣٠ .

فدعا الدين إلى تعلم التاريخ ، فجاء في القرآن الكريم من قصص الأنبياء والأمم ، ما يوسع مداركنا ، ويزيد معلوماتنا ، فإن في دراسة التاريخ أهمية كبرى لثقافتنا ، لمعرفة النظام الاجتماعي والقوانين الإنسانية ، والإلمام بالشخصيات المختلفة التي يمكن الإنسان الاقتباس من جهود بعضها ، والحذر من أعمال الفريق الآخر منها والحض على دراسة التاريخ يؤخذ من قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (١) .

والتاريخ يقتضي دراسة تقويم البلدان (الجغرافيا) لمعرفة البلاد التي يسكنها رجال التاريخ ، كقوله تعالى : ﴿ اهْبِطُوا مِصْراً فَإِنَّ لَكُمْ مَا سَأَلْتُمْ ﴾ (٢) .

وجاء ذكر علم الفلك في قوله تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُّظْلِمُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ (٣) ، مما يدل على أن الشمس والقمر والكواكب يسبحون ويتحركون في عوالمهم ، ومثل ذلك قوله تعالى عن كروية الأرض : ﴿ وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾ (٤) وقوله : ﴿ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ﴾ (٥) والتكوير طبعاً لا يكون إلا على كرة ، إلى غير ذلك مما لا مجال لذكره هاهنا .

وتعلم فن النبات يشير إليه تعالى في قوله : ﴿ وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ (٦) ، مبيناً

---

(١) سورة آل عمران الآية : ١٣٧ .
(٢) سورة البقرة الآية : ٦١ .
(٣) سورة يس الآيات : ٣٧ - ٤٠ .
(٤) سورة النازعات الآية : ٣٠ .
(٥) سورة الزمر الآية : ٥ .
(٦) سورة الحج الآية : ٥ .

حركة الأرض حين ينزل عليها الماء. وقوله تعالى فى الجغرافيا المنطقية: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ﴾ (١).

وقوله في تلقيح النبات الذكر لأنثاه مع الإشارة إلى طريق من طرق التلقيح: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ﴾ (٢) إلى غير ذلك مما تجده فى القرآن الكريم.

وأشار إلى علم الضوء فى قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ..﴾ (٣).

(ز) العلمُ الذى لا ينفعُ ولا يضرّ:

ومن الناس من يشغلون حياتهم بعلوم لا تنفعهم ولا تضرهم، فلا ينالوا بذلك خيراً، وقد أشار الدين إلى مثل ذلك، فقد روى أن النبى ﷺ مر برجل والناس مجتمعون عليه فقال: (ما هذا؟) فقالوا: رجل علامة. فقال: (بماذا؟) قالوا: بالشعر، وأنساب العرب، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «علمٌ لَا يَنْفعُ وَجهْلٌ لَا يَضُرُّ» (٤).

(ح) عدمُ مساواةِ العالم بالجاهل:

وقد بين الإسلام أن العالم والجاهل لا يستويان، فقال جل شأنه: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥).

وكذلك حوى الدين علوم الطب مما ذكرناه فى مؤلفنا (الإسلام والطب) وعلوم الاجتماع، والقانون، وعلوم النفس، والأخلاق، والتربية، والأدب، والفلسفة، وفلسفة التناسليات، مما حوى بعضه هذا الكتاب وسائر العلوم والفنون. ولقد صدق الله تعالى فى قوله: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ (٦) وقال صلوات الله وسلامه عليه: «مَثَلُ ما بعثنى

---

(١) سورة المؤمنون الآية: ٢٠. (٢) سورة الحجر الآية: ٢٢.
(٣) سورة النور الآية: ٣٩.
(٤) أخرجه ابن عساكر في تاريخ بغداد (١/٣٠) وانظر إتحاف السادة المتقين (١/ ٢٢٤، ٢٢٥).
(٥) سورة الزمر الآية: ٩ (٦) سورة الأنعام الآية: ٣٨.

اللهُ عز وجل به مِنَ الهدَى والعلم ، كمثل الغيثِ الكثير ، أصابَ أرضاً ، فكانتْ منها بقعة قَبلت الماءَ فأنبتتِ الكلأ والعشبَ الكثير ، وكانت منها بقعة أمسكتِ الماء ، فنفع الله عز وجل بها الناسَ ، فَشَربوا منها وسَقوا وزرَعوا ، وكانتْ منها طائفة قَيعان لا تُمسكُ ماءً ولا تنبتُ كلأً » [1] .

(ط) الحث على التأليف :

وحث الدين على التأليف ، ونشر الكتب المفيدة ورغب فى هذا كل الترغيب ، فقال صلى الله عليه وسلم : « إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عَملهُ إلا من ثلاثٍ ... علم يُنْتَفَعُ به » [2] .

(ى) تعظيم العلماء :

ولقد عظم الله تعالى العلماء ، فقال : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعلَمَاءُ ﴾ [3] وقال : ﴿ قُلْ كَفَى بِالله شَهيداً بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتاب ﴾ [4] وَقَال : ﴿ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضرِبُهَا لِلنَّاس وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُون ﴾ [5] وقال : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بيّنَاتٌ فِى صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ [6] إلى غير ذلك مما ذكره الله تعالى فى كتابه العزيز . وقال صلوات الله وسلامه عليه : « مَنْ يردِ اللهُ به خَيْراً يُفَقِهه فى الدينِ ، ويلهِمْهُ رُشْدَهُ » [7] .

(ك) درجات العلماء :

وذكر الدين أن العلماء أنفسهم درجات ، فقال : ﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ

---

(١) أخرجه البغوى فى شرح السنة (١/٢٨٧) ، الدر المنثور (٣/٥٤) ، والكنز (٨٩٧) .

(٢) أخرجه مسلم (وصية / ١٤) ، أبو داود (٢٨٨٠) ، الترمذى (١٣٧٦) ، النسائى (٦/٢٥١) عن أبى هريرة وباقى الثلاث صدقة جارية ، وولد صالح يدعو له بخير .

(٣) سورة فاطر الآية : ٢٨ . (٤) سورة الرعد الآية : ٤٣ .

(٥) سورة العنكبوت الآية : ٤٣ . (٦) سورة العنكبوت الآية : ٤٩ .

(٧) أخرجه البخارى (١/٢٧ ، ٤/١٠٣) ، ومسلم فى الزكاة / ٩٨) ، والترمذى (٢٦٤٥) . من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير .

آمَنُوا مِنكُمْ والَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [1] .

(ل) كفاءة العالم الصالح فى الزواج :

ففيما تقدم إشارة بسيطة ، تبين كيف أن الإسلام حث على العلم والتزود به ، وفرضه على طرفى الأسرة ، الرجل والمرأة ، حتى يصبحا صالحين للحياة الزوجية وتبعاتها ، وجعل العلم من دلائل الكفاءة فى الزواج ، وأصبح هذا مقرراً فى فقه الإسلام ، حتى أن العالم الصالح يعد كفؤاً للزوجة مهما علا نسبها ، ولا يقام حينئذ وزن للجاه ، قال رسول الله ﷺ : « إنَّ الحِكمةَ تزيدُ الشريفَ شرفا ، وتَرْفَعُ المملوكَ حتى يُدْرِكَ مدارِكَ الملوك » [2] .

٣ - الإعدادُ العقلى

وعمل الإسلام على تربية قوة الفكر فى الإنسان ، وحثه على استعمال عقله وتدبيره ، وأعطاه الوسائل المختلفة التى تعد عقله لصحة الحكم على الأشياء ، وتزيد من قدرته على الاستنباط والقياس ، إلى غير ذلك من الأمور التى تتعلق بالعقل ، وقال رسول الله ﷺ : « إنَّما يقربُ الناسُ يومَ القيامةِ على قَدْرِ عُقُولهم » [3] .

حث الله المرء على التفكير والتأمل والتدبر الذى يؤدى إلى صحة الحكم فقال : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ [4] وقال :

---

(١) سورة المجادلة الآية : ١١ .

(٢) أبو نعيم فى الحلية (١٧٣/٦) ، وابن عدى (١٧٩٣/٥) ، والكنز (٢٨٧٤٢) .

(٣) انظر تنزيه الشريعة (٢١٣/١) ، والأسرار المرفوعة (٤٤٢) ، وإتحاف السادة المتقين (٤٥٥/١) .
الحديث : قال أنس : أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فقالوا : خيراً ، فقال رسول الله ﷺ : (كيف عقله ؟) قالوا : يا رسول الله نقول من عبادته وفضله وخلقه ، فقال : « كيف عقله ؟ فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر وإنما ... » الحديث . رواه ابن المحبر ، ومثله : قيل : يا رسول الله ! أرأيت الرجل يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويحج ، ويعتمر ، ويتصدق ، ويغزو فى سبيل الله ، ويعود المريض ، ويشيع الجنائز ، ويعين الضعيف ولا يعلم منزلته عند الله يوم القيامة . فقال رسول الله ﷺ : « إنما يجزى على قدر عقله » رواه مالك من حديث ابن عمر .

(٤) سورة محمد الآية : ٢٤ .

﴿ أيودُّ أحدُكُمْ أنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمراتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فأَصَابَهَا إعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ الله لَكُمُ الآياتِ لَعلَّكُمْ تَتَفكَّرُونَ ﴾ (١) وقوله : ﴿ قُلْ إنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إنْ هُوَ إلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (٢) وقوله : ﴿ أوَ لَمْ يَتَفكَّرُوا فِي أنْفُسِهِمْ ﴾ (٣) وقال : ﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أفَلا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤) .

ويبين الإسلام أن التفكير يجب أن يكون بعيداً عن الهوى ، لا تتغلب عليه العاطفة ، ولا يستولى على صاحبه الانفعال فيستسلم له مما يجعله يخطئ فى الحكم ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ إنَّهُ فكَّرَ وقَدَّرَ • فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ • ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ • ثُمَّ نَظَرَ • ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ • ثُمَّ أدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ • فَقَالَ إنْ هَذَا إلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ • إنْ هَذَا إلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴾ (٥) .

بل انظر إلى الأمثلة العالية التى ضربها الله تعالى للناس ، لتفتق أذهانهم ، وتعلى مداركهم ، كقوله تعالى عن المنافقين : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِى اسْتَوْقَدَ نَاراً فَلَمَّا أضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ الله بِنُورِهِمْ وتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ • صَمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ • أوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِم مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَالله مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ • يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أضَاءَ لَهُم مَّشَوْا فِيهِ وَإذَا أظْلَمَ عَلَيهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ الله لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأبْصَارِهِمْ إنَّ الله عَلَى كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٦) إلى غير هذا من الآيات الكثيرة التى حواها القرآن الكريم لتنمية القوى العقلية وتدريبها وتقويتها .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٦٦ .
(٢) سورة سبأ الآية : ٤٦ .
(٣) سورة الروم الآية : ٨ .
(٤) سورة يس الآية : ٦٨ .
(٥) سورة المدثر الآيات : ١٨ - ٢٥ .
(٦) سورة البقرة الآيات : ١٧ - ٢٠ .

ومما قاله رسول الله ﷺ في تقدير العقل: «إنما العاقلَ مَنْ آمنَ بالله، وصدَّق رُسُلَهُ، وعملَ بطاعَتِهِ»[1] وقال صلوات الله وسلامه عليه: «ما خَلَقَ الله عز وجل خلقاً أكرم عليه من العقلِ»[2] وقال عليه الصلاة والسلام: «مَا اكْتَسبَ رجلٌ مثلَ فضلِ عقلٍ، يَهْدى صاحبه إلى هُدى، ويردُّه عن ردى، وما تمّ إيمانُ عبدٍ ولا استقام دِينُهُ حتى يكمل عقْله»[3].

وخاطب الله تعالى العقول والأفهام في كتابه، وردد للناس قوله جل شأنه: ﴿أفلا تعقِلُونَ﴾[4] وذكر كيف أن من لا يستعمل عقله لا ينفع، ولا نصيب له في سعادة الآخرة، فقال: ﴿وَإذَا نَادَيْتُمْ إلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهم قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ﴾[5] وقد ذكر تعالى أن الذي لا يعقل شأنه شأن الدواب، فقال: ﴿إنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ الله الصُّمُّ البُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ الله فِيهِمْ خَيْراً لأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾[6].

واعترف أصحاب النار بتجردهم من العقل: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ * فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقاً لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[7].

فترى أن الإسلام يريد بالمرء أن يكون عاقلاً بجانب علمه، حتى يستطيع أن يقود الأسرة ويوجهها إلى طريق الفلاح، ويقودها في بحر الحياة، مجنباً لها من الأخطار حامياً لها من الغرق والبوار.

---

(١) ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب.
(٢) الحكيم الترمذي في النوادر من رواية الحسن. وانظر تذكرة الموضوعات (٢٩).
(٣) ابن المحبر في العقل وعنه الحرث بن أبي أسامة.
(٤) ذكر تعالى هذا في مواضع كثيرة من كتابه العزيز.
(٥) سورة المائدة الآية: ٥٨.
(٦) سورة الأنفال الآيتان: ٢٢، ٢٣.
(٧) سورة الملك الآيتان: ١٠، ١١.

٤ - الإعداد الخلقى والنفسى

وقبل أن يدعو الإسلام المرء إلى الزواج ، حث على تعليم الصبى الصلاة ، وهو فى سن السابعة ، وأمر أن يضرب عليها فى سن العاشرة ، إن لم يؤدها ، وعند البلوغ فرضها عليه ، وفرض عليه كذلك سائر العبادات المختلفة : كالصيام ، والزكاة ، والحج ، مما يقوم خلقه ، ويطهر نفسه ، ويهذب وجدانه ، ويوجه انفعالاته المختلفة إلى ناحية الخير ، ويرقى عواطفه ، ويقوى إرادته ، ويثبت عزيمته ، ويعدل من سجاياه حتى تتغلب السجايا الطيبة ، ويهدئ طباعه ، فلا يكون متردداً ، أو بطيئاً بيناً ، ولا مقداماً لدرجة الطيش ، لا يبلغ منه الثبات درجة الجمود ، ولا التغلب درجة الجموح والرعـونة ، ولا يكون شديد الفرح ، ولا شديد التألم ، ولا عديم الشعور والإحساس الوجدانى ، والله تعالى يقول : ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾ (١) ويكون قابضاً على زمام مزاجه ، مربياً لذوقه ، مهذباً له ، وما العبادات فى الدين الإسلامى إلا وسائل لما قدمت ، فإن ذكر الله تعالى ، والتفكر فى مخلوقاته ، والسعى لطلب العلم ، وتعلم الصناعات ، والخضوع لأوامر الخالق ، والتسليم بقدرته ، ورجاء ثوابه ، وخوف بطشه وعذابه ، لمن دواعى الاحتراس والتروى فى الأعمال والأقوال ، ودافع إلى إعمال الفكر وتحكيم سلطان العقل ، ومحاربة ما تنزع إليه النفس من الأذى والشرور ، وعصيانها فيما تأمر به من السوء والفحشاء ، والله تعالى يقول : ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ (٢) .

والقيام بالعبادات المختلفة التى فرضها الإسلام ، يدرب النفس على الطاعة ، ويعودها على تحمل المشقة فى سبيل الوصول إلى الكمالات الإنسانية ، بل إن ذكر الله تعالى آناء الليل وأطراف النهار لعلاج الكثير من الأمراض النفسية ، بل فى ذلك الوقاية الوحيدة من الوقوع بين أضراس الظنون والأوهام ، والاستسلام لليأس ، والخضوع للهموم ، والركون إلى

---

(١) سورة لقمان الآية : ١٩ . (٢) سورة العنكبوت الآية : ٤٥ .

الكسل ، وترك العمل الجدى ، وفيه نجاة المرء من أسر الضعف ، والتخلص من جعله عرضة للانحلال الخلقى ، والموت الأدبى الخطير .

وضع الله تعالى للفرد تعاليم الإسلام حتى يكون صالحاً للأسرة ، فلا ينزل بها عن مستواها اللائق بها ، وحتى لا يجنح بالعائلة إلى تيارات الشرور والآثام ، وليجنبها مختلف الوراثات السيئة ، ويدرأ عنها ما عساه يكون قد تسلل إليها من عوامل الضعف الوراثى ، وليضعها فى البيئة الصالحة لنموها ، ولينبت نسله فى الأرض الطيبة التى يكون لها الأثر البالغ فى إبعاد الصفات السيئة الموروثة ، وإحلال الخلق السامى والسمو النفسى محلها ، وغرس المثل العليا للكمال الإنسانى فى النشء ، وتوجيهه إلى طريق الصالح العام .

ولا نرى بأساً أن نذكر بعض ما دعى إليه الدين الإسلامى من الكمالات النفسية ، والمثل الأخلاقية السامية .

(أ) الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر :

وقد أمر الدين ألا يتكلم الإنسان إلا فى الخير ، ويصم أذنه عن سماع الهراء والفاحش من القول ، فقال تعالى : ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى ﴾ [1] وقال : ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً ﴾ [2] وقال : ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفاً ﴾ [3] ، وقال : ﴿ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفاً ﴾ [4] ، وقال : ﴿ ... وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيداً ﴾ [5] .

وقال تعالى يأمر بأداء الأمانة ، والحكم بالقسط ، والصدق : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

(١) سورة البقرة الآية : ٢٦٣ .
(٢) سورة الفرقان الآية : ٦٣ .
(٣) سورة النساء الآية : ٥ .
(٤) سورة الأحزاب الآية : ٣٣ .
(٥) سورة النساء الآية : ٩ .

بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً ﴾ [1] وقال: ﴿ يَـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لله شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [2] وقوله: ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى ﴾ [3].

وأمر تعالى كذلك بفعل الخير، فقال: ﴿ وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ واللهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ﴾ [4] وبين أن روح الإسلام هو الاستقامة وحسن السلوك والتحلي بمكارم الأخلاق والجهاد في سبيل الحق، إلى غير ذلك من الكمالات النفسية، وليست كما يفهم الجهلاء أن العبادات في الإسلام مجرد مظاهر ومحض حركات. تأمل قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ باللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [5].

ويضيق المقام إذا أردنا أن نستقصي كل ما حث عليه الدين من الكمالات النفسية والأخلاقية مما يجمله قوله صلى الله عليه وسلم: «إنَّما بُعثتُ لأُتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ» [6].

ولقد نهى الإسلام عن اقتراف المعاصي وانتهاك الحرمات، وأمر بنبذ مساوئ الأخلاق، كالبخل، والرياء [7]، والبهتان [8]، ونهى عن السخرية، واللمز، والتنابذ بالألقاب، وظن السوء، والتجسس، والغيبة،

---

(١) سورة النساء الآية: ٥٨. (٢) سورة المائدة الآية: ٨.
(٣) سورة الأنعام الآية: ١٥٢. (٤) سورة آل عمران الآية: ١١٥.
(٥) سورة البقرة الآية: ١٧٧.
(٦) أخرجه البيهقي (١٠/١٩٢)، وكشف الخفاء (١/٢٤٤)، والصحيحة (٤٥).
(٧) راجع النساء الآيتان: ٣٧، ٣٨. (٨) راجع النساء الآية: ١١٢.

والنميمة[١] ، والرشوة ، والظلم[٢] ، ونهى عن التنازع الذى يؤدى إلى الفشل ، وعن البطر ، والرياء[٣] ، والكذب[٤] ، والاستكبار ، والتذلل ، والاختيال[٥] ، وأمر بمحاربة الخيانة والغدر[٦] ، والمكر[٧] ، والسرقة[٨] ، إلى غير ذلك مما يلوث المرء بالأمراض النفسية مما تجده مفصلاً فى القرآن الكريم ، وكتب الحديث ، ومما يمكن إجماله فى قوله جل شأنه : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْىَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَاناً وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[٩] وقوله : ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾[١٠] .

(ب) تربية العواطف وعاطفة محبة الجمال :

ومن أمثلة الإعداد النفسى : تربية الدين لعواطف المسلم : كالعاطفة الذاتية ، والعاطفة الفكرية ، وعاطفة محبة الحق ، وغيرها حتى يكون مثلاً أعلى لسمو النفس البشرية ، ولنضرب مثلاً عن كيفية تربية الإسلام لعاطفة محبة الجمال التى لها أثر عظيم فى تهدئة النفس وتهذيبها .

فقد ذكر القرآن كثيراً من الأشياء الجميلة جمالاً حسياً أو معنوياً جاء فى الجمال الحسى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ ﴾[١١] ، وقدر الله الكلام الطيب فى قوله : ﴿ وَقُولُوا لَهُمْ قَولاً مَعْرُوفاً ﴾[١٢] ، وقال

---

(١) جمعت هذا آية ١١ ، ١٢ من سورة الحجرات .
(٢) راجع البقرة الآية : ١٨٨ ، والذاريات الآية : ٥٩ .
(٣) راجع الأنفال الآيتان : ٤٦ ، ٤٧ .
(٤) راجع الصف الآية : ٣ .
(٥) راجع لقمان الآية : ١٨ .
(٦) راجع الأنفال الآيات : ٥٥ - ٥٨ .
(٧) سورة النحل : ٤٥ .
(٨) سورة المائدة الآية : ٣٨ .
(٩) سورة الأعراف الآية : ٣٣ .
(١٠) سورة النحل الآية : ٩٠ .
(١١) سورة الملك الآية : ٥ .
(١٢) سورة النساء الآية : ٨ .

عن الصوت الجميل: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾[1]، وقال عن الرائحة الطيبة: ﴿خِتَامُهُ مِسْكٌ﴾[2].

وانظر كيف يربى الدين عاطفة محبة الجمال عملياً بما فرضه على متبعيه من احترام النظام، كالصلاة صفاً صفاً، وكدعوته إلى النظافة بالوضوء، والاستحمام، وتبغيض رفع الصوت فى قوله: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾[3] وحثه على السير المتزن كقوله: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾[4] إلى غير ذلك مما تراه فى الدين ويضيق عن ذكره المقام.

ومما جاء فى تربية الجمال المعنوى، ما بثه الدين من الخلق السامى، وما أرشد إليه من المعقولات، وتوحيد الخالق، والتفكير فى خلق السماوات والأرض، واحترام العقل السليم، وتربية الخيال، وبث روح النشاط فيه، تأمل كيف يصور الله حالة الكافر من العذاب فى قوله: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[5] وقوله: ﴿مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كل مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[6].

وقد عمل الإسلام على تربية هذه العاطفة متدرجاً من توجيه نفس المرء إلى الشعور بحسن الأشياء التى تتأثر بها عواطفه وميوله الذاتية وذوقه الخاص، إلى اعتبار الجمال والحكم عليه بتأثير البيئة، والمذهب، والآراء الخاصة، منبهاً إياه أثناء ذلك على ما يدفعه إلى معرفة بعض أسباب ذلك الجمال، كما جاء فى قوله تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ

(١) سورة المزمل الآية: ٤.
(٢) سورة المطففين الآية: ٢٦.
(٣) سورة لقمان الآية: ١٩.
(٤) سورة لقمان الآية: ١٩.
(٥) سورة الحج الآية: ٣١.
(٦) سورة إبراهيم الآيتان: ١٦، ١٧ – وراجع قوله تعالى فى وصف نور الله فى قوله: ﴿الله نور السموات والأرض ...﴾ الآية. سورة النور الآية: ٣٥.

وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَى الله قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ الَّذِى أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً لَّكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُون * يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ والزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ والأَعْنَابَ وَمِن كل الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون ﴾ [1] .

وفي أثناء ذلك ينتقل به الدين إلى المرحلة الثالثة وهي أعلى المراحل التي تدعو المرء إلى الانتباه إلى أسباب الجمال وعلته، ومعرفة الصفات التي تكسبه هذه الصفة، حتى يقدره تقديراً حقيقياً، تأمل قوله تعالى: ﴿ الله الَّذِى رَفَعَ السَّمٰوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمرَ كُلٌّ يَجْرِى لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ توقنون * وهُوَ الَّذِى مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَاراً وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُون * وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَومٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [2] وكقوله: ﴿ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ ﴾ [3] إلى غير ذلك مما يضيق عن ذكره المقام.

(ج) تربية الأذواق:

قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا

---

(١) سورة النحل الآيات: ٥ - ١١ . وراجع النحل الآيات: ١٤ - ١٦ ، ٨٠ - ٨١ .
(٢) سورة الرعد الآيات: ٢ - ٤ ، وراجع سورة الأنعام الآية: ٩٩ .
(٣) سورة الحجر الآية: ١٩ .

أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ (١) وهكذا دعانا الدين إلى تربية أذواقنا الحسية والمعنوية ، وتعلية هذه الموهبة الفطرية التى منحها الله البشر ، فذو الذوق السليم الراقى أكثر تقديراً للمنتجات الفنية والأدبية ، وإدراكاً لما يحيط به ويراه ويحسه من جمال ، وتناسب وانسجام ، فيستطيع محاكاة الجمال الطبيعى والجمال الصناعى فى أعماله وأقواله وأفكاره ، ولذلك عمل الدين على تهذيب الوجدان ، وتقوية عاطفة محبة الجمال .

ولتربية الدين لأذواقنا من الناحية الوجدانية ، لفت القرآن نظرنا وبصائرنا إلى جمال الكون وسلامة تنسيق السماء والأرض ، وسائر محتوياتها ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّماءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الأَرْضُ مُخْضَرَّةً﴾ (٢) وقوله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَاباً ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ...﴾ الآية (٣) .

وانظر كيف يضع الله أمامنا خير النماذج الأدبية متمثلة فى القرآن الكريم من قصص وأدب ، واجتماع ، وطب ، وفلسفة وغيرها ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا القُرآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُوراً﴾ (٤) .

وانظر كيف أمرنا الله بالتغنى بالقرآن وترتيله ، لتقوية ملكة الذوق وتنميته فقال : ﴿وَرَتِّلِ القُرْآنَ تَرْتِيلاً﴾ (٥) وقضى بغضِّ البصر عما ليس بالحسن ، فقال : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ (٦) وقال : ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلَا تَأْثِيماً ٭ إِلَّا قِيلاً سَلَاماً سَلَاماً﴾ (٧) .

---

(١) سورة الحج الآية : ٤٦ .
(٢) سورة الحج الآية : ٦٣ .
(٣) سورة النور الآية : ٤٣ .
(٤) سورة الإسراء الآية : ٨٩ .
(٥) سورة المزمل الآية : ٤ .
(٦) سورة الفرقان الآية : ٦٣ .
(٧) سورة الواقعة الآيتان : ٢٥ ، ٢٦ .

وليربى الذين ذوقنا من الناحية الإدراكية بلغنا تعاليم القرآن بوساطة الإيماء، وجعل محمداً رسول الله ﷺ فى نقل هذا الذوق إلى البشر، وهو صلوات الله وسلامه عليه أنموذج حى للوجدان الراقى، وقد خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] وذلك لأن القرآن لما كان تعليماً روحياً، أوجد الله له الرسول ﷺ مثلاً حياً، خُلقه القرآن كما قالت عائشة عنه ﷺ. ولذلك كانت تعاليم الإسلام أثبت وأقوى تأثيراً فى الناس. ولهذا الغرض نفسه نزل القرآن حسب الأحوال والظروف، منجماً منفذاً، حتى لا يكون مجرد آراء فلسفية غير قابلة للتنفيذ، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً واحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً. وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾[2].

ولما كان للذوق السليم مظاهر يشاهدها الإنسان فى القول والفعل وترتيب الأشياء، وتنظيم المأكل والمشرب والملبس والمسكن، ولما كانت محاكاة النماذج الجميلة تساعد على تقوية الوجدان الجمالى، وفهم المقاييس الجمالية، جعل الله الإسلام ديناً عملياً منظماً، فنظم الصلاة والحج والصوم والزكاة وسائر العبادات المختلفة، وحبب الميامنة فى كل شيء، وجعل اليد اليمنى خاصة بالأكل والتحية، واليسرى للاستنجاء، ليجعل للمسلم ذوقاً سليماً، ويربى هذا الذوق من الناحية النزوعية، وأمر بالتعلم واحتراف الحرف الطيبة[3] وتفهم آيات القرآن، والاستماع إلى أطيب الأحاديث، والاستمتاع بأطيب المآكل، واستغلال أحسن ما فى العالم من خير، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَ لَكُمْ مَا فِى الأَرْضِ جَمِيعاً﴾[4] وقال: ﴿كُلُوا

(١) سورة القلم الآية : ٤ .
(٢) سورة الفرقان الآيتان : ٣٢ ، ٣٣ .
(٣) قال رسول الله ﷺ : «إن الله تعالى يحب المؤمنَ المحترفَ» رواه الطبرانى وابن عدى من حديث ابن عمر وقال تعالى : ﴿وجعلنا النهار معاشا﴾ .
(٤) سورة البقرة الآية : ٢٩ .

مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ [1] وليس هنا مجال استقصاء ما جاء في الإسلام لتربية الذوق ، ولكنها إشارة بسيطة لما في الدين من عظمة وفلسفة وتهذيب .

(د) تربية الإرادة :

شاء الله تعالى أن يجعل الإسلام مدرسة للإنسانية ، فتسلّم الطفل من سن السابعة وأمر أبويه أن (يعلّماه) الصلاة ويعودانه عليها ، ويكلفاه بها عند العاشرة فيؤديها في أوقاتها ، ويتوضأ لها ، حتى تتقوى إرادته ، فيستطيع أن يقف في خمس أوقات من اليوم مواقف لا لعب فيها ، ممتنعاً عن إرضاء بعض رغبات النفس من أكل أو حديث أو غيره ، مزوداً بالأفكار الدينية الصالحة ، معوداً أن يحول الأفكار الطيبة إلى أعمال من غير تردد ، فيرى أن حب الله يقتضي شكره بالوضوء والصلاة والصدق ومناصرة الحق ، حتى إذا بلغ رشده أرشده الدين إلى الطريق الصالح متوسلاً بالأدلة القاطعة ، والبراهين الناطقة ، وحُمّل بعض المسئوليات وعُهد إليه ببعض الأعمال التي لا تحتاج لمجهود ، كتكليفه بالصيام ، وحسبك تقوية لإرادة المسلم أن يصوم ، ويضع الماء في فمه للمضمضة أثناء الصيام ، وهو لا يسمح لنفسه أن يبلع مقداراً من الماء يبل به حرقته ، ويروى ظمأه ، ويرى الشهى من الطعام ، ولا يفكر أن يتذوق منه شيئاً ، مربياً في نفسه العاطفة الخلقية بطاعة الله واحترام النفس ، متبرئاً من الأفعال السيئة ، متباعداً عن الأعمال التي لا تليق بالرجال .

وغدا الدين معلمه الأعلى ، آخذاً إياه باللين في غير ضعف ، وبالحسنى في غير ما تفريط ، ليصل به إلى الرجولة كاملاً ، فتصبح بعد ذلك الإرادة في عظائم الأمور ديدنا له ، وتغدو سجية من سجاياه ولا أرى بأساً من ذكر بعض الوسائل التي اتخذها الدين لكي يقوى بها إرادة متبعيه .

١ - بث روح القوة والإرادة :

انظر إلى الإسلام يبث روح القوة والإرادة في نفوس متبعيه كقوله تعالى :

---

(١) سورة طه الآية : ٨١ .

﴿ أَلَا تُقَاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ۞ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴾ (١) .

٢ – التزود بالأفكار الصالحة التى تحمل على العمل فوراً :

وتأمل الدين يزود المسلمين بالأفكار الصالحة التى تحملهم على العمل بدون تردد وانتظار ، وتأمل قوله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ للهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) وكقوله : ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

٣ – تربية قوة الانتباه :

ويربى الدين فى النفوس قوة الانتباه إلى الأفكار الصالحة ، والتفكير فيها ، وفى طريق تنفيذها تفكيراً جدياً ، كقوله تعالى : ﴿ إِنْ تُبْدُوا خَيْراً أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللهَ كَانَ عَفُوّاً قَدِيراً ﴾ (٤) وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴾ (٥) وهكذا .

٤ – تحمل المسئولية :

وحمل الدين المرء المسئولية فيما أباح وحرم ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « كُلُّكُم راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُول عن رَعِيَّتِهِ » (٦) وقال تعالى :

---

(١) سورة التوبة الآيتان : (١٣ ، ١٤) .	(٢) سورة البقرة الآية : ١٩٣ .
(٣) سورة النور الآية : ٢٢ .	(٤) سورة النساء الآية : ١٤٩ .
(٥) سورة يونس الآية : ٩ .
(٦) أخرجه البخارى (٦/٢ ، ١٩٦/٣) ، والترمذى (١٧٠٥) ، وأحمد (٥/٢ ، ٥٤ ، ١١١) ، والبيهقى (٢٨٧/٦) .

﴿ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴾[1] وقال : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾[2] وشجع الدين فى ذلك المحسن ، وتوعد المسىء كقوله تعالى : ﴿ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ۝ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾[3] .

٥ - احترام القوانين البشرية :

ولقد عمل الإسلام على التدرج فى العبادات المختلفة ، مع ملاحظة القوانين البشرية ومراعاتها ، وهو ما أتى به الفقه الإسلامى ، قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَةَ اللهِ الَّتِى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[4] .

٦ - ترقية العواطف مع إيجاد الفرص المثيرة :

وأما عمل الإسلام لترقية العواطف فمعروف وسبق الإشارة إليه ، وأما إيجاده للفرص المثيرة فتعظيمه لشهر رمضان ، ودعوته لزكاة الفطر وأمره بالاحتفال بالعيدين ، وأشهر الحج ، وذكرى الهجرة وغيرها من ذكرى المواقف التاريخية فى الإسلام ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾[5] .

٧ - وضع القدوة والمثل الأعلى :

وجعل الدين لنا خير قدوة حسنة محمداً ﷺ الذى كان يقول لعمه حين طلب إليه ترك الدعوة الإنسانية ﷺ : « واللهِ يَا عمّ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْس فى يَمِينى والقَمَر فى يَسَارى على أن أتْرُكَ هذا الأَمْرَ ما فعلتُ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ أوْ أَهْلَكَ دُونَهُ »[6] ، وحسبك قول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُول

---

(١) سورة الطور الآية : ٢١ . (٢) سورة المدثر الآية : ٣٨ .
(٣) سورة الزلزلة الآيات : ٦ ، ٧ ، ٨ .
(٤) سورة الروم الآية : ٣٠ . (٥) سورة الحج الآية : ٣٢ .
(٦) سيرة ابن هشام (١/٢٥٠) ، البداية والنهاية (٥/٣٠٠) .

اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ والْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيراً ﴾ (١) .

٨ – بيان المحرمات والدعوة إلى مقاومتها :

ولتقوية الإرادة : بين الله المحرمات ، وأمر بمقاومتها ، وفى ما شرع الدين من قتل القاتل ، وجلد الزانى ، وشارب الخمر ، وسائر الحدود ، بيان لما فى الدين من القوة والعزم لمحاربة المنكرات ، وحماية الآداب العامة ، وهذه مزايا نفسية (لا تتوافر) إلا فى الأمة العظيمة التى عناها الله فى قوله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ (٢) .

(هـ) ضبط النفس :

وضبط النفس هو منعها من الاتصاف بالصفات القبيحة ، وعدم الاستسلام للشهوات ، أو ارتكاب ما لا يليق من الأعمال المستهجنة ، ويشمل ضبط النفس : عدم الاستسلام للانفعالات والعواطف الخارجة عن حد الاعتدال ، وعدم الخضوع للأفكار الجامحة ، والميول والرغبات الذاتية حتى لا تغدو أمراضاً نفسية ، وأعمالاً سيئة ، ومن الوسائل التى اتخذها الإسلام لضبط النفس :

١ – عدم السماح للأفكار والرغبات السيئة أن تتحول إلى أعمال ، والسعى لاستئصالها ، وهو كقوله تعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ (٣) وقوله : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ (٤) .

٢ – التزود بالأفكار والرغبات والعواطف الصالحة المضادة للأفكار السيئة ، ويشمل هذا كل ما يدعو إليه الدين من التعاليم مما جاءت بعض أمثلة له فى هذا المبحث .

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٢١ .
(٢) سورة آل عمران الآية : ١١٠ .
(٣) سورة فصلت الآية : ٣٦ .
(٤) سورة النور الآية : ٣٣ .

٣ – التفكير الجدى فى قيمة النزعات وعواقبها، ويشمل هذا التفكير فى قيمة النزعات والنظر فى عواقبها نظراً جدياً، قال تعالى: ﴿قُلْ لا يَسْتَوِى الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ (١).

٤ – تحويل العواطف والرغبات إلى أعمال، ودعا الدين إلى تحويل العواطف والرغبات الصالحة إلى أعمال: كالزكاة، والتعاون، والبشاشة، والعدل، والسعى فى الخير، إلى غير ذلك مما دعا الإسلام إلى تحقيقه.

■ – اختيار الأصدقاء الصالحين: ومن وسائل ضبط النفس ألا يختار المرء إلا الأصحاب الصالحين الذين حسنت أخلاقهم، وقويت إرادتهم وأن يبتعد عن قرناء السوء، الذين لا ينال المرء من مصاحبتهم غير الشر والوبال. قال تعالى: ﴿الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٢) وقال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً﴾ (٣).

ويقول تعالى – مصوراً ندم من صاحب أهل السوء – : ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلاناً خَلِيلاً. لَقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِى وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولاً﴾ (٤).

(و) ضبطُ الانفعالاتِ وتوجيهها إلى ناحيةِ الخير:

والانفعالات هى أظهر الحالات النفسية التى يتجلى فيها الوجدان، كالخوف والفرح، والحزن والغضب، والغيظ، والأسف، والندم، والحقد، والحسد، والأمل، والضجر، والقلق، والبغض وغيرها.

والانفعالات إذا ملك المرء زمامها، قادته إلى الفوز، فالذى لا ينفعل

---

(١) سورة المائدة الآية: ١٠٠. (٢) سورة الزخرف الآية: ٦٧.
(٣) سورة النساء الآية: ٦٩. (٤) سورة الفرقان الآيات: ٢٧ – ٢٩.

يعد بليداً لا إحساس له، والذى يستسلم لانفعالاته، يضعف جسمه وتضطرب أعصابه، وتختل حركة قلبه، وتسوء وظائف جسمه ولذلك قال رسول الله ﷺ: «الغَضَب من النَّار» [1] وقد يؤدى ذلك إلى الموت كما يحدث فى حالات الغضب العنيف، أو الفرح المفاجئ، أو الغيظ الشديد، قال تعالى: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [2] وقد تصل الانفعالات إلى أعماق العقل الباطن إن لم تجد منفساً، وتصبح ووجداناتها مكبوتة، مما قد يؤدى إلى اضطراب الشخصية، كالمرأة التى تغار على زوجها غيرة شديدة، ولا تستطيع أن تنفس عن نفسها فتكيد له.

ولذلك عنى الإسلام بالانفعالات عناية بالغة ووضع وسائل ضبطها وتوجيهها إلى ناحية الخير، وذلك لسعادة الأسرة وبروزها، فالمسلم لا يطلق زوجته تحت تأثير انفعال ما، وحذرا من وقوع ذلك، أمر ألا يطلق الرجل امرأته أثناء الحيض مثلاً، لأنها فى هذه الفترة عاجزة عن إرضائه إرضاء تاماً، ولأن الحيض يحدث للمرأة اضطرابات نفسية وجسمية مختلفة، وتكون أثناءه سريعة التأثر، متهيجة الأعصاب. فأمره الدين ألا يطلقها حتى تطهر، ثم تحيض، ثم تطهر، ثم إن شاء فعل، وإن شاء لم يطلق، وهذه الفترة كافية لزوال الانفعال، فقد طلق عبد الله بن عمر امرأته وهى حائض، فسأل عمر بن الخطاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «مُرْه فليراجعَها، ثم لِيُمسِكْها حَتَّى تَطْهُر، ثم تَحِيض، ثم تطهر، ثم إن شَاء أمسكَ بعد ذَلِكَ، وإن شَاء طلَّق قبل أن تمس، فتلكَ العدةُ التى أمَرَ اللهُ سُبحانَهُ أن تطلّق لها النساء» [3] وسأذكر أهم الوسائل التى اتخذها الإسلام لضبط الانفعالات والتحكم فيها.

---

(١) انظر الإتحاف (٨/٥٥٢)، كشف الخفاء (٢/١٠٣)، الضعيفة (٥٨٢). ومثله عنهما قوله صلوات الله وسلامه عليه: «ألا إن الغضب جمرة فى قلب ابن آدم».

(٢) سورة آل عمران الآية: ١١٩.

(٣) أخرجه مالك فى الموطأ (٥٧٦)، ومسلم فى الطلاق (١١، ١٢)، والبيهقى (٧/٣٢٦).

١ – ضبطُ الأفكار وتوجيهها إلى النواحى المضادة للانفعال :

فقد أمر الدين ألا تجالس خصمك حتى لا يثير الغضب فقال تعالى : ﴿ ... إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ..﴾ (١) ورأى الدين أن تقاوم انفعالك إذا استفذك معرض فقال جل شأنه : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً﴾ (٢) وقوله : ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ (٣) وأما أن تنصرف عن الانفعال قبل أن تغزوك بوادره فقال تعالى : ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (٤) .

٢ – تغييرُ الهيأة أو الحالة الجسمية العامة :

وإن فى تغيير الحالة الانفعالية الخارجية التى تلازم الانفعال لوسيلة إلى القضاء على الثورة النفسية . فقال رسول الله ﷺ : « إذَا غَضِبَ أحدُكُمْ وهو قائمٌ فليَجْلِسْ ، فإن ذَهَبَ عنه الغَضَبُ وإلا فَلْيَضطجعْ » (٥) .

٣ – قوةُ الإرادةِ وضبط النفس :

وقد بينا فيما سبق كيف ربى الإسلام قوة إرادة متبعيه ، وكيف دربهم على ضبط نفوسهم . وقد أمر الله تعالى المسلم ألا ينفعل فقال رسول الله ﷺ : « لا تَغْضَبْ » (٦) ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لَيْسَ الشَّدِيد بالصّرعة ، إنما الشَّديد الذى يملك نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ » (٧) ووعد الإسلام بالخير من يملك نفسه فقال صلوات الله وسلامه عليه : « ما جَرعَ عَبْدٌ جَرْعَةً

---

(١) سورة النساء الآية : ١٤٠ . (٢) سورة الفرقان الآية : ٦٣ .
(٣) سورة الفرقان الآية : ٧٢ . (٤) سورة الحشر الآية : ١٠ .
(٥) أبو داود (٤٧٨١) ، أحمد (١٥٢/٥) ، وشرح السنة (١٦٢/٣) .
(٦) أخرجه البخارى (٣٥/٨) ، والترمذى (٢٠٢٠) ، وأحمد (١٧٥/٢) .
(٧) أخرجه البخارى (٣٤/٨) ، ومسلم البر والصلة (٣٠) ، وأحمد (٢٣٦/٢) .

أعظم أجراً من جَرْعة غَيْظ كظمها ابتغاءَ وَجْهِ الله تعالى »[1] .

٤ - تهدئةُ الأجهزة الباطنية :

وحث الدين المرء أن يرضى رغباته العضوية بما أحل له من الطيبات المختلفة ، وبالاستعانة بالوسائل المشروعة ، فأمر بالاهتمام بالنظافة العامة ، كالوضوء والاستحمام الذى يهدئ الجسم ، ويرد الدورة الدموية إلى حالتها الطبيعية ، ويقلل من ضربات القلب الزائدة كالتى تحدث فى حالات الغضب . ومما أعده الدين كذلك لتهدئة الجسم أمره بتناول الأطعمة الشهية التى تحدث فى الجسم نشوة تزول معها ثورة الضجر فقال تعالى : ﴿ **كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ** ﴾[2] ومن ذلك أيضاً دعوة الدين إلى استعمال الملابس المريحة التى تهدئ الأعصاب ، وعدم مجالسة من لا ترتاح إليه النفس وهكذا. ومثله قول رسول الله ﷺ : « إنَّ المرأة تُقْبلُ فِي صُورَةِ شَيْطَان وَتُدبر فى صُورة شيطان ، إذا أحدكم أَعْجَبته امرأة فَوقعت فى قَلْبه ، فَلْيعْمد إلى امرأتِهِ وَلْيُواقعها ، فإن ذَلِكَ رَدّ مَا فى نَفْسه »[3] .

٥ - تعلية الانفعالات وتوجيهها إلى الخير :

وحث الدين على تعلية الانفعالات وتوجيهها إلى ناحية الخير ومحاولة إدخال الانفعال فى تكوين عاطفة من العواطف الصالحة ، مثال ذلك قوله تعالى : ﴿ **الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ والْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاس وَالله يُحبُّ المُحْسِنِينَ** ﴾[4] ، وقوله : ﴿ **وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والْفَوَاحِشَ وَإِذَا ما غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ** ﴾[5] وقوله : ﴿ **الَّذِينَ إِذَا**

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تهذيب تاريخ دمشق (١٧١٩/٣) .

(٢) سورة طـه الآية : ٨١ .

(٣) أخرجه مسلم (النكاح / ٩) ، وأحمد (٣٣٠/٣) ، والبيهقى (٩٠/٧) ، والصحيحة (٢٣٥) .

(٤) سورة آل عمران الآية : ١٣٤ . (٥) سورة الشورى الآية : ٣٧ .

أَصَابَتْهُمْ مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴾[1] فتعلية الانفعال وتوجيهه إلى العواطف الصالحة، وتذكر الله تعالى ووعده بمكافأة الذى يملك نفسه، يذهب بهذا الانفعال ويقصره على صالح المرء ومن حوله. قال رسول الله ﷺ عن رجل غضب غضباً شديداً حتى خيل أن أنفه يتمزع من شدة غضبه: «إِنّي أعلمُ كَلمةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ من الغَضَبِ» قيل: وما هى؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه: «يقول: اللهم إنى أعوذ بك من الشَّيطان الرجيم»[2] ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾[3].

فالمسلم ربى على ألا يستسلم للانفعالات حتى يكون صالحاً فى الأسرة قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كفَّ غضبه كفَّ الله عنه عذابه»[4] وليس معنى ذلك عدم الغضب للحق، فقد كان النبى ﷺ لا يغضب للدنيا، فإذا أغضبه الحق، لم يعرفه أحد، ولم يقم لغضبه شىء حتى ينتصر له.

* * *

(١) سورة البقرة الآية: ١٥٦.
(٢) متفق عليه، عن معاذ بن جبل. وانظر المشكاة (٢٤٨١).
(٣) سورة فصلت الآية: ٣٦.
(٤) الطبرانى فى الأوسط، وانظر الترغيب (٣/٥٢٥)، ومجمع الزوائد (١٠/٢٩٨)، وإتحاف السادة المتقين (٧/ ٤٥٣، ٨/ ٢٤).

المبحث الرابع

حماية الأسرة

بينا كيف خلق الله البشر من ذكر وأنثى ، وأعد كلاً منهما إعداداً خاصاً للزواج ولتكوين العائلة ، وذكرنا في المبحث الثالث كيف جعل منهما زوجين كاملين ، وسنبين في هذا المبحث ما أعده الإسلام لحماية الأسرة التي كلفهما بإقامتها ووكل إليهما أمرها ، للسير بها آمنة في مضمار الحياة ، فسن أدب الزيارة وأمر بالعفة والاستعفاف وأحاط العائلة بسياج منيع من التشريع الحازم ، فأمر بعقاب الزاني واللائط وشارب الخمر ، ودعا إلى جلد الأفاكين ، وتطليق المتلاعنين ، وجعل الطلاق ممكناً في الحالات التي تستحيل فيها العشرة بين الزوجين ، وقيد تعدد الزوجات ونظمه تنظيماً يكفل سعادة الإنسانية ، وحرم أنكحة خاصة يقضي عقدها على المجتمع البشري ، ووضع حقوق الزوج والزوجة وواجباتهما ، إلى غير ذلك مما ستراه في المبحث ، وتشير إليه بعض المباحث التالية .

(أ) حفظ كرامة البيت وأدب الزيارة :

قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتاً غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ • فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَداً فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا فَٱرْجِعُوا هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (١) .

وقال جل شأنه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَٱدْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ

(١) سورة النور الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ .

فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ...﴾ [1] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ [2] وأمر الدين أن تفقأ عين من ينظر إلى بيت قوم متجسساً عليهم فقال صلوات الله وسلامه عليه : « مَن اطَّلع فى بيتِ قَوْمٍ بِغيرِ إذنهم فافقأوا عَيْنَهُ فلا دِيَة له ولا قصاص » [3] .

(ب) العفةُ وغضُّ البصرِ :

قال تعالى : ﴿ قُلْ لِلْمؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِم وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۞ وَقُلْ لِلْمؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ولا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أو آبَائِهِنَّ أو آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أو بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [4] وقال : ﴿ يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ

---

(١) سورة الأحزاب الآية : ٥٣ . (٢) سورة الحجرات الآية : ٤ - ٥ .

(٣) أخرجه مسلم فى الأدب (٤٣)، وأحمد (٣٨٥/٢)، والبيهقى (٣٣٨/٨)، وانظر إرواء الغليل (٢٨٤/٧) . وروى النسائى عن أنس بن مالك : أن أعرابياً أتى باب الرسول صلوات الله وسلامه عليه فألقم عينه قصاصة الباب فبصر به النبى ﷺ فتوخاه بحديدة أو عود ليفقأ عينه فلما أن بصر انقمع فقال له النبى ﷺ : «أما إنك لو ثبت لفقأت عينك» .

(٤) سورة النور الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .

الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ (1) .

(ج) الاستعفاف :

وأمر الدين كذلك أن يستعفف الذين لا يجدون نكاحاً فقال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ .. ﴾ (2) وأمر بذلك القواعد من النساء حتى يصبحن قدوة طيبة لسائر البنات والنساء فقال جل شأنه : ﴿ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحاً فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (3) .

(د) الأمرُ بملازمةِ المرأةِ مملكتَها الصغيرة :

قال تعالى : ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً . وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللهِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ (4) وإذا كنا نرى الكثيرات من الإفرنج الآن يستطعن استغلال وقتهن فى البيت أحسن استغلال ، فقد سبق الإسلام إلى إرشاد المسلمات بأحسن من ذلك فقال صلوات الله وسلامه عليه : « خَيْرُ لَهو المرأةِ المِغْزَلُ » (5) وقال عليه الصلاة والسلام : « ... وَعلِّمُوهُنَّ الغَزْلَ وَسورَةَ النُّورِ » (6) وقالت عائشة رضى الله عنها : رحم الله نساء الأنصار لم يكن الحجاب يمنعهن من أن يتفقهن فى الدين ولقد وعد الله من تقوم

---

(1) سورة الأحزاب الآية : ٥٩ .

(2) سورة النور الآية : ٣٣ . (3) سورة النور الآية : ٦٠ .

(4) سورة الأحزاب الآيتان : ٣٣ ، ٣٤ . وقد ثبت أن المرأة إذا مارست أعمال الرجال وحاولت أن تكافح مكافحتهم قلت عندها قوة الأنسال ، بل قد يتقطع نسلها فإذا رجعت إلى بيتها وأدت وظيفتها الطبيعية فى البيت عادت إليها القدرة على الحمل.

(5) رواه ابن عدى عن ابن عباس (٢/٥٧٥) ، وتذكرة الضعفاء (١٨٧) .

(6) رواه الحاكم والبيهقى عن عائشة . راجع سورة النور.

بوظيفتها خير قيام بالجزاء العظيم فقال صلوات الله وسلامه عليه : « مِهْنَةُ إحداكُنَّ فى بيتها تُدْرِكُ جهادَ المجاهدينَ إنْ شَاء الله »[1] .

(هـ) جلدُ الزانى ورجمُهُ :

ولكى لا يتسرب إلى العائلة الفساد أمر الدين بجلد الزانية والزانى غير المحصنين فقال تعالى : ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] .

وكذلك أمر الدين أن يحفر للزانى المحصن فى الأرض ويرجم حتى يقضى عليه ويقتل أشنع قتلة ، وقد رجم رسول الله ﷺ ماعز بن مالك حين جاءه معترفاً بعد التثبت منه[3] وزنى رجل فلم يعلم بإحصانه ، فجلد ، ثم علم بإحصانه[4] فرجم .

وجئ للرسول صلوات الله وسلامه عليه بامرأة حبلى زنت فأمر أن يحسن إليها حتى تضع ، فلما وضعت ، أمر بها فشكت[5] عليها ثيابها ورجمت[6] .

(و) قتل اللائط والمفعول به :

قال رسول الله ﷺ : « مَنْ وجدتُموه يعملُ عمل قومِ لوطٍ فاقتلوا الفاعل والمفعول به ....»[7] ويمكن الرجوع إلى مؤلفنا (الإسلام والطب) ومراجعة مبحث اللواط حيث فصلناه هنالك تفصيلاً ، ويمكن الرجوع كذلك إلى المبحث الثانى من هذا المؤلف فى عشق الجنس .

---

(١) رواه أبو يعلى فى مسنده عن أنس .
(٢) سورة النور الآية : ٢ . (٣) تقدم تخريجه .
(٤) **الإحصان** : الزواج . (٥) **شكت** : وضعت عليها .
(٦) أخرجه البخارى فى الحدود (٢٥) ، ومسلم فى الحدود (٣٠) .
(٧) أخرجه الترمذى (١٤٥٦) ، وأبو داود (٤٤٦٢) ، وابن ماجه (٢٥٦١) عن ابن عباس بطرق مختلفة وباقى الحديث « ومن وقع على بهيمة فاقتلوه ....

(ز) قتلُ شاربِ الخمر :

قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) وقال صلوات الله وسلامه عليه : « إذا شَربوا فاجلدُوهم ، ثم إنْ شَرِبوا فاجلدُوهم ، ثم إنْ شَرِبوا فاجلدُوهم ، ثم إنْ شَربوا فاقتُلُوهم » (٢) .

(ح) جلد الأفاكين وسلب صفة الإنسانية منهم :

قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَداً وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (٣) وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤) . (راجع الإفك) في المبحث الثاني من هذا المؤلف .

(ط) تطليق المتلاعنين :

ووضع الدين كذلك لحماية الأسرة التفريق بين الزوجين يتهم أحدهما

---

(١) سورة المائدة الآية : ٩٠ .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٢٥٧٣) ، وأحمد (٩٥/٤) ، والبيهقي (٣١٣/٨) ، والحاكم (٣٧٢/٤) ، وعبد الرزاق (١٧٠٨١) ، وأخرجه أيضاً أبو داود عن عبد الرحمن بن أزهر قال : كأني أنظر إلى رسول الله ﷺ الآن وهو في الرجال يلتمس رَحْل خالد بن الوليد ، فبينما هو كذلك إذ أتي برجل قد شرب الخمر فقال صلوات الله وسلامه عليه للناس : (اضربوه) فمنهم من ضربه بالنعال ، ومنهم من ضربه بالعصا ، ومنهم من ضربه ، بالميتَخة (الجريدة من جريد النخل) ، ثم أخذ رسول الله ﷺ تراباً من الأرض فرمى وجهه . وجلد أبو بكر في الخمر أربعين ، وجلد عمر ثمانين ، وجلد عثمان ، الحدين ثمانين وأربعين ، وثبت معاوية الحد ثمانين ورواه أبو داود عن معاوية ابن أبي سفيان . وعن الحرث بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا سكر فاجلدوه ، ثم إن سكر فاجلدوه ، ثم إن سكر فاجلدوه ، فإن عاد الرابعة فاقتلوه » . وكذا حديث عمر ابن أبي سلمة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ : « إذا شرب الخمر فاجلدوه ، فإن عاد الرابعة فاقتلوه » ، وكذا حديث سهل عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ . (إن شربوا الرابعة فاقتلوهم) .

(٣) سورة النور الآية : ٤ . (٤) سورة النور الآية : ٢٣ .

الآخر بالزنا ويكفيني لبيان ذلك ذكر قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * وَيَدْرَؤُا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِين * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١) فإن حلف الزوجان طلقا طلاقاً لا رجعة فيه، والمعترف لا شك عقابه الرجم.

(ى) إمكان تخلص أحد الزوجين من الآخر بالطلاق:

وما أباح الإسلام الطلاق إلا لحفظ كيان الأسرة عندما تصبح العشرة الزوجية من المستحيلات، بل نكبة على المجتمع من أشد النكبات ولقد ذكرنا في مبحث الطلاق في مؤلفنا (الإسلام والطب) بعض مبررات الطلاق الاجتماعية: كالعقم، وعدم الزوج، أو سجنه لمدة طويلة وذكرنا هنالك كذلك بعض الأمراض التي تبيح الطلاق: كبعض أمراض القلب، والكبد، والسل، والزهري. وبعض الأمراض العصبية: كجنون العظمة، والجنون الاضطهادي، والهستريا، والملاخوليا وغيرها. وبينا كذلك في ذاك المبحث التشوهات الجسمية التي تبيح الطلاق: كالشلل، والبرص، والجذام وعدم تناسب أعضاء الذكر والأنثى، وبينا كذلك تسعة من أهم الأمراض النفسية الجنسية التي تفرض الطلاق، وتجعله واجباً من الواجبات. وذكرنا في المبحث الثاني شيئاً من هذه الأمراض (٢).

(ك) الحد من تعدد الزوجات وتنظيمه:

وتعدد الزوجات كذلك مما وضع في الإسلام لحفظ كيان الأسرة، وقد بينا في مؤلفنا (الإسلام والطب) في مبحث تعدد الزوجات وحكمته كيف أن التعدد يتفق وسنن الكون، ويتمشى مع طبيعة البشر، وذكرنا هنالك شروط التعدد، وبينا مسوغاته، ولخصنا ذلك في ثمان مسائل يمكن الرجوع

---

(١) سورة النور الآيات: ٦ - ٩.
(٢) راجع المبحث الثامن من مؤلفنا الإسلام والطب.

إليها مفصلة هنالك. **أولها**: بعض مسوغات الطلاق كالشلل والبرص، والسل، والعقم وغيرها. **ثانيها**: منع الزنا واتخاذ الخليلات[1] **ثالثها**: زيادة عدد النساء. **رابعها**: إكثار النسل. **خامسها**: الطبيعة التناسلية فى الرجل والمرأة. **سادسها**: الحياة التناسلية فى الرجل والمرأة. **سابعها**: مساعدة الزوجات للرجل. **ثامنها**: طول مدة الحيض وكونها قد تكون مبرراً.

(ل) تحريم أنكحة خاصة :

ومما وضعه الدين كذلك لحفظ كيان الأسرة وسعادتها، تحريم زواج زوجة الأب، والأمهات والبنات، والأخوات، إلى غير ذلك مما جاء فى قوله تعالى: **﴿ وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلاً * حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ[2] اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ وَحَلَائِلُ[3] أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً * وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ ﴾**[4] .

١ – المحرمات بالنسب :

فبذلك حرم الإسلام بالنسب سبعة أصناف وهم: الأمهات، والبنات، والأخوات، والعمات، والخالات[5]، وبنات الأخ، وبنات الأخت،

---

(١) **الخليلات**: المشيقات .
(٢) **ربائبكم**: ابنة المرأة من رجل آخر .
(٣) **الحلائل**: الزوجات .
(٤) سورة النساء الآيات : ٢٢ – ٢٤ .
(٥) ويدخل فى ذلك كل من ولده جدك أو جدتك وإن علو من قبل الآباء أو من قبل الأم ولا يدخل فى ذلك شيء من بناتهن. قال تعالى: **﴿ يأيها النبى إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتى هاجرن معك ﴾** الأحزاب الآية : ٥٠ .

وسيأتي ذكر علة ذلك في مبحث زواج الأقارب .

٢ – المحرمات بالرضاع :

وحرم بالرضاع : الأم من الرضاعة ، والأخوة من الرضاعة ، ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « اللبنُ للفحلِ ويحرم من الرّضاع ما يحرم بالنّسب »[١] وسيأتي ذكر علة ذلك في مبحث زواج الأقارب .

٣ – المحرمات بالمصاهرة :

وحرم بالمصاهرة خمس وهي : أمهات النساء[٢] والربائب اللاتي في حجور النساء إذا دخل بهن ، ويدخل في ذلك بنات البنات ، وبنات البنين وإن سفلن كالنسب[٣] ، والأم بالدخول على ابنتها ولا يكفي العقد[٤] وتحرم حلائل الأبناء من الأصلاب ، وزوجة الأب ، ويحرم الجمع بين الأختين ، ويقاس على ذلك بالسنة الجمع بين ذوات المحارم وهو قول رسول الله ﷺ : « لا تُنْكَح المرأةُ علَى عَمّتِها ، ولا العمةُ على بنت أخيها ، ولا المرأةُ على خالتها ولا الخالةُ على بنت أُختها »[٥] .

٤ – تحريم المحصنات :

وتحرم كذلك المحصنات ، وهن ذوات الأزواج[٦] .

---

(١) أخرجه أحمد (١/ ٣٣٩) ، والبيهقي (٧/٤٥٢) ، وانظر إرواء الغليل (٦/٢٨٢) .

(٢) ولا يدخل في ذلك بنات الأمهات ولا أخواتهن ولا خالاتهن فقد حل نكاحهن بعد موت الزوجة أو فراقها وانقضاء عدتها لأنهن ذوات محارم ، إذ لا يحرم إلا الجمع بينهن .

(٣) الربيبة ابنة المرأة من رجل آخر ، سميت كذلك ، لأنه يربيها كما يربي ولده في غالب الأمر ، ومعناه بنات نسائكم تربونهن كما تربون أولادكم وهن في حجوركم ، والجمهور أخذ التربية في الحجور علة للتحريم ، ولكن سيدنا علياً أخذ بلفظ الآية وجعل التربية لهن شرطاً في التحريم ، حتى تتحقق حضانة الرجل لهن وتربيتهن ، وقول علي أقرب إلى الصواب ، والجمهور أخذ بدرء الشبهات ، وهو آمن .

(٤) وهذا قول فريق من الصحابة وهو مذهب زيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وجابر وابن عباس في رواية عنه ، والجمهور يقول بأن العقد كاف في التحريم .

(٥) أخرجه مسلم في (النكاح / ٤) ، وابن ماجه (١٩٢٩) ، وأحمد (١/ ٧٨، ٢/ ١٧٨) ، والبيهقي (٥/٣٤٥) ، وبقية الحديث : « ولا تنكح الكبرى على الصغرى ولا الصغرى على الكبرى » أبو داود عن أبي هريرة ، وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه كره أن يجمع بين العمة والخالة ، وبين الخالتين والعمتين .

(٦) ويستثنى من هذا السبايا : (وهن أسرى الحرب إذا سبين دون أزواجهن أو معهم ، لأن السبي يهدم النكاح) .

٥ - تحريم المشركات :

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِن مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ (١) فلا يحل وطء المشركة بنكاح ولا بملك يمين لأنه يخشى منها الخيانة والغدر، وربما قتلت الرجل إذا ضمها بيته، ودينها يبيح ذلك .

٦ - تحريم الزانية :

ومثل المشركة الزانية، يحرم الإسلام نكاحها قال تعالى : ﴿ الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢) ، وقال رسول الله ﷺ : « لَا يَنْكِح الزاني المجلودُ إلا مِثْلَهُ » (٣) وقد بينا علة ذلك في مؤلفنا (الإسلام والطب) في مبحث نكاح الزاني والزانية، وذكرنا في ذلك المبحث كذلك علة تحريم نكاح المشركة . والأولى بالقارئ أن يرجع إلى ذلك الكتاب .

٧ - نكاحُ حرائرِ أهل الكتاب :

ولا يحل نكاح الأمة الموحدة من أهل الكتاب لقوله تعالى : ﴿ مِن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ﴾ (٤) وإنما تحل الحرائر منهن، وهو قوله تعالى : ﴿ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ ﴾ (٥) ويحل وطء الإماء من أهل الكتاب بملك اليمين لقوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ (٦) .

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٢١ . (٢) سورة النور الآية : ٣ .
(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٥٢)، والحاكم (٢/١٦٦) .
(٤) سورة النساء الآية : ٢٥ . (٥) سورة المائدة الآية : ٥ .
(٦) سورة النساء الآية : ٢٤ .

٨ - تحريمُ زواج المسلمة بغير المسلم :

وحرم الإسلام زواج المسلمة من غير المسلم على وجه عام[١] .

(م) تقريرُ حقوقِ الرجل والمرأة وواجباتهما :

وحفظاً لكيان الأسرة وحمايتها وضع الدين تشريعاً خاصاً لها ، وقرر حقوق كل من الزوجين وواجباتهما ، ورفع المرأة إلى المكان اللائق بها فى الحياة ، ووضعها فى مستواها الإنسانى الذى ينكره عليها فلاسفة الأديان الأخرى ، ونرى أن نتكلم عن هذه النواحى فى العجالة الآتية :

١ - مكانةُ المرأةِ عند غير المسلمين :

كان الأثينيون يتجرون فى النساء ولا يعتبرون لهن رأياً وقد أباحوا للرجل أن يتزوج أى عدد شاء منهن ، وأبيح للمرأة فى إسبرطة أن تتزوج بأكثر من رجل واحد ، وكانت اليهود تعد البنت فى مرتبة الخادم ، وكان لأبيها الحق أن يبيعها وهى قاصر ، ولا يسمح لها بميراث أبيها إذا لم يكن لها أخوة ، وكانت المرأة فى الجاهلية تورث كما يورث المال والمتاع وكانت تعد من ثروة أبيها أو زوجها ، وقد جاء فى القانون الرومانى أن المرأة ليست أهلاً

---

(١) وذلك لأن هذا الزواج لا تستقيم به الأسرة وهاك أهم الأسباب :

أولاً : أن الدين الإسلامي ضمن للزوجة ، ولو كانت مسيحية شخصيتها الدينية وأمر بعدم التعرض لعبادتها ، فيحق لها أن تتعبد بعبادتها وتقيم شعائرها الدينية بدون اعتراض زوجها المسلم عليها . لاعترافه بدينها ، ولكن المسيحى لا يعترف بالإسلام ، ولا برسالة محمد رسول الله ﷺ ، فهو لا يصرح للمسلمة بالصلاة والصيام والزكاة والحج ، وليس هنالك ضامن له بالنسبة لها ، بخلاف ضمان الشرع الإسلامى للكتابية .

ثانياً : الكتابية لها حقوق على زوجها المسلم إذ أنها تعتبر إنساناً كاملاً لها حقوق فى أثناء الزواج ، ولها حقوق بعد الطلاق ، ولها الحرية الشخصية التامة فى تصرفاتها وهو ما سيأتى بيانه بعد .

ثالثاً : يعتبر الدين الإسلامى الاستمتاع فى المرتبة الثانية من مقاصد الزواج ، وهى عبادة الله تعالى والتعاون على إنهاض الأسرة وتعمير العالم ، وقد ذكرنا ذلك فى هذا المؤلف .

رابعاً : أوصى الإسلام المسلم بزوجته المسيحية خيراً ، وأن يعاملها كزوجته المسلمة ، ولكن بعض الملل المسيحية مثلاً أمرت المسيحى أن يقتل من ليس على دينه وهو ما جاء به كتابهم : (أما أعدائى أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم فأتوا بهم إلى هنا واذبحوهم قدامى) لوقا ١٩ : ٢٧. ولك أن تراجع مؤلفنا (المسيح والتثليث) .

للتصرف مدة حياتها كالطفل، وجاء فى القانون الفرنسى أنها ليست أهلاً للتعاقد بدون رضاء زوجها وإجازته، ومن الغريب أن يعقد مؤتمر عام فى إحدى الولايات فى فرنسا سنة ٥٨٦م للبحث فيما إذا كانت المرأة تعد إنساناً أم هى غير إنسان! فقرروا أنه يمكن اعتبارها إنساناً خلق لخدمة الرجل فحسب. وكان القانون الإنجليزى منذ مائة عام يبيح بيع الزوجات، وكان ثمن الزوجة سنة ١٨٠١م محدداً بمبلغ ستة بنسات (٤٢ مليماً تقريباً)، ويمكن معرفة مركز المرأة عند غير المسلمين مما قرر (ترترليان) فى كتابه: (وصف المرأة) من أنها باب الشيطان لأنها أفسدت آدم، وهو مظهر من مظاهر الله، وقال (لوفى): إنها شر لابد منه! وقضت أوامر الكنيسة الأرثوذكسية بحرمان المرأة حقها فى المجتمع، ويقول العلامة (آرثر شو بنهور): إن المرأة مخلوق ثانوى لم يخلق إلا للغيرة والمباراة فى الخلاعة والرقص، وإن تفكيرها مقصور على خديعة الرجل وابتزاز ماله، وهى جنس عديم الشعور والإحساس معدومة الكفاءة! وكذلك قرر (هيارت) فى كتابه (بحث فى الكفاءة العلمية) ويقول (شامفور): إن النساء لم تخلق إلا لمناوشة ضعفنا وجنوننا، أما التوافق بين الأرواح والعقول والأخلاق فضعيف جداً، وذكر شوبنهور أن أوروبا أفسدها احترام المرأة التى تعتبر جنساً وضيعاً أفسد أحوالنا السياسية والاجتماعية!

وأما ما يبدو من تقدير الإفرنج للمرأة واحترامها، فما هو إلا وسيلة لإيقاعها فى شراك الفسق والفجور، وبث روح الدعارة فيها حتى يسهل الاتصال بها وللتفنن فى المسائل الجنسية وذلك يرجع إلى تدهور الأخلاق، والسقوط فى الأمراض النفسية الجنسية، ولذلك تراهم يبيحون لها المراقصة، والتزين فى الأسواق وحضور مجتمعات الذكور، محبذين مبدأ اتخاذ الخليلات والفوضى التناسلية، وقد ثار على هذه الإباحية كثير من الأوربيين.

والإفرنج لم تستند فى هذه الدعاية الجوفاء على شىء ذى بال، أو على

دين من الاديان ، فدينهم يقرر أن المرأة بدن بغير رأس ، فسلبها الإرادة ، وفرض عليها طاعة الرجل طاعة عمياء ، فلا تطيعه كما تطيع الزوجة زوجها ، ولكنها تطيعه كما يطيع المرء إلهه وخالقه ، تطيعه حتى فى تصريف مالها ، وسائر أمورها الخاصة بها ، ويمكن معرفة ذلك إذا راجعت الإنجيل المتداول اليوم ، فترى فى الرسالة الخامسة لبولس إلى أهل أفسس قوله : (يا أيتها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب ، لأن الرجل هو رأس المرأة ، كما أن المسيح أيضاً هو رأس الكنيسة ، وهو مخلص الجسد ولكن كما تخضع الكنيسة للمسيح كذلك النساء لرجالهن فى كل شيء) .

٢ - مكانةُ المرأةِ فى الإسلام :

وأما الإسلام فقد رفع شأن المرأة واعتبرها إنساناً كاملاً له حقوقه وواجباته التى تناسبه ، وسأبين ذلك فيما يلى :

(١) المرأةُ إنسانٌ كامل كالرجل :

فأما اعتبار الدين المرأة إنساناً كاملاً ، فهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً ﴾ [١] وقوله : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [٢] وقوله : ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِى عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [٣] وقوله : ﴿ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ ﴾ [٤] .

---

(١) سورة النساء الآية : ٣٢ .
(٢) سورة التوبة الآية : ٧١ .
(٣) سورة البقرة الآية : ٢٢٨ .
(٤) سورة آل عمران الآية : ١٩٥ .

(٢) حقوق المرأة :

وأعطى الإسلام للمرأة حقوقاً لم يعطها إياها دين من الأديان ، أو قانون من القوانين الوضعية ، مثال ذلك :

أولاً : حق المرأة فى الميراث عامة :

أعطى الإسلام للمرأة الحق فى ميراث الوالدين فقال تعالى : ﴿ يُوصِيكُمُ اللهُ فِى أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ ﴾ (١) . وأعطاها حق الميراث من الأولاد فقال جل شأنه : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِى بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ﴾ (٢) . وأعطاها كذلك الإسلام حق الميراث فى الزوج ، فقال تعالى : ﴿ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ﴾ (٣) وللمرأة أن ترث بصفتها أختاً قال جل شأنه : ﴿ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِى الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴾ (٤) .

ثانياً : حقُّ المرأة فى المهر :

وللمرأة كذلك الحق فى المهر لا ينازعها فيه منازع ولو اشترت به أى شىء فهو ملك لها كالميراث .

(١ ، ٢) سورة النساء الآية : ١١ .
(٣ ، ٤) سورة النساء الآية : ١٢ .

ثالثاً : حقُّ استثمار المال :

ولها كامل الحق في استثمار مالها كالرجل سواء بسواء، بل لها أن توكل غير زوجها في إدارة أموالها الخاصة .

رابعاً : حقُّ اختيارِ الزوج :

وللمرأة كذلك حق اختيار الزوج ولا تُزوَّج بغير رغبتها ، وسيأتي هذا في المبحث التالي :

خامساً : حقُّ الطلاقِ :

ولها كذلك حق طلب الطلاق والانفصال من الزوج لعذر شرعي .

سادساً : حقُّ الجهادِ :

وللمرأة حق الجهاد والحرب بكل الوسائل إذا دهم[(١)] بلاد المسلمين داهم ، ويجب عليها ذلك ولو بغير إذن الزوج ، كما أن لها الحق في عدم الخروج للقتل للغزو ، نظراً لحالتها الجسمية والاجتماعية التي تضطرها إلى التخلف لرعاية البيت والأطفال ، وحينئذ تكون النساء جيشاً مرابطاً .

(٣) واجباتُ المرأة :

ولما كان الدين قد جعل للمرأة حقوقاً ، فقد قرر عليها كذلك واجبات وجعلها مسئولة عن وظيفتها التي خلقت من أجلها في المجتمع ، وحسبك قول رسول الله ﷺ : «والمرأةُ راعيةٌ في بَيْتِ زَوْجِها وَمَسْئُولة عن رَعيتها »[(٢)] فمن واجباتها ألا تأذن بالدخول في بيت زوجها إلا لمن يرضاه ، وألا تخرج من بيتها إلا بإذنه ولضرورة شرعية . فترى واجباتها ما جعلت إلا لحفظ كرامتها ، ولرفعة شأنها ، ولعدم تعرضها لمرضى النفوس والأخلاق ، ولبعدها عن أسباب الفتن ، ولترفعها عن الشبهات . قال النبي ﷺ :

(١) دهم : أغار وانقض .
(٢) تقدم تخريجه .

« لا تُنْفقُ المرأةُ من بيتِ زَوْجها إلا بإذنِهِ » قيل : يا رسول الله ولا الطعام ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : « ذلك أفضلُ أموالنا »[1] .

(٤) واجباتُ الرجل نحو المرأة :

ولما كان الرجل بحكم الشرع قيماً على المرأة ، فقد أمر الله تعالى الزوج أن يحسن عشرة زوجته فقال جل شأنه : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[2] وأمره أن ينفق عليها من ماله الخاص ، وأن ينفق على أولاده منها ، وأن يشترى كل ما تتطلبه المعيشة الزوجية من الفراش وسائر لوازم البيت ، والمرأة ليست ملزمة بشيء من ذلك مطلقاً مهما كانت غنية ، وقال رسول الله ﷺ : « خَيْرُكُم خَيْرُكُم لأهلِهِ وأنا خَيْركم لأهلى »[3] وقال صلوات الله وسلامه عليه : « شَرّ النَّاس المضيِّق على أهله »[4] .

ومن واجبات الرجل أن يرشد أهله إلى فعل الخير وعبادة الله تعالى قال تعالى : ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقاً نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوى﴾[5] وقد مدح الله تعالى إسماعيل فى قوله : ﴿وَاذْكُرْ فِى الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسولاً نَبِياً ۔ وكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بالصَّلاةِ والزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا﴾[6] وقال رسول الله ﷺ : « لا يلقى الله أحدٌ بذنبٍ أعظم من جهالةِ أهلِهِ »[7] وقال تعالى : ﴿يَـأَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً﴾[8] .

---

(١) أخرجه الترمذى (٦٧٠) ، وأبو داود فى البيوع (٩٠) ، وانظر الكنز (١٥٠٥١) .

(٢) سورة النساء الآية : ١٩ .

(٣) أخرجه الترمذى (٣٨٩٥) ، وابن ماجه (١٩٧٧) ، والبيهقى (٤٦٨/٧) ، ومثله قوله صلوات الله وسلامه عليه : « خياركم خياركم لنسائهم » رواه الترمذى وابن حبان عن أبى هريرة . وروى الحاكم : « خيركم خيركم للنساء » .

(٤) انظر المجمع (٢٥/٨) ، والكنز (٤٤٩٢) .

(٥) سورة طه الآية : ١٣٢ .

(٦) سورة مريم الآيتان : ٥٤ ، ٥٥ .

(٧) انظر الإتحاف (٣١٧/٥) ، وابن عساكر فى تهذيب تاريخ بغداد (٣٤/٢) .

(٨) سورة التحريم الآية : ٦ .

وأرى أنه لا بأس أن أشير هنا إلى أهمية واجب الرجل فى أمر أهله بالصلاة وسائر فروض الدين، فإن الرجل لا يستطيع أن يحكم أهله إلا بالدين، ولا شك أن المرأة التى لا تطيع ربها وتتبع سنة نبيها صلوات الله وسلامه عليه، لا تطيع الزوج ولا تتعفف عن ارتكاب أى محظور، والمرأة التى لا تطيع الله لا يهمها طاعة زوجها، والتى لا تطيع الزوج فى دائرة الدين، لا تنفعها عبادة الله، ولقد تقرر في الإسلام أن تاركة الصلاة والزانية وتاركة الصيام طلاقها فرض على الزوج[1].

(٥) تقديس أمومة المرأة:

ولما خلق الله المرأة وجعلها - بمقتضى توزيع الأعمال - أما رفع مكانتها وكرمها وجعل مركز الأمومة كالأبوة من حيث التشريف والتعظيم فقال تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً • إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً • وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً﴾[2].

بل لقد أعطى الله تعالى الأم شرفا أكثر مما أعطاه للوالد فقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[3] وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً ..﴾[4].

(٦) بيانُ مكانةِ الزوج:

قال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ[5] بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ

---

(١) قال الحنابلة بذلك، وأنا أرى رأيهم، وطلاق تاركة الصلاة أو أى فرض من فروض الإسلام مندوب عند سائر الأئمة.

(٢) سورة الإسراء الآيتان: ٢٣، ٢٤.

(٣) سورة لقمان الآية: ١٤. (٤) سورة الأحقاف الآية: ١٥.

(٥) أى أمروا عليهن، فعلى المرأة أن تطيع زوجها فى طاعة الله.

عَلَى بَعْضٍ [1] وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ [2] فَالصَّالِحَاتُ [3] قَانِتَاتٌ [4] حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ [5] بِمَا حَفِظَ [6] اللَّهُ ﴾ [7] .

وهكذا بين الله مكان الزوج بالنسبة إلى المرأة حتى تستقيم أمور العائلة ، ويصبح لها رأى واحد ، ولا يدب الفشل فيها ، قال رسول الله ﷺ : « إذا صَلَّت المرأةُ خَمْسها ، وصامت شهرها ، وحفظت فَرْجها ، وأطاعَتْ زَوْجَها ، قيل لها : ادخُلى من أى أبوابِ الجنَّةِ شِئْتِ » [8] وذكر رسول الله ﷺ : أن المرأة إذا أدت العبادات ، ولكنها عملت على هدم بناء الأسرة ، وشغلت زوجها بشكسها [9] ، وسوء أدبها وعدم قيامها بالواجب الإنسانى ، الذى أعدها الله له جسمانياً ، وعقلياً ، ونفسياً ، حبط عملها ، ودليل ذلك قول رسول الله صلوات الله وسلامه عليه : « لا تؤد المرأة حق ربها حتى تؤدى حق زوجها » [10] وقال ﷺ : « لو كنتُ آمراً لأحد أن يسجدَ لأحدٍ لأمرتُ النِّساء أن يَسْجُدْنَ لأزْواجهنَّ ، بِمَا جَعَلَ اللهُ لهم عَلَيْهنَّ مِنَ الحقِّ » [11] .

وذكر الدين أن الكفر بحق الزوج يدخل النار ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « يا معشرَ النِّساء تصدقنَ فإنى رأيتُكُنَّ أكثرَ أهل النَّار » فقلنَ :

---

(١) فى كونهم فيهم الأنبياء والملوك والقادة والأئمة والغزاة إلى غير ذلك .

(٢) فى مهورهن وفى الجهاد فى الدين وغيرها ، وقد استدل مالك والشافعى وغيرهما بجواز فسخ النكاح إذا عجز الزوج عن نفقة زوجته وكسوتها .

(٣) أى المحسنات العاملات للخير من النساء .

(٤) أى مطيعات لله ، قائمات بما يجب عليهن من حقوق الله وحقوق أزواجهن .

(٥) أى عند غيبة أزواجهن عنهن ، من حفظ نفوسهن وفروجهن وحفظ أموالهم .

(٦) أى بحفظ الله إياهن ومعونته وتسديده ، أو حافظات له بحفظ الله لهن بما أوحى به للأزواج فى شأنهن من حسن العشرة .

(٧) سورة النساء الآية : ٣٤ . (٨) تقدم تخريجه .

(٩) الشكس : كثرة المشاجرة .

(١٠) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٣) ، وابن حبان (١٢٩٠) ، وأحمد (٣٨١/٤) ، والصحيحة (٢٠٢/٣) .

(١١) أخرجه أبو داود فى النكاح (١٤) ، والترمذى (١١٥٩) ، وأحمد (٣٨١/٤) ، والحاكم (١٨٧/٢) .

وبم يا رسول الله ؟ قال ﷺ : « تُكثِرن اللعن وتكفرنَ العَشِير »[1] وقال صلوات الله وسلامه عليه : « إذا قالتِ المرأةُ لزوجها : ما رأيتُ منك خيراً قط فقد حَبِط عملُها »[2] وقال ﷺ : « ثلاثةٌ لا يقبلُ الله لهم صلاة : (منها) المرأة الساخطُ عليها زَوْجُها »[3] .

وقال النبى ﷺ : « لا يَنْظرُ الله تباركَ وتعالى إلى امرأةٍ لا تشكر لزَوْجها ، وهى لا تَسْتَغْنى عنه »[4] وقال ﷺ : « أيما امرأةٍ ماتت وزَوْجُها عنها راضٍ دخلت الجَنَّة »[5] .

ذكرنا أن الطلاق وضعه الإسلام لسعادة الأسرة لا لشقائها ، وذلك حين لا يكون هنالك مفر من الفصال بين الزوجين للأمور التى أشرنا إليها فى هذا المبحث فى الموضوع (رقم ى) وقبل أن أتكلم عن الطلاق يجب أن أذكر القارئ بما (ذكرته) فى المبحث الثالث من صفات المسلم الذى أعده الله تعالى للزواج ، فهذا المسلم هو بعينه الذى أعطاه الإسلام حق الطلاق ليستعمله عند الضرورة القصوى حين تصبح الحالة الزوجية محالاً من المحالات ولأبين ما يناسب المقام فيما يلى :

١ - الطلاقُ أبغضُ الحلالِ إلى الله :

وبالرغم من ذلك فقد اعتبر الدين الطلاق أبغض الحلال إلى الله ، فقال

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) رواه ابن عدى (٢٦٢٤/٧) ، عن عائشة ، وقال عليه الصلاة والسلام : « ... تسرعن اللعن ، وتكثرن الطعن ، وتكفرن العشير ، إذا جعتن دقعتن وإذا شبعتن أشرتن » .

(٣) أخرجه الطبرانى (٤٩/١١) ، وابن حبان (٣٧٧) ، وابن خزيمة (٩٤) ، وأبو نعيم (٩٧/٤)، ومثله ما رواه الترمذى عن أبى أمامة : « ثلاثة لا تجاوز صلاتهن آذانهن ...» وفيه « وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط » .

(٤) أخرجه البيهقى (٢٩٤/٧)، والحاكم (٢/ ١٩٠، ١٧٤/٤)، وانظر مجمع الزوائد (٤٥٠٨٢)، والصحيحة (٢٨٩) .

(٥) أخرجه ابن ماجه (١٨٥٤)، والحاكم (١٧٣/٤)، وابن أبى شيبة (٣٠٣/٤)، والعلل المتناهية (١٤١/٢) .

صلوات الله وسلامه عليه: «أبغضُ الحلال إلى الله الطلاقُ»[1] وقال ﷺ: «ما أحل اللهُ شيئاً أبغضَ إليه من الطلاقِ»[2] وقال عليه الصلاة والسلام: «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاقَ يهتز منه العرشُ»[3] وكذلك يرى الدين أن المرأة التى تطلب الطلاق من زوجها، من غير عذر قاهر، وسبب شرعي صحيح، لا يرضى الله عنها فقال ﷺ: «أيما امرأة سألتْ زوجها طلاقاً فى غير بأس فحرام عليها رائحة الجنَّة»[4] وقال صلوات الله وسلامه عليه: «إنَ المختلعات هُنَّ المنافِقَات، وحَرّم الله ريح الجنَّة على امرأةٍ سألتْ زَوْجَها الطَّلاقَ»[5] بل لقد حمى الإسلام الزواج أن يعبث به فقال ﷺ: «ما حلفَ بالطَّلاق مؤمنٌ، ولا استحلفَ به إلا منافق»[6].

٢ - تحريمُ طلاقِ النفساء والحائض:

ولما كان الطلاق قد يقع عند الانفعال - أمر الدين ألا تطلق المرأة فى نفاسها حتى تطهر ولا تمس، وفى حيضها حتى تطهر وتحيض وتطهر ولا تمس، وهى العدة التى جاءت فى قوله تعالى: ﴿ يَـٰأَيُّها النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا الله رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ الله وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ الله فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِى لَعَلَّ الله يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً ﴾[7]

---

(١) أخرجه أبو داود (٢١٧٨)، وابن ماجه (٢٠١٨)، وابن عدى (٢٤٥٣/٦)، وشرح السنة (١٩٥/٩)، والبغوى (٢/ ٦٥، ٣١٦/٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٢١٧٧)، والبيهقى (٣٢٢/٧)، والحاكم (١٩٦/٢٠)، والدارقطنى (١٥٠/١٨).

(٣) أخرجه ابن عدى (١٧٦٤/٥)، وانظر كشف الخفاء (١/ ٣٦١، ٤٨٢/٢)، وتنزية الشريعة (٢٠٢/٢)، والتذكرة (١٣٢)، والضعيفة (١٤٧، ٧٣١).

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٠٥٥)، وأحمد (٢٧٧/٥)، والدارمى (١٦٢/٢)، والحاكم (٢٠٠/٢)، وإرواء الغليل (١٠٠/٧).

(٥) أخرجه ابن عدى (٩٨٦/٣)، والطبرانى (٣٣٩/١٧)، والطبرى (٢٨٥/٢)، وانظر الصحيحة (٢١٣/٢)، ومجمع الزوائد (٥/٢).

(٦) انظر كشف الخفاء (٥٢/٢ ، ٤١٧)، والأسرار المرفوعة (٢٤٠).

(٧) سورة الطلاق الآية: ١ .

وهذه فرصة يتبين منها العزم المبنى على التعقل من ثورة النفس ، وقد ذكرنا ذلك عند الكلام عن تربية الإرادة وضبط النفس والانفعالات فى المبحث الثالث [1] .

٣ – الطلاق مرتان :

ولنفس السبب جعل الدين الطلاق مرتين فقال تعالى : ﴿ **الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ** ﴾ [2] .

٤ – التطليقة الثالثة بائنة :

فإذا طلق الثالثة تبين المرأة ولا ترجع لزوجها ، وهذا ما يدعو المرء إلى التروى ووزن الأمور بميزان العقل ، فالمرأة إذا طُلّقت ثلاثاً لا ترجع إلى زوجها الأول إلا إذا تزوجت رجلاً آخر زواجاً صحيحاً وحدث أن طلقت منه بشرط أن يكون قد وطأها وهو قول رسول الله ﷺ : لامرأة رفاعة حين جاءته فقالت : يا رسول الله إنى نكحت عبد الرحمن بن الزبير ، والله ما معه إلا مثل هذه الهدبة ، فقال رسول الله ﷺ : « لعلك تُريدينَ أن تَرجعى إلى رِفاعة ؟ لا !! حتى يذوق عسيلتكِ وتَذُوقى عسيلَتَهُ » [3] وقال تعالى : ﴿ **فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِما أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيما حُدُودَ اللهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [4] .

٥ – عدم جواز المحلل :

ولا ترجع المطلقة إلى زوجها إذا استأجر من يتزوجها بأجر ، ظناً منه

---

(١) ولا يقع طلاق الغضبان إذا كان الغضب بغير تعقل صاحبه ، بحيث يجعله كالمجنون الذى لا يقصد ما يقول ولا يعلم ما يفعل – الفقه على المذاهب الأربعة .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٢٩ .

(٣) أخرجه البخارى (٧/٥٥ ، ١٨٤ ، ٨/٢٨١) ، ومسلم (النكاح / ١٧) ، والنسائى (٦/٩٣) ، وأحمد (٦/٢٢٦) ، والبيهقى (٧/٣٧٤) ، والطبرانى (٢/٢٩١) .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٣٠ .

أنها تحل له فإن هذا المستأجر سماه الرسول ﷺ بالتيس المستعار، قال رسول الله ﷺ: «ألا أُخبركُم بالتَّيس المستَعار؟» قالوا: بلى يا رسول الله! قال: «هو المحلل، لعن الله المحلِّل والمحلَّلَ له» (١) وهكذا لعن رسول الله ﷺ المحلل والمحلل له، وهكذا لا تحل الزوجة بذلك التيس المستعار، فالذى يحل هو الرجل الذى «يَنْكِحُ مرْتَغِباً لِنَفسِهِ» (٢) وإلا كان الأمر كله سفاحاً وزناً وفسقاً وقال عمر بن الخطاب: لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتهما (٣).

٦ – تحريم الطلاق ثلاثاً:

وحرم الإسلام كذلك الطلاق ثلاثاً فقد أخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام غضبان ثم قال: «أيلعبُ بِكتابِ الله وأنا بينَ أظهركُم!!» حتى قام رجلٌ وقال: يا رسول الله ألا أقْتله؟ (٤).

٧ – التوفيق بين الزوجين ووسائل منع الطلاق (٥):

وأمر الدين المسلم – وقد بينا صفاته فى المبحث السابق – أن يحاول إصلاح ذات البين، وأن يداوى الأمور بحسن تصريفه وصائب فكره، فإن صعب عليه ذلك، وكانت امرأته ليست كما يجب، وليست على علم تام بواجباتها الزوجية، فعليه أن يرشدها إلى واجبها بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يلفت نظرها إلى ما هو خليق بها كامرأة مسلمة، فإن لم يؤد ذلك إلى

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٣٦)، والطبرانى (٢٩٩/١٧)، والدارقطنى (٢٥١/٣)، وانظر إرواء الغليل (٣٠٩/٦)، والعلل المتناهية (١٥٨/٢)، والدر المنثور (٢٨٤/١).

(٢) لفظ رسول الله ﷺ رواه أبو بكر بن أبى شيبة فى المصنف.

(٣) كتاب المصنف، وسنن الأثرم، والأوسط لابن المنذر عن عمر، ويمكن الرجوع إلى المحلل والمحلل له فى كتاب إقامة الدليل على إبطال التحليل لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية.

(٤) أخرجه النسائى (١٤٢/٦)، وانظر الفتح (٣٦٢/٩). والطلاق ثلاثاً يعتبر بدعة فى رأى أبى حنيفة ومالك والأوزاعى والليث، والجمهور يرى وقوع الطلاق لأن فاعله أحمق فاسق لا يليق بالزوجة أن تلبث معه فهو ليس خليقاً بها.

(٥) المأخوذة باختصار من مؤلفنا الإسلام والطب من مبحث الطلاق.

نتيجة مرضية ، وكان فى المرأة بعض الشذوذ وضعف الإدراك وشىء من الإهمال ، وعدم التبصر فى عواقب الأمور ، فعليه أن يجرب الزجر ، وبعض القول الشديد ، فإن لم ترجع الزوجة عن عصيان زوجها فلعل فى هجرها فى المضاجع تنبيهاً لها ، ولفت نظر عملى إلى ما هى عليه من العوج ، فإذا كان ذلك لا يجدى فقد أباح الدين الضرب غير المبرح [1] كآخر وسيلة للإصلاح ، قال تعالى : ﴿ وَالَّلاتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِى الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ [2] فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً ﴾ [3] .

ودعا الدين كذلك للتوفيق بين الزوجين ، فقال: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَماً مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَماً مِن أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحاً يُوَفِّقِ اللهُ بَيْنَهُمَا ﴾ [4] وقال : ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزاً أَوْ إِعْرَاضاً فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحاً وَالصُّلْحُ خَيْرٌ وَأُحْضِرَتِ الأَنْفُسُ الشُّحَّ وَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ﴾ [5] .

فإذا لم تفد كل المحاولات بعد ذلك أبيح الطلاق ، قال تعالى : ﴿ وَإِن عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [6] والعزم يدل على أن الطلاق بنى على الروية والتفكير ، وطرق جميع سبل الإصلاح ، والطلاق حينئذ يكون أولى ، حتى يجد كل فريق ما يناسبه ، قال تعالى : ﴿ وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ ﴾ [7] .

---

(١) المبرح : الشديد الذى يتجاوز به الإنسان عن حدّه .

(٢) قال رسول الله ﷺ : « واضربوهن ضرباً غير مبرح » رواه ابن ماجه والترمذى عن عمرو بن الأحوص الجشمى وقال صلوات الله وسلامه عليه : « لا يسأل الرجل فيم ضرب امرأته عليه » رواه أبو داود عن عمر .

(٣) سورة النساء الآية : ٣٤ .

(٤) سورة النساء الآية : ٣٥ .

(٥) سورة النساء الآية : ١٢٨.

(٦) سورة البقرة الآية : ٢٢٧.

(٧) سورة النساء الآية : ١٣٠ .

٨ – حقوق المرأة بعد الطلاق :

ولم يترك الإسلام المرأة بعد الطلاق من غير تشريع، بل لقد جعل لها حقوقاً على زوجها فحرم عليه أن يسترد منها شيئاً أعطاه إياها قبل الطلاق، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئاً أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَاناً وَإِثْماً مُبِيناً * وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقاً غَلِيظاً ﴾ (١) .

وفرض على الرجل أن ينفق على مطلقته، إن كانت حاملاً حتى تضع، وأن يعطيها أجر رضاعها، قال تعالى: ﴿ أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّى يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَائْتَمِرُوا بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً ﴾ (٢) .

فإن كانت الزوجة لم يدخل بها فتأخذ نصف المهر، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَد فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَو يَعْفُوَ الَّذِى بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (٣) .

٩ – عدة المطلقة :

وحفظاً للأنساب، حرم الله تعالى على المرأة إذا طلقت، أن تتزوج من جديد حتى تقضي زمناً كافياً يثبت فيه عدم حملها، حتى لا تنكح رجلاً

---

(١) سورة النساء الآيتان : ٢٠ ، ٢١ .

(٢) سورة الطلاق الآية : ٧ .

(٣) سورة البقرة الآية ٢٣٧ .

وهى حامل من غيره، وقال تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللهُ فِى أَرْحَامِهِنَّ إِنْ كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (١) والقرء هو الحيض (٢) وهذه المدة هى المقررة علمياً للتأكد من حالة الرحم، ولكى تعلم أن العدة قد جعلها الإسلام للتأكد من براءة الرحم، تراه صرح للحامل المطلقة أن تتزوج متى وضعت، قال تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ (٣).

وأما المتوفى عنها زوجها فلا يسمح لها بالزواج إلا بعد أربعة أشهر وعشراً، ولو وضعت حملها قبل انقضاء هذه المدة. فهذا الأجل يعتبر حداداً على الزوج، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجاً يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْراً﴾ (٤) ويرى على وابن عباس، أن عدة المتوفى عنها زوجها لوحظ فيها أمران: براءة الرحم، وحرمة الزوج المتوفى ورعاية خاطر أهله الأحياء (٥).

والصغيرة التى لا يوطأ مثلها ليس لها عدة، لأنها لا تحمل وهو رأى المالكية والشافعية والحنابلة، ولكن الحنفية رأوا إزالة الشبهة، فقد تبلغ الصغيرة فى أقل من التاسعة. وعلى كل حال إذا حاضت صغيرة وجبت العدة.

والكبيرة الآيسة من المحيض والنساء اللائى بلغن بغير الحيض، ولم يحضن بعد، جعل لهن الدين العدة كذلك للتثبت ولرفع الشبهة، فقد

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢٨.

(٢) هذا قول الحنفية والحنابلة نقلوه عن عمر وعلى وابن عباس وأبى بكر وعثمان وأبى موسى وعبادة وأبى الدرداء، وقال المالكية هو الطهر من الحيض، وقال الشافعية هو الطهر ولا خلاف جوهرياً بينهم طبياً فكلهم مجمعون على أن العدة للتأكد من حالة الرحم، ويرجع إلى كتب الفقه لقراءة التفصيل.

(٣) سورة الطلاق الآية: ٤. ويلاحظ أن هذا فى المطلقة.

(٤) سورة البقرة الآية: ٢٣٤.

(٥) ويرى ابن مسعود ومن تبعه من الأئمة الأربعة، أن وضع الحمل هو الأصل ونحن نخالفهم فى هذا الرأى، ونعتقد بصحة رأى على وابن عباس.

ينقطع الحيض عند امرأة حوالى الأربعين من سنها أو أكثر، كمن فى سن الخامسة والأربعين إلى الخمسين بسبب ما، فتحسب أنها بلغت سن اليأس [(١)] وكذلك البالغ قد لا يأتيها الحيض لأمر ما، وقد تتزوج ولا يأتى الدم بعد الحمل، لذلك قال تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [(٢)] وأرى أن معنى الآية هو ما ذكرناه، وأما تقدير المالكية سن اليأس ببلوغ السبعين فلا نراه مقصوداً، فإن المرأة إذا طلقت فى السبعين فلا يليق أن تتزوج حتى تحسب لها عدة، وإذا تزوجت امرأة فى السبعين أو بعدها فهى مخرفة، وقد تدعى أن الحيض لا يزال يأتيها، وعلى كل حال إذا ادعت هذه الدعوى - أو لم تدعها - فعليها قضاء العدة كذلك عقاباً لها على الإقدام على الزواج فى هذه السن، وحتى تحرم من الزوج المخرف الذى ينكح مثلها. ونرى قوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ﴾ معنا: بحسب رأيهن وزعمهن، وقد يكون تقديرهن خطأ، فقد ينقطع الحيض لمرض كما قدمنا ويأتيهن بعد ذلك بزوال المرض، ويكون اليأس الحقيقى بعد ذلك، هذا مع العلم أن سن اليأس ليس له سنة محددة.

١٠ - تقييد تعدد الزوجات وتنظيمه:

وتعدد الزوجات لم يبحه الدين كذلك إلا لحماية الأسرة وسعادتها [(٣)]

---

(١) يتوقف سن اليأس على الجنس، والطقس، وطريقة المعيشة، والصحة العامة وغيرها، وهو غالباً بين سنة ٤٥ - ٥٠ سنة.

(٢) سورة الطلاق الآية: ٤.

(٣) قلنا فى مؤلفنا «الإسلام والطب» فى المبحث التاسع إن الدين الإسلامى لم يشرع الزواج إلى أربع نسوة إلا لحكمة عظيمة، وغاية سامية يرجع أهم أسبابها لأصول طبية ثابتة، ولمرام اجتماعية عميقة الأثر.

وقد وجد نظام التعدد فى أوروبا فإن القديس أغسطس لم يحرمه، وقد أباح لوثر إمام البروتستانت لفيليب أمير هيس أن يتخذ لنفسه زوجتين، كما أبيح للرجال بعد معاهدة وستفاليا أن يتزوجوا من اثنتين، وذلك لنقص عدد سكان ألمانيا وقتئذ نقصاً كبيراً، وينبئك التاريخ بعدم =

فإذا غدا التعدد وسيلة للفشل والشقاء فهو حرام ، ومن أمثلة تقييد التعدد أن جعله الله تعالى قاصراً على أربعة ، ولا يجوز البتة الجمع بين أكثر من ذلك ، وكذلك اشترط الدين العدل المطلق بين من يتزوجهن ، ولم يبح الإسلام التعدد إلا للمسلم المخلص الذى وصفه الدين بالعقل والكمال الإنسانى ، والإخلاص التام فى معاملاته ، وعدم إقدامه على الشىء حتى يرى فيه ضرورة صحيحة صادقة . وقد كفانا المبحث الثالث مؤونة إعادة التنقيب فى صفات المسلم الذى أباح له الإسلام التعدد ، وذكرنا فى مؤلفنا (الإسلام والطب) فى مبحث (تعدد الزوجات وحكمته) الحالات التى أباح الإسلام فى شأنها التعدد ، فيجب الرجوع إلى ذلك هنالك ، وإنك تستطيع أن تلمس روح الإسلام فى العدد فى قوله تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلَّا تَعُولُوا ﴾ (١) وقال : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢)

= استنكار الأساقفة ورؤساء الكنائس للأمر الذى أصدره فالنتيان الثانى بإباحة الزواج بأكثر من واحدة لمن رغب فى ذلك . وقد ظل هذا التصريح معمولاً به فى عهد خلفاء فالنتيان المذكور حتى فشا التعدد إلى أن جاء جوستنيان ووضع قانوناً يمنعه ، ولكن التعدد ظل معمولاً به عند السواد الأعظم من الناس . وشمل ذلك رؤساؤهم ، وتسامح رجال الدين فى ذلك ، وأباحوه لمن يأخذ ترخيصاً من الأسقف أو الرئيس .

وليس اتخاذ الأمراء وعامة الناس فى أوروبا وغيرها فى الزمن الحاضر للخليلات والمحظيات بجانب زوجاتهم الشرعيات إلا أثراً لنظام التعدد الذى كانوا يسيرون عليه ، وما كانت حجة لوثر فى التصريح بالتعدد بأكثر من زوجة واحدة . وعدم تحريمه ذلك إلا لعدم وجود نص فى الكتب المعتبرة عند المسيحيين اليوم . بل إن اتخاذ بعض أنبياء بنى إسرائيل أكثر من زوجة واحدة لدليل على إباحة التعدد عند المسيحيين . وهم يؤمنون بتوراة اليوم . ويسير إنجيلهم على أساسها كما بينا فى كتابنا (المسيح والتثليث) ، ولا ينكر أحد أن إبراهيم عليه السلام جد الأنبياء كان متزوجاً فى وقت واحد بهاجر أم إسماعيل . وسارة أم إسحاق عليهم السلام . ويذكر فوريل ص ١٨٤ أن وحدانية الزواج التى فرضتها الكنيسة الرومانية فرضاً ظالماً لا يتفق مع الفطرة . ولا يتمشى وطبيعة حاجات البشر التناسلية .

ويعتبر (شوبنهور) قوانين الزواج فى أوروبا قيداً واستعباداً لقصرها الزواج على واحدة . ويضيق المقام إذا ذكرت استدلالاته على ذلك ، ويضيق كذلك المقام إذا ذكرت آراء سائر علماء أوروبا وأمريكا ممن يأخذون برأى الإسلام فى جواز التعدد عند الضرورة ، وحسبى ما أشرت إليه فى هذا الكتاب .

(١) سورة النساء الآية : ٣ . (٢) سورة النساء الآية : ١٩ .

ولما كانت الناحية القلبية لا يمكن السيطرة عليها ، إذ قد يحب الرجل زوجته ذات الأولاد أكثر من العقيم، أو غير ذلك، فلذلك قال تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ (١) .

وهكذا وضع الدين التشريع الكافي للأسرة وأحاطها بسياج منيع من الوقاية والحفظ ، قال تعالى : ﴿ مَا يُرِيدُ اللهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(١) سورة النساء الآية ١٢٩ .

(٢) سورة المائدة الآية : ٦ .

[illegible]

[illegible] فقلعته

[illegible]

[illegible]

[illegible]

المبحث الخامس
الزواج

ونستطيع الآن أن نتكلم عن الزواج في الإسلام، بعدما بينا صفات الرجل والمرأة، وأبعدنا الصور المشوهة من الجنسين، وبعد أن عرفنا ماهية الزوجين المسلمين اللذين أعدهما الدين للزواج وما سنه الإسلام لحماية الأسرة وحفظ كيانها.

وسنقتصر في هذا المبحث على أهم ما يتعلق بالزواج. فسنتكلم عن فرضية النكاح، ونبحث مسألة العزوبة وترغيب الدين في النسل، ونبين ما يخفى على الكثيرين مما يتعلق بالخطوبة في جميع نواحيها، ثم نذكر بعد ذلك ما نراه هاماً في عقد النكاح[1].

فرضية الزواج

الزواج فرض من فروض الإسلام وركن من أركان الدين كالصلاة والصيام والزكاة، وسنتكلم عن ذلك فيما يلي:

(أ) الدليلُ على فرضيةِ الزواج من الكتاب:

قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ..﴾[2] وهذا أمر من الله عز وجل يفرض على المسلم أن يتزوج، ويرشده إلى المرأة التي تطيب له وتعجبه: (التي تسرُّه إذا نظرَ، وتطيعُهُ إذا أمرَ، ولا تخالفُ لما يكره في

(١) وسنفرد بعد ذلك مبحثين مستقلين في «تحسين النسل» و«زواج الأقارب».
(٢) سورة النساء الآية: ٣

نَفسها وماله) [1] وهو فى قوله تعالى : ﴿ وأَنْكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ والصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ .. ﴾ [2] .

(ب) الدليلُ من السنة :

قال رسول الله ﷺ : « مَنِ استطاعَ مِنكم الباءةَ فَلْيتزوج » [3] وقال صلوات الله وسلامه عليه لعكاف بن وداعة الهلالى : « يا عكاف أَلَكَ امرأة ؟ » قال : لا ، قال : « فأنتَ إذًا من إخوان الشَّياطين ، إنْ كنتَ من رُهْبانِ النَّصارى فالحق بهم ، وإن كنتَ منا فمن سُنَّتِنَا النِّكَاحُ » [4] أى من ديننا ، وقال رسول الله ﷺ : « النِّكاح سُنَّتى فمن رَغِبَ عَنْ سُنَّتى فَلَيْسَ مِنِّى » [5] وقال : « مَنْ كَانَ على دِينى ودِين سليمان وداود وإبراهيم فليتزوَّجْ » [6] .

(ج) وجه الشبه بين فرضى الزواج والحج :

ويشبه النكاح فرض الحج فى كونه لمن استطاع إليه سبيلاً ، فالزواج فرض على من استطاع الباءة ، ويخاف على نفسه الزنا ، إذا لم يتزوج ، ويستوى فى ذلك الرجل والمرأة .

(د) عدم شرط القدرة على النفقة :

ولا تشترط فى الزواج القدرة على الإنفاق فمتى قدر على الزواج ، ليصون نفسه عن الحرام ، فعليه أن يتزوج ويسلك سبيل العمل الحلال الذى يرتزق منه [7] .

---

(١) حديث عن النبى ﷺ رواه النسائى عن أبى هريرة .

(٢) سورة النور الآية : ٣٢ .

(٣) أخرجه البخارى (٣/٧) ، ومسلم فى النكاح (١ ، ٢) ، النسائى (٤/ ١٦٩ ، ١٧١ ، ٦/ ٥٨) ، وأحمد (١/ ٣٨٧ ، ٤٢٤ ، ٤٣٢) .

(٤) أخرجه الطبرانى (١٨/ ٨٤) ، العقيلى (٣/ ٣٥٦) ، أحمد (٥/ ١٦٣) .

(٥) كشف الخفاء (٢/ ٤٤٧) ، والتلخيص (٣/ ١١٦) ، والإتحاف (٥/ ٢٨٦) .

(٦) الكنز (٤٤٤٦٦) .

(٧) المذاهب الأربعة وقال بعض المالكية لا يفترض الزواج إلا إذا كان قادراً على الكسب من حلال لأنه إذا خاف الزنا وجب عليه أن يحارب شهوته .

(هـ) معونة طالب الزواج حق على الله :

قال رسول الله ﷺ : « حَقٌّ على اللهِ عونُ من نَكح التماسَ العفافِ عما حَرَّم الله » [1] .

وقال صلوات الله وسلامه عليه : « التَمِسوا الرزقَ بالنِّكاح » [2] وقال ﷺ : « تَزَوَّجُوا بالنِّساء فإنهنّ يأتينَ بالمالِ » [3] ومعناه أن الله يرزق الرجل برزق عياله كما جاء فى قوله : ﴿ولا تَقْتُلوا أَوْلَادَكُم مِن إمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ [4] وقوله : ﴿وَلا تَقْتُلوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ [5] .

(و) اقتراض المهر والنفقة للزواج :

وإذا استطاع المرء أن يقترض المهر، والنفقة الحلال، فالزواج فرض عليه كما هى الحال فى الحج، بشرط أن يكون له ما يسد دينه منه .

(ز) علة فرضية الزواج هى عدم الوقوع فى الزنا :

وفرض الدين الزواج لمن خاف على نفسه الزنا حتى لا يقع فى المعصية، ولقد علمنا فى المبحث الثانى أن الزنا خروج عن الإسلام، ولقد عامل الدين الزانى معاملة المشرك والقاتل فى الخلود فى جهنم، فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتى حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَل ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً ، يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَومَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً﴾ [6] .

---

(١) الترمذى (١٦٥٥)، والنسائى (٦١/٦)، والبيهقى (٣١٨/١٠) .
(٢) انظر كشف الخفاء (٢٠٢/١)، والكنز (٤٤٤٣٦) .
(٣) الحاكم (١٦٢/٢)، والخطيب فى تاريخ بغداد (١٤٧/٩)، وكشف الخفاء (٣٦١/١) .
(٤) سورة الأنعام الآية : ١٥١ . (٥) سورة الإسراء الآية : ٣١ .
(٦) سورة الفرقان الآيتان ٦٨ ، ٦٩ .

ألا تَرَى إلى قولِ رسول الله ﷺ : «أيما شاب تَزوَّج فى حداثة سنِّه عجَّ شَيْطانُه : يا ويلَهُ عَصَمَ مِنِّى دِينَهُ»[1] .

(ح) متى يكُون الزواجُ حراماً :

وهنالك حالة تجعل الزواج حراماً، وهى إذا لم يكن المرء يخشى الزنا وكان عاجزاً عن الإنفاق على المرأة من كسب حلال، أو عاجزاً عن وطئها، أما إذا علمت المرأة بعجزه عن الوطء ورضيت؛ فإن الزواج يجوز حينئذ، وكذلك الحال إذا علمت بعجزه عن النفقة ورضيت، وهذا بشرط أن تكون رشيدة، أما إذا علمت بأنه يكتسب من حرام ورضيت فإنه لا يجوز[2] .

(ط) متى يكُون الزواجُ اختيارياً :

ويكون الزواج مباحاً لمن ليست له رغبة فيه، كالكبير والعنين ولم يرج نسلاً، وكان قادراً عليه، بشرط ألا يترتب عليه إضرار بالزوجة، أو إفساد لأخلاقها وإلا حرم[3] والأفضل أن يتزوج المرء ولو لم تكن له رغبة وميل للزواج، متى كان يرجو النسل، بشرط أن يكون قادراً على واجباته من كسب حلال وقدرة على الوطء، وإلا كان حراماً كما ذكرنا، وكذلك الأفضل أن يتزوج من كانت له رغبة فى الزواج، ولكنه لا يخاف على نفسه الزنا متى كان قادراً على مؤنة الزواج[4] .

(ى) حكمُ الزواج بِالنسبةِ للمرأةِ :

والزواج فرض على المرأة كالرجل، وفرضيته بالنسبة لها أن تكون عاجزة عن قوتها، وكانت عرضة لمطامع المفسدين، وتوقف على الزواج سترها وصيانتها.

وهى مخيرة إذا لم يكن لها رغبة فى التكاح، ولكن لها أمل فى

---

(١) أخرجه ابن عدى (٣/٩١٣)، وانظر العلل المتناهية (٢/١٢١)، والضعيفة (٦٥٩).
(٢، ٣، ٤) المذاهب الأربعة .

النسل ، بشرط أن تكون قادرة على القيام بحقوق الزوج ، فإن لم تكن قادرة فالأولى لها عدم الزواج ، بل قد يصل الزواج إلى الكراهة أو الحرمة ، لما يروى أنه أتى رجل بابنته إلى رسول الله ﷺ فقال : إن ابنتى هذه أبت أن تتزوج ، فقال لها رسول الله ﷺ : (أطيعي أباك) فقالت : والذى بعثك بالحق ، لا أتزوج حتى تخبرنى ما حق الزوج على زوجته ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « حق الزوج على زوجته : لو كانت به قُرْحة فلحستها أو انتثر مِنْخراه [1] صديداً أو دماً ثمّ ابتلَعتْه ما أدتْ حَقَّه » قالت : والذى بعثك بالحق لا أتزوج أبداً ، فقال النبى ﷺ : « لا تُنْكِحُوهُنَّ إلَّا بإذنِهِنَّ » [2] .

وجاءت امرأة إلى النبى ﷺ قالت : أنا فلانة بنت فلان ، فقال عليه الصلاة والسلام : « قَدْ عَرفْتُكِ فما حاجتَكِ ؟ » قالت : حاجتى إلى ابن عمى فلان العابد . فقال ﷺ : « قد عرفْتُه » قالت : يخطبنى فأخبرنى ما حق الزوج على الزوجة ؟ فإن كان شيئاً أطيقه تزوجته ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « من حقّه أن لو سالَ مِنْخراه دماً وقيحاً فلحسته بلسانها ما أدّت حقه ، لو كانَ يَنْبغى لبشر أن يسجد لبشر لأمرتُ المرأة أن تسجدَ لزوجها إذا دخل عليها لما فضله الله عليها » قالت : والذى بعثك بالحق لا أتزوج ما بقيت الدنيا [3] .

وأتت امرأة من خثعم النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله أخبرنى ما حق الزوج على الزوجة ؟ فإنى امرأة أيم [4] فإن استطعت وإلا جلست أيما ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « فإنَّ حقَّ الزَّوْجِ على زوجَتِهِ إن سألها نفسها وهى على ظهر قَتَب [5] ألا تمنعه نفسها ، ومن حق الزوج على الزوجة ألا تصوم تطوعاً إلا بإذنِهِ فإن فعلتْ جاعتْ وعطشت ولا يقبل منها ، ولا تخرجُ من بيتها إلا بإذنه ، فإن فعلتْ لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمةِ

---

(١) المنخر : الأنف .
(٢) أخرجه البيهقى (٧/٢٩١) ، والحاكم (٢/١٨٩) ، وابن حبان (١٢٨٩) .
(٣) تقدم تخريجه .
(٤) الأيم : العزب رجل كان أو امرأة .
(٥) قتب : سنام الإبل .

وملائكة العذابِ حتى ترجع » قالت : لا جرم لا أتزوج أبداً فالمرأة إذا كانت عاجزة عن القيام بواجباتها الزوجية فحرام عليها الزواج .

وأولى للمرأة أن تتزوج إذا كانت راغبة فى الزواج ، ولكنها لا تخاف الوقوع فى الزنا ، وأمكنها الإنفاق على نفسها وهى مصونة من غير زواج ، سواء كان لها أمل فى النسل أم لا .

العُزوبة

والعزوبة لا تجوز فى الإسلام ، إلا إذا كان الزواج اختيارياً كما قدمنا ، وأما إذا كان المرء له رغبة فى النكاح وخاف على نفسه الزنا ، فالعزوبة حينئذ حرام وخروج عن الإسلام ، قال رسول الله ﷺ : « مَنْ تزوّج فقد استكملَ نصفَ الإيمانِ ، فليتقِ الله فى النصفِ الباقى »[١] .

(أ) عزوبة طالب العلم :

وأرى أن الزواج لا يفرض على الشاب الذى لا يستطيع الكسب من طريق حلال ، ومنعته الظروف الاجتماعية عن الزواج ، كأن كان طالب علم مثلاً ، وكان يأمل أن يتفرغ للعلم حتى يحصل على إجازته العلمية فيتزوج ، بشرط أن الدراسة تشغله عن النساء ، وإلا فرض عليه الزواج ، وإننا لنرى العائلات الكثيرة التى لا تمنع أن تزوج بناتها لطلاب العلم ما داموا مسلمين بمعنى كلمة الإسلام ، فإذا لم يجد الطالب من يزوجه فعليه إذن بمجاهدة نفسه ، قال تعالى : ﴿ وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحاً حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾[٢] وقال رسول الله ﷺ : « إذا حرم أحدُكُمْ الزوجةَ والولدَ فعليه بالجهادِ »[٣] وجهاد النفس هو (الجهاد الأكبر) قال ذلك رسول الله ﷺ حين رجع من غزوة الخندق فقال : « رَجَعْنَا مِن الجهادِ الأصغرِ » وهو الحرب

---

(١) مجمع الزوائد (٢٥٢/٤) ، والكنز (٤٤٤٣٣) ، وابن عساكر (٢٣/٢) .

(٢) سورة النور الآية : ٣٣ .

(٣) انظر مجمع الزوائد (٢٧٨/٥) ، والكنز (١٠٤٨٤) .

والقتال « إلى الجهاد الأكبرِ »[1] وهو جهاد النفس وترويضها والسيطرة عليها .

(ب) الرجلُ الأعزب :

هذا بالنسبة للشاب طالب العلم ، وأما الرجل فلا يعفيه من الزواج إلا أمران : الفقر المدقع وهذا نادر الحصول ، فالرجل يستطيع أن يتكسب من أى طريق حلال ، ويجد مسلمة تعيش معه وترضى بقلة ماله فقد جاء فى صحيح البخارى عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه قالت : تزوجنى الزبير وما له فى الأرض من مال ، ولا مملوك ولا شىء غير ناضح غير فرسه ، فكنت أعلف فرسه ، وأستقى الماء ، وأخرز[2] القربة ، وأعجن ، ولم أكن أحسن أن أخبز ، فكانت جارات لى من الأنصار يخبزن لى وكن نسوة صدق .

وقد كان الرسول ﷺ فقيراً ، وكذلك أكثر أصحابه ، وهم من تعرف من القواد والسادة والأمراء ، وكانت لهم جميعاً زوجات مسلمات على حاجتهم وفقرهم ، وكانت فاطمة بنت الرسول ﷺ تخدم زوجها علياً ، وتساعده على فقره حتى اشتكت ما تَلْقَى فى يديها من الرّحا ، ولا تجد خادماً ، وكانت تعجن ، وتكنس وتستقى الماء ، وتؤدى عمل البيت كله دخل رسول الله ﷺ عليها ذات يوم فقال : (يا بُنَيّتاهُ !! كيفَ أصبحت ؟) قالت : أصبحت والله وجعة ، وزادنى وجعاً على ما بى ، أنى لست أقدر على طعام آكله ، فقد أجهدنى الجوع ، فبكى رسول الله ﷺ وقال : « لا تَجْزعى يا بنتاه !! فوالله ما ذقتُ طعاماً منذ ثلاث ، وإنى لأكرم على الله منك ، ولو سألت ربى لأطعمنى ، ولكنى آثرت الآخرة على الدنيا » ثم ضرب بيده على منكبها وقال لها : « أبْشرى فوالله إنَّكِ لسيدةُ نساء أهل الجنة » إلى قوله : « فواللهِ قد زَوَّجْتُكِ سيداً فى الدُّنيا سيداً فى الآخرةِ »[3] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (٧/٣) ، وكشف الخفاء (٥١١/١) ، وتذكرة الموضوعات (١٩١) ، والأسرار المرفوعة (٢٠٦) .

(٢) الخرز : خياطة الجلد .

(٣) انظر اتحاف السادة المتقين (٢٢٧/٨) .

والأمر الثانى الذى قد يجعل الرجل أعزباً، عدم ميله للنساء، كأن كان مجبوباً أو عنيناً.

(ج) تفضيل المتزوّج على الأعزب:

وعلى كل حال فالمتزوج أفضل من الأعزب مهما كانت الأحوال، فالأعزب معرض كل التعرض لفتنة الشيطان، وتحيط به المغريات من كل مكان، وأما المتزوج فقد غدت نفسه مطمئنة هادئة، وجدت من يكمل نقصها، ويهدئ طبعها، ويهذب انفعالها، ويرقى عواطفها، انتقل به الزواج من عالم الفتنة إلى عالم الأمان، يستطيع التفرغ للجهاد التام فى المجتمع، ويغدو عضواً عاملاً فيه، يشعر بالمسئولية الملقاة على عاتقه، يدفعه واجبه كرب أسرة للجهاد فى الحياة، يأمن على نفسه ارتكاب المحرمات التى يخشى الأعزب الوقوع فيها، ولذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه: (شِرَارُكم عُزّابكم)(1) وذلك لما قد يخشى عليه من الفتنة، وعدم القدرة على غض البصر، وحفظ كرامة الأسرة، وهذا ما دعا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أن يقول: لو لم يبق من عمرى إلا عشرة أيام لأحببت أن أتزوج لكى لا ألق الله عزباً، وتزوج الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه فى اليوم الثانى من وفاة زوجته أم ولده عبد الله وقال: أكره أبيت عزباً.

الترغيب فى النسل

ولما كان طلب الولد من أهم أغراض الزواج، ولما كانت قوة الأمة فى عدد أبنائها الأقوياء، رغب الدين فى طلب الولد، وناشد المسلمين أن ينسلوا النسل الصالح الذى يكون الأمة العظيمة التى عناها الله تعالى فى قوله: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجتْ لِلنَّاس تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾(2) ولذلك كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه

---

(1) رواه أحمد (١٦٣/٥)، وابن عدى (٩١٣/٣)، والطبرانى (٨٦/١٨)، وانظر كشف الخفاء (١٨).
(2) سورة آل عمران الآية: ١١٠.

يقول : ما أتزوج إلا لأجل الولد ، وقال رسول الله ﷺ : « تَزوجُوا الوَلُود الوَدُود ، فإنى مكاثِرٌ بكمُ الأنبياء يومَ القيامةِ »[1] .

(أ) التناسلُ سنَّــةٌ فى خلقه :

ولا شك أن الله تعالى خلق العالم ليتكاثر ، وجعل لذة الوطء سبيلاً لإيجاد النسل ، ولقد بين الله تعالى ذلك فى قوله عن الأنبياء عليهم السلام : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾[2] .

(ب) لا رَهْبانيةَ فى الإسلام :

ولذلك حرم الإسلام الرهبانية ، لأنها تناقض السنن الطبيعية للبشر ، وتشل الأمة وتقضى عليها تمام القضاء ، قال رسول الله ﷺ : « تَزوجُوا فإنِّى مكاثِرٌ بكم الأمَمَ ولا تكونُوا كرهْبانيَّةِ النَّصَارى »[3] وإذا قيل إن الترهب يجعل المرء متفرغاً للعبادة ، فأنا أقول إن الراهب مشغول بنفسه يكبتها ، ويجاهدها لمنعها من شهوة النساء التى تعتبر أقوى الغرائز الإنسانية ، وما محاربة المرء لنفسه ضد شهوة النساء إلا شغلها بهن طوال ذلك ، وخير للمرء أن يتزوج فيرضى هذه الغريزة ليتفرغ لواجبه الإنسانى الذى خلق من أجله فى الحياة ؛ وخير له أن يذكر ربه ولا يكون دائم التفكير كيف يقضى على الغريزة الجنسية ، ورحم الله عبد الله بن عباس رضى الله عنهما حين يقول : لا يتمُّ نُسُكُ الناسك حتى يتزوجَ .

(ج) تفْضيلُ الوَلُود على العَقِيم :

ولتحقيق المقصد الذى يرمى إليه الإسلام من تقوية الأمة ، والإكثار من الصالحين فيها ، حث الدين على التزوج من الولود ، فقال صلوات الله

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٥٨، ٢٤٥) والخطيب فى تاريخه (١٢/ ٣٧٧) .

(٢) سورة الرعد الآية : ٣٨ .

(٣) أخرجه البيهقى (٧/ ٧٨) ، وانظر مجمع الزوائد (٣/ ١٠) ، والكنز (٤٤٤٣٢) ، والصحيحة (١٧٨٢) .

وسلامه عليه : « سَوْداء وَلُود خَيرٌ مِنْ حَسْنَاء عَقِيم »[1] بل لقد نهى الدين عن الزواج من العقيم، فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أحببت امرأة ذات حسب وجمال وإنها لا تلد أفأتزوجها؟ قال صلوات الله وسلامه عليه: (لا!) ثم أتاه الثانية فهناه، ثم أتاه الثالثة فقال ﷺ: « تَزَوَّجُوا الودودَ الولودَ فإنِّي مُكاثرٌ بكمُ الأممَ »[2].

(د) حملُ المرأةِ جهادٌ :

وتشجيعاً للنسل، اعتبر الدين المرأة الحامل مجاهدة في سبيل الله، فقال صلوات الله وسلامه عليه: « المرأةُ في حملِها إلى وَضْعِها إلى فِصالها كالمرابطِ في سبيل الله، فإن ماتتْ بينَ ذلك فلها أجرُ شهيدٍ »[3] وقال ﷺ: « أما تَرْضَى إحداكُنَّ أنَّها إذا كانتْ حاملاً من زَوْجِها وهو عنها راضٍ أن لها مثلَ أجر الصائمِ القائمِ في سبيل اللهِ، فإذا أصابها الطلق لم يعلمْ أهل السماء والأرض ما أُخفي لها من قُرَّة أعين، فإذا وضعتْ لم يخرجْ من لبنها جرعةٌ، ولم يُمصّ من ثديها مَصَّةٌ، إلا كان لها بكل جرعة، وبكل مصة حسنة، فإنْ أسهرها ليلةً كان لها أجرُ سبعينَ رقبةٍ تعتقهم في سبيل الله »[4] ومثل قوله: « والمرأة تموت بجمع[5] شهيدة »[6].

---

(١) أخرجه الطبراني (٤١٦/١٩)، والعقيلي (٢٥٣/٣)، وانظر مجمع الزوائد (٢٥٨/٤)، وكشف الخفاء (٥٥٥/١)، والأسرار المرفوعة (٢١٨). ومثله قوله صلوات الله وسلامه عليه: « خير نسائكم الودود الولود » رواه البيهقي من حديث ابن أبي أدية الصدفي وقال البيهقي: وروى بإسناد صحيح عن سعيد بن يسار. ولأبي يعلى عن عبد الله قول رسول الله ﷺ: « ذروا الحسناء العقيم وعليكم بالسوداء الولود » ومثله روى عن أبي موسى.

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، وابن ماجه (١٨٤٦)، والحاكم (١٦٢/٢)، وأبو نعيم (٩١٤/٢).

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥٩٨/٤)، وانظر مجمع الزوائد (٣٠٥/٤)، والكنز (٤٥١٥٩).

(٤) انظر الموضوعات (٢٧٤/٢)، والكنز (٤٥/٢٢)، والميزان (٦٣٧/١).

(٥) بجمع أي حامل.

(٦) أخرجه النسائي في الجنائز (١٤)، وأحمد (٤٤٦/٥)، والحاكم (٣٥٢/١)، وابن حبان (١٦١٦).

ولكي يواسى الله من تضع الجنين ميتاً ، بشر الأم أن هذا الجنين سوف يكون حياً يوم القيامة ، وسيكون معها فى الجنة ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « تَنَاكَحُوا تَكاثروا فإنّى أُباهِى بكمُ الأمم يومَ القيامةِ حتى بالسَّقْطِ » [1] .

الخُطوبَة

قال تعالى : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَنتُمْ فِي أَنفُسِكُمْ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ وَلَكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَن تَقُولُوا قَوْلاً مَّعْرُوفاً .. ﴾ [2] .

فالخطبة يقوم بها الرجل ، لأن العاطفة الجنسية أبرز الصفات فى حياته ، وهو الذى يمثل الدور الإيجابى لهذه العاطفة ، فالرجل هو الذى يبحث عن الزوجة ، وهو الذى يخطبها ويسعى إليها ، لأن حدة العاطفة عنده ظاهرة ، ولكنها لا تستيقظ فى المرأة من تلقاء نفسها .

(أ) ما ينشده الرجل فى المرأة :

قال رسول الله ﷺ : « تُنْكَحُ المرأةُ لمالِها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذاتِ الدينِ تَربتْ [3] يداك » [4] فالدين هو أول شيء ينشده المسلم فيمن يريد زواجها ويكفى قول رسول الله ﷺ : « من تزوَّجَ امرأةً لعزها لم يزدْهُ الله إلا ذلًّا ، ومن تزوجها لمالها لم يزدْهُ الله إلا فقراً ، ومن تزوجها لحسبها لم يزدْهُ إلا دناءة ، ومن تزوج امرأة لم يردْ بها إلا أن يغضَّ بصرَهُ

---

(١) أخرجه عبد الرزاق (١٠٣٩١) ، والقرطبى (٣٩١/٥) ، وانظر الكنز (٤٤٤٤٢) ، وإتحاف السادة المتقين (٢٨٦/٥) .

(٢) سورة البقرة الآية : ٢٣٥ .

(٣) **تربت يداك** : ترب الرجل ، إذا افتقر ، أى تصعر بالتراب ، وأترب إذا استغنى ، وهذه الكلمة جارية على ألسنة العرب لا يريدون بها الدعاء على المخاطب ولا وقوع الأمر به ، كما يقولون : قاتله الله ، وقيل معناها لله درُّك ، وقيل أراد به المثل ليرى المأمور بذلك الجد وأنه إن خالفه فقد أساء . قاله ابن الأثير فى معانى الآثار .

(٤) أخرجه البخارى (٩/٧) ، ومسلم فى الرضاع (٥٣) ، والبيهقى (٧٧٩) .

ويُحصن فرجه، أو يصل رحمه، بارك الله له فيها وبارك لها فيه »[1] .

(ب) وجوبُ رؤية الرجل خطيبَته :

ولا يستحب فى الإسلام أن يتزوج الرجل امرأة لم يرَها، قال صلوات الله وسلامه عليه : « إذا خطبَ أحدُكم امرأةً، فقدر أن يرى منها بعض ما يدعُوه إلى نكاحها، فليفعل »[2] وقال ﷺ للمغيرة بن شعبة وقد خطب امرأة : « انظر إليها فإنه أحرى أن يُؤْدَم بينكما المودة والألفة »[3] وقال صلوات الله وسلامه عليه لرجل أراد أن يتزوج امرأة : « أنظرت إليها ؟ » قال : لا ! فقال عليه الصلاة والسلام : « اذهب فانظر إليها »[4] .

(ج) متى تكون الرؤية حلالاً :

ولا يجوز رؤية المرأة قبل العقد، إلا إذا علم الرجل بأنه يجاب فى زواجها، أما إذا كان يعلم أنه يرد ولا يقبل، فلا يحل له أن ينظر إليها على أى حال، ومعنى هذا أن النظر إلى المخطوبة، إنما يكون بعد الإقدام الصحيح على الزواج وتحقق الرغبة من الجانبين، ورضا كل منهما بالآخر، وإلا حرم[5] .

(د) ما يباح رؤيته من جسم المرأة :

ويبيح الإسلام أن يرى الرجل وجه المرأة، حتى يمكنه أن يحكم على جمالها، فلا يخدع فى الدميمة، ولا يشترط أن يستأذنها أو يستأذن وليها فى ذلك، بل له أن ينظر إليها وهى غافلة، وأن يكرر النظر مرة بعد

---

(١) أخرجه أبو نعيم (٢٤٥/٥)، وانظر مجمع الزوائد (٢٥٤/٤)، وتنزيه الشريعة (٣٠٦/٢)، والموضوعات (٢٥٨/٢) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٠٨٢)، وأحمد (٣٣٤/٣)، والحاكم (١٦٥/٢)، وانظر الصحيحة (٩٩)، وإرواء الغليل (٢٠٠/٦) .

(٣) أخرجه النسائى (٧٠/٦)، والترمذى (١٠٨٧)، وأحمد (٢٤٦/٤)، والبيهقى (٨٤/٧)، والصحيحة (٩٦) .

(٤) أخرجه مسلم فى النكاح (٧٤)، والنسائى (٧٠/٦)، وأحمد (٢٤٦/٤)، والبيهقى (٨٤/٧) .

(٥) المذاهب الأربعة .

الأخرى ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « انظر إليها فإن فى أعينِ الأنصارِ شَيْئاً ، فإذا أرادَ أحدُكُمْ أنْ يتزوَّج فلينظرْ إليهنَّ »[(1)] .

وله كذلك أن يرى يديها وكَفَّيْها باطنهما وظاهرهما ، وله أن يرى رقَبتها ، ويجوز أن ينظر إلى المرأة ولو بشهوة أو افتتان بها ، لأن ذلك من بواعث الرغبة فى الاقتران بها ، وهو المقصود فى هذا المقام[(2)] .

وقال الأوزاعى : ينظر إلى مواطن اللحم وقال داود : ينظر إلى جميع بدنها ، وروى عبد الرازق سعيد بن منصور أن عمر كشف عن ساق أم كلثوم بنت على بن أبى طالب لما بعث بها إليه لينظرها .

ولا يشترط رضاء المرأة بذلك النظر ، بل له أن يفعل ذلك على غفلتها كما فعل جابر .

ولعل فى رؤية الساق ، ما ذهب إليه المفسرون فى محاولة سليمان النبى رؤية ساقىْ بلقيس عندما أراد زواجها فبنى لها الصرح ، قال تعالى : ﴿ **قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ**[(3)] **فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً**[(4)] **وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ**[(5)] **مِنْ قَوَارِيرَ**[(6)] **قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾[(7)] .

(هـ) إباحة سماع صوت المرأة :

ويبيْح الشرع سماع صوت المرأة ومحادثتها حتى يرى لهجتها وينظر هل تعجبه ؟ أم لا .

---

(1) أخرجه النسائى (٦/٧٠) ، وأحمد (٢/٢٨٦ ، ٢٩٩) ، والدارقطنى (٣/٢٥٣) ، وانظر الصحيحة (٩٥) .

(2) الشافعية .

(3) **الصرح** : هو سطح من زجاج أبيض .

(4) **اللجة** : الماء المرتفع .

(5) **ممرد** : مملس .

(6) **القوارير** : الزجاج .

(7) سورة النمل الآية : ٤٤ .

(و) جواز إرسال من تخبر بما لا يقدر عليه الخاطب :

وإذا لم يتيسر للرجل النظر إلى المرأة، أو كان يستحى من طلب ذلك، فعليه أن يبعث من يتأملها ويصفها له، وكذلك له أن يستوضح عن المرأة ما شاء، فقد بعث رسول الله ﷺ أم سليم إلى امرأة، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « انْظُرى إلى عُرْقُوبِها [1] وَشِمّى معاطنها [2] » [3] وفى رواية (شمى عوارضها) وهى الأسنان التى فى عرض الفم ما بين الثنايا والأضراس، والمراد اختبار رائحة النكهة، وأما المعاطف فهى ناحيتا العنق.

(ز) ما تراه المرأة من الرّجل :

وأما المرأة فيسن لها أن تنظر من بدن الرجل ما تقدر على نظره ما عدا عورته، لأنها يعجبها منه ما يعجبه منها [4].

(ح) هل تعرض المرأة نفسها على الرجل :

وللمرأة إذا أعجبها رجل من أهل الصلاح والتقوى، جاز لها شرعاً أن تعرض نفسها عليه، وهنا يجوز للرجل أن ينظر إليها، ولو لم يكن خاطباً، فربما أعجبته فقد أتت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ! . جئت أهب لك نفسى، فنظر إليها صلوات الله وسلامه عليه فصعد النظر فيها وصوبه، ثم طأطأ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقضْ فيها شيئاً جلست، فقام رجل من الصحابة فقال : يا رسول الله ! إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها [5].

(ط) هل تطلب الفتاة من وليها الزواج :

وللفتاة أن تطلب من وليها أن يزوجها من رجل رأت فيه الكمال، كما حدث لابنة شعيب عليه السلام، حين شاهدت موسى وحادثته فأعجبها

---

(١) العرقوب: وتر غليظ فوق عقبه. (٢) المعاطن : مكان طعن النّيل .
(٣) انظر التلخيص الحبير (١٤٧/٣)، وجمع الجوامع (٤٥٧٥).
(٤) الشافعية .
(٥) أخرجه البخارى (نكاح ٢٩)، ومسلم (رضاع ٥٠)، وابن ماجه (نكاح ٥٧) .

ورأت فيه زوجها، فقالت لأبيها: ﴿ يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴾ [1] واستأجره هنا لا معنى له إلا (زوجنيه) [2] ولذلك فهم شعيب عنها، وعرف ما ترمي إليه، فقال لموسى فوراً: ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ... ﴾ [1].

(ى) وجوب تزوج الكفء:

فإذا طلبت الفتاة من وليها الكفء [3]، فعليه ألا يرده، كما فعل شعيب عليه السلام، وكذلك يجب على الولي ألا يرد كفء، فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «إذا جاءكم الأكفاء فأنكحوهن، ولا تربَّصوا بهن الحدثان [4]» [5] وقال ﷺ: «إذا أتاكم من تَرْضَوْنَ دينَه وأمانتَه فزوجوه، إلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ» [6].

(ك) استِشارةُ الوالدة:

وعند الخطبة وقبل العقد، يجب أن تستشار الوالدة [7]، فلعلها تعرف عن عائلة الخاطب شيئاً، أو يكون بينها وبين أمه أو أحد أهله صلة، ويقول صلوات الله وسلامه عليه في ذلك: «آمروا النساء في بَنَاتِهن» [8].

(ل) وجوبُ أخذِ رأى المخطوبَةِ:

ويجب أخذ رأى المخطوبة فيمن تقدم إليها، إذا لا يصح العقد إلا برضاها، وهو قول رسول الله ﷺ: «الثَيِّب [9] أحقُّ بِنَفْسِها من وَلِيِّها،

---

(١) سورة القصص الآيتان: ٢٦، ٢٧.
(٢) أو على الأقل أنها أعجبت به وبصفاته وهذا طلب الزواج الخاص.
(٣) أو فهم ذلك عن طريق الإشارة والتلميح.
(٤) الحدثان: الذلات.
(٥) انظر الكنز (٤٤٦٩٣).
(٦) أخرجه الترمذي (١٠٨٠)، والبيهقي (٨٢/٧)، وعبد الرزاق (١٠٣٢٥)، وشرح السنة (١٠/٩).
(٧) لأن الأم أعلم بابنتها من غيرها وهي الأقدر على معرفة رأيها.
(٨) أخرجه أبو داود (٢٠٩٥)، وأحمد (٣٤/٢)، والبيهقي (١١٥/٧).
(٩) الثيب: التي سبق لها الزواج.

والبكرُ تستأمر وإذنها السُّكُوتُ »[1] وقوله صلوات الله وسلامه عليه: « لَيْس للولى مع الثيب أمرٌ، واليتيمةُ تستأمرُ »[2] وقال ﷺ: « لا تُنْكح الأيِّم حتى تستأمر، ولا تُنْكح البكر حتى تستأذن » قالوا يا رسول الله وكيف إذنها؟ قال أن (تسكت)[3].

وكان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يزوج امرأة يأتيها من وراء حجاب، فيقول لها: (يا بُنَيَّة إن فلاناً قد خَطَبَك فإن كرهتِ فقولى: لا! .. فإنه لا يَسْتَحى أحد أن يقول: لا، وإن أحببت فإن سكوتك إقرار)[4] وعن ابن عباس أن جارية بكراً أتت النبى ﷺ. فذكرت أن أباها زوجها وهى كارهة، فخيرها النبى ﷺ.

(م) رفضُ غير الكفء:

والكفاءة هى الدين، قال ﷺ: « النِّكاح رقٌّ فلينظرْ أحدُكُمْ أينَ يَضَعُ كريمَتَهُ »[5] وقال رجل للحسن بن على رضى الله عنهما: إن لى بنتاً فمن ترى أن أزوجها له؟ قال: زوجها ممن يتقى الله تعالى، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

(ن) تفضيلُ البكر على الثيب:

وتفضل البكر في الإسلام على الثيب فقد قال صلوات الله وسلامه عليه: « عَلَيْكُمْ بالأبْكَارِ فإنَّهُنَّ أطيبُ أفْواهاً وأنْقَى أرْحَاماً »[6] وقال

---

(١) أخرجه أحمد (٢١٩/١)، والبيهقى (١١٥/٧)، والطبرانى (٣٧٣، ٣٧٤)، وانظر الصحيحة (١٨٠٧).

(٢) أخرجه النسائى (٥٨/٦)، وأبو داود (٢١٠٠)، وأحمد (٣٣٤/١)، والبيهقى (١٦٨/٧).

(٣) أخرجه البخارى (٢٣/٧)، ومسلم (النكاح ٩)، وأحمد (٤٣٤/٢)، والبيهقى (١٢٢/٧).

(٤) أخرجه الطبرانى (٢٩/١)، وانظر مجمع الزوائد (٢٧٨/٤)، والكنز (١٨٣٢٤).

(٥) انظر المغنى عن حمل الأسفار (٤٣/٢).

(٦) أخرجه ابن ماجه (١٨٦١)، والطبرانى (١٤١/١٧)، وشرح السنة ١٥/٩)، وانظر الصحيحة (٦٢٣).

صلوات الله وسلامه عليه لجابر بن عبد الله : « تزوجتَ ؟ » فقال : نعم ! قال : « هل بكراً تلاعبها وتلاعبك ؟! »[1] .

وقال الحنفية والحنابلة بأن الزوجة يندب أن تكون بكراً ، وقال المالكية والشافعية يندب أن تكون بكراً إلا إذا كانت الحاجة إلى الثيب أشد ، كأن يكون الرجل عنده أطفال يحتاج إلى تربيتهم ممن تعودت التربية ، أو يكون كبير السن فتنصرف عنه البكر ، فلا يجد الألفة المطلوبة فى الزواج .

ومدح الله تعالى الأبكار ، فقال : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُباً أَتْرَاباً ﴾[2] وقوله : ﴿ فِيهِنَّ قَاصِراتُ الطَّرْفِ لم يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾[3] وقوله : ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرات الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴾[4] وقوله : ﴿ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِى الْخِيَامِ ﴾ ﴿ لم يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ ﴾[5] .

وطبعى أن الله يعنى الأبكار المسلمات المتخلقات بخلق الدين ، ولقد وصفهن الله تعالى بأنهن متحببات إلى أزواجهن ، مقصورات الطرف عليهم ، لا ينظرن إلى غيرهم ، ولم يطأهن سواهم .

(س) الفرق بين العاطفة الجنسية فى الرجل والمرأة :

وتختلف نظرة الرجل إلى المرأة ونظرتها إليه ، لاختلاف العاطفة الجنسية ، فالمرأة لا تميل إلى الجماع بقدر ما تميل إلى النتائج المترتبة عليه ، لرغبتها فى إنشاء البيت ، وميلها إلى إيجاد النسل فالمرأة إذا أحبت الرجل ، إنما تحب فيه حمايته وسيادته ، وتود أن تنجب منه أطفالها ، وأن تتمتع فى

---

(١) أخرجه البخارى فى البيوع (٢٠٩٧) ومسلم فى الصلاة (٧٣) ، وأبو داود (٢٥٠٥) ، وأحمد (٢٩٩/٣) ، والنسائى (٢٩٨/٧) .

(٢) سورة الواقعة الآيات : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ . وعُرُب أى متحببات لأزواجهن ، وأتراب أى فى سن واحدة .

(٣) سورة الرحمن الآية : ٥٦ .　　(٤) سورة ص الآية : ٥٢ .

(٥) سورة الرحمن الآيات : ٧٢ - ٧٤ .

كنفه بحياة عائلية سعيدة ، فعاطفتها لا تتمركز فى أعضائها التناسلية ، إذ أنها تستطيع أن تضحى بشعور اللذة ، ولكنها لا تضحى بالأمومة والحياة العائلية .

والمرأة المتعلمة مثلها الأعلى هو الزوج الممتاز من الناحية العقلية الذهنية والخلقية والنفسية ، وأما الجاهل الغبى النذل فإنه يبعث فيها كل شعور بالبغض والاشمئزاز ، ولو شارك البهائم فى قوة العضلات .

والجمال الذى يأخذ بلب المرأة هو جمال الرجولة ، وأما الجمال الأنثوى الذى يوصف به بعض الناس من بياض اللون ودقة الأنف وصغر الفم فلا يثير إلا الشواذ من الجنسين .

والعاطفة الجنسية هى أصل الحب عند الرجل والمرأة ، إلا أن هنالك اختلافاً ظاهراً عند الجنسين ، وهو أن الرجل يشعر بإلحاح العاطفة الجنسية قبل الحب ، وربما كان ذلك دونه ، وأما المرأة فلا يوجد بالنسبة لها حد فاصل بين العاطفة الجنسية والحب الحقيقى ، ولذلك تجد المرأة تحب الرجل فتتمنى أن يكون زوجاً لها ، وتجد الرجل يَتُوق [1] إلى المرأة التى يعجبه منظرها ، ولكنه لا يفكر فى الزواج منها إلا إذا غمره الحب .

(ع) هل الرؤية الشرعية كافية للحكم على صلاحية الزواج :

وقد يقول قائل : كيف يبنى الزواج السعيد على مجرد النظرة والحديث القصير ، مع عدم اتساع الفرصة للاختبار التام للصفات العقلية والنفسية والخلقية ؟

ولذلك أقول : إن الصفات التى يتبادر إلى الذهن أنها خافية ، ولا تعلم إلا بطول العشرة والاختبار ، يظهر أثرها واضحاً على الوجه ، بل أقول أكثر من ذلك أنه مما لا شك فيه ، أن التركيب الجسمانى يوشك أن يكون مرآة صادقة للنفس البشرية وللعقل والأخلاق ، حتى قيل إن الصفات الخاصة

---

(١) يتوق : يتشوف ويشتاق .

بكل فرد ترجع إلى كيفية اتجاه العناصر المادية التى يتألف منها جسمه بنسبة خاصة ، فلعقل المرء ونفسيته علاقة قوية بشكله الظاهرى وتركيب جسمه ، ولذلك وضع علماء النفس صوراً لأصناف الناس ، وارتباط شكلهم بأمزجتهم ، وسائر صفاتهم النفسية ، فتكلموا عن الرجل الدموى ، والصفراوى ، والبلغمى ، والعصبى ، ولا أرى بأساً لتقريب ما أرمى إليه أن أذكر رأى (ستوارت) [1] وهو من أشهر من بحثوا هذا الموضوع بحثاً تاماً ، إذ قسم الأمزجة ، وبين أوصاف أصحابها على النحو الآتى ، ليستطيع أن يأخذ القارئ فكرة عامة عما أريد أن أرمى إليه :

المزاج	أوصاف صاحبه	
	الجسمية	العقلية والخلقية
(١) دموى	أصهب البشرة – أزرق العينين – مستدير الوجه – ممتلئ الجسم بدين .	مائل إلى الرعونة – مرح – سريع التأثر – متحمس غير مثابر – قواه العضلية تفوق العقلية
(٢) صفراوى	شاحب اللون – ذابل العينين – ممتلئ الجسم بدين	قوى الوجدان – شديد الغيرة – مثابر – تنقصه شدة الحذر – يفضل الحياة العملية .
(٣) بلغمى	أسمر البشرة والعينين – مستدير الوجه – ممتلئ الجسم بدين .	بطئ متثاقل – بطئ التهيج – مثابر – غير متحمس – ملتوى السلوك – مولع بالراحة الشخصية –
(٤) عصبى	صافى البشرة – أرمد العينين – مستطيل الوجه طويل العنق نحيف القوام	أرعن – سريع التهيج – قوى الخيال – مثابر على العمل – يحب الأعمال العقلية والعضلية .

(١) عاش فى القرن التاسع عشر الميلادى .

وليس هذا مما يصعب فهمه، فمن منا لا يعلم الخبيث بشكله، والكذاب بلهجته، والمرائي بمنظره، مع أن الخبث والكذب والرياء كلها من خصائص النفس، كالغضب والسرور وغيرهما، وروى ابن أبي الدنيا عن عثمان بن عفان قال: (ما من عبد يسر سريرةً إلا رداه الله رداءها علانية ..) وصادق الفراسة قوى الروح يمكن أن يحلل شخصية الإنسان الذي أمامه بمجرد ملاحظته والنظر إليه.

ولقد أشار الدين إلى مثل ذلك، فذكر أن لعقل المرء وأخلاقه ونفسه علاقة وثيقة بتركيب جسمه وملامحه، قال تعالى: ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ﴾ [1] وقال: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [2] وقال: ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [3] وقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [4] وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ﴾ [5] وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ﴾ [6] وقال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ * وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [7] وقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [8] وقال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [9] وقال صلوات الله وسلامه عليه: «اتقوا فراسةَ المؤمن فإنه يَنْظُرُ بنورِ الله» [10].

---

(١) سورة الرحمن الآية : ٤١ .
(٢) سورة الفتح الآية : ٢٩ .
(٣) سورة المطففين الآية : ٢٤ .
(٤) سورة يونس الآية : ٢٦ .
(٥) سورة الغاشية الآية : ٨ .
(٦) سورة الغاشية الآية : ٢ .
(٧) سورة عبس الآيات : ٣٨ - ٤٢ .
(٨) سورة البقرة الآية : ٢٧٣ .
(٩) سورة محمد الآية : ٣٠ .
(١٠) أخرجه الترمذي (٣١٢٧)، وأبو نعيم (٩٤/٤ ، ١١٨/٦)، والطبراني (١٢١/٨)، وانظر كشف الخفاء (٤٢/١)، وتنزيه الشريعة (٣٠٥/٢).

وهكذا يمكن عند الخطوبة ، رؤية الخطيبين أحدهما للآخر ، أن يحكم كلّ منهما على صاحبه بصلاحيته لمعاشرته أو لا ، فالمرأة إذا رأت خاطبها ، وصحبته لم يكن مبعث ذلك العاطفة الجنسية التى يثيرها منظر الذكورة ، ولكن للصفات العقلية والنفسية والأخلاقية التى تنطبع على الوجه ، فيصبح الهيكل الإنسانى ، صورة صادقة لها ، الأثر الوحيد ، إذ تعكس هذه الصورة على نفس المرأة ، وتؤثر فيها تأثيراً مبهما لا تدركه بعقلها ، ولكنه يأخذ فى نفسها شكلاً خاصاً لا تدرك كنهه ، وإنما تستطيع أن تسميه الحب وهو المصحوب برغبة فى الزواج .

(ف) صدق فراسة ابنة شعيب :

ولأضرب مثلاً لصدق الفراسة عند الخطوبة خطوبة ابنة شعيب لنبى الله موسى عليه السلام ، عندما ورد ماء مدين ﴿ ... **وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ۞ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ۞ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۞ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ۞ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ ...** ﴾ [1] .

فلم تكن الصفات الجسمية لموسى عليه السلام هى وحدها التى دفعت ابنة شعيب إلى خطوبة موسى ، ولكن الصفات العقلية والنفسية والخلقية التى كانت مجسمة فى شكل موسى وهيئته هى التى دفعتها إلى محبته ، وترى من سلوك موسى فى التزاحم لجلب الماء لفتاتين ضعيفتين دليلاً على

---

(١) سورة القصص الآيات : ٢٣ - ٢٧ .

كرم أخلاقه ، وكذلك عدم تزاحم الفتاتين دليل على حسن أخلاقهما .

وبدهى أن ما يصدر عن المرء من حركات جسمية ، أو سكنات ، أو إشارات ، أو أقوال ، أو أعمال ، خاضع كل الخضوع للمؤثرات الداخلية التى تتصف بها الروح ، وترى مثلاً لذلك حياء ابنة شعيب الذى أثر فى شكلها وسلوكها ، تأمل قوله تعالى : ﴿ **فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا** ﴾ . إن قولها : ﴿ **يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ** ﴾ يعنى زوجنيه كما قدمنا [1] ، وقولها : ﴿ **إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ** ﴾ دليل على أنها رأت فيه قوام الرجولة وصفاتها البدنية التى وصفتها بالقوة والصحة ، ورأت فيه كذلك طابع السلامة من الأمراض النفسية والخلقية ، وأشارت إلى هذا المعنى بوصفه بالأمين ، وماذا عسى تكون الأمانة غير ذلك ؟

عقد النكاح

وينعقد النكاح بإيجاب ، وهو اللفظ الصادر من الولى ، أو من يقوم مقامه ، وقبول : وهو اللفظ الصادر من الزوج ، أو من يقوم مقامه ، مع ارتباط الإيجاب بالقبول ، وتشترط فى العقد شروط خاصة : كالصيغة والعاقدين والشهود والولى [2] وسنتكلم عنها بما يناسب المقام .

(أ) صيغة العقد :

والصيغة بأبسط صورها أن يقول الخاطب لولى المخطوبة : زوجنى موكلتك [3] فيقول له : زوجتك أو قبلت .

---

(١) ولكنه طلب للزواج والإعجاب عن طريق التلميح .

(٢) عند المالكية أركان النكاح خمس : الولى . والصداق . والزوج . والزوجة . وصيغة . والشافعية قالوا : أركان النكاح خمسة : الزوج ، والزوجة ، والولى ، وشاهدان ، والصيغة .

(٣) أو ما ينوب عن ذلك كقوله : زوجنى بنتك أو أختك أو فلانه مع ذكر اسمها .

(ب) لا تكره البكر على الزواج :

ومن شروط النكاح موافقة المعقود عليها ، وقد بينا ذلك فى موضوع الخطبة .

(ج) شرط الشاهدين :

ووجود الشهود واجب عند العقد [1] ويشترط في الشاهدين أن يكونا عادلين ظاهراً ، وأن يكونا من الذكور ، ويصح بشهادة رجل وامرأتين .

(د) شرط وجود الولى :

والولى فى النكاح شرط لصحة العقد ، فلا يصح بدونه [2] قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة نُكِحَتْ بغيرِ إذنِ وَلِيِّها فنكاحُها باطلٌ » [3] وقوله صلوات الله وسلامه عليه : « لا تزوِّجُ المرأةُ المرأةَ ولا تزوج المرأة نفسها » [4] هذا إذا كان الولى مسلماً حقيقة ويفهم روح التشريع ، فلا يتاجر بالعروس ولا يستعمل سلطته فى تزويجها بمن لا ترضاه .

(هـ) المهر ووجوبه :

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وآتيتم إحداهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخذُوا مِنْهُ شَيْئاً ﴾ [5] وقال : ﴿ يٰأَيُّهَا النَّبِىُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِى آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾ [6] . فالمهر ليس له حد أعلا ، ويصح بأقل

---

(١) قال المالكية : إن ذلك مندوب ، ولكن يجب الحضور عند الدخول .

(٢) وعند الحنفية أن البالغة العاقلة سواء كانت بكراً أو ثيباً فإنها صاحبة الحق فى زواج نفسها ممن تشاء ، ثم إن كان كفأ فذاك ، وإلا فلوليها الاعتراض وفسخ النكاح .

(٣) أخرجه أحمد (٦/ ٦٦، ١٦٦) ، والدارمى (١٣٧/٢) ، والحميدى (٣٢٨) ، وانظر إرواء الغليل (٢٤٣/٦) .

(٤) تقدم تخريجه .

(٥) سورة النساء الآية : ٢٠ .

(٦) سورة الأحزاب الآية : ٥٠ .

شيء ، قال رسول الله ﷺ : « خَيْر الصَّداق أيسرُهُ »[1] . وقال رسول الله ﷺ : « أعظم النساء بركةً أيسرهن مؤنة »[2] ، وذلك لأن المهر ليس ثمناً لاستمتاع الرجل بل هو نحلة ، والنحلة العطاء الذى لا يقابله عوض ، قال تعالى : ﴿ وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً ... ﴾[3] ، فكان صداق النبى ﷺ لأزواجه ثنتا عشرة أوقية ونشا ، فذلك ستمائة وقدر هذا ١٣ جنيه و٢٣ قرش ، وقال عمر : ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته على أكثر من ثنتي عشرة أوقية ، وتزوج عبد الرحمن بن عوف على صداق خمسة دراهم ، وأقره النبى ﷺ على ذلك ، وزوج سعيد أهل المدينة من التابعين سعيد بن المسيب أبا هريرة على درهمين .

وليس من الضرورى أن يكون المهر نقوداً ، إذ لما تزوج علىٌّ فاطمة . قال له رسول الله ﷺ : « أعطِها شيئاً » ، قال : ما عندى شىء ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « فأينَ دِرْعُكَ الحطمية ؟ »[4] ، وقال رسول الله ﷺ : « من أعْطَى فى صَداقه ملء كفِّهِ سَويقا أو تمراً فقد اسْتَحلّ »[5] .

بل لقد يكون الصداق نعلين ، فقد ذكر الترمذى أن امرأة من بنى فزارة تزوجت على نعلين ، فقال رسول الله ﷺ : « رَضِيتِ من نَفْسِكِ ومالِكِ بِنَعْلَيْن ؟ » قالتْ : نَعَمْ ، فأجازه[6] ، وقد يكون المهر خاتماً من حديد ، بل قد يكون المهر قرآناً يحفظ .

---

(١) انظر الكنز (٤٤٧٠٧) ، وكشف الخفاء (٤٦٦/١) ، وإرواء الغليل (٣٤٥/٦) .

(٢) أخرجه أحمد (١٤٥/٦) ، والحاكم (١٧٨/٢) ، وأبو نعيم (١٨٦/٢) ، وانظر كشف الخفاء (١٦٤/١) ، وإرواء الغليل (٣٤٨/٦) .

(٣) سورة النساء الآية : ٤ .

(٤) رواه أبو داود (٢١٢٥) ، والنسائي (١٦٩/٦) ، والبيهقى (٢٥٢/٧) ، والطبرانى (٣٥٥/١١) .

(٥) أخرجه أبو داود (٢١١٠) ، والبيهقى (٢٣٨/٧) ، وشرح السنة (١٢٠/٩) ، وانظر كشف الخفاء (٥١٣/٢) .

(٦) أخرجه الترمذى (النكاح ٢٢) ، وأحمد (٤٤٥/٣ ، ٢٩٨/٤) .

عرضت امرأة نفسها على رسول الله ﷺ فلم تعجبه، فقال له أحد الصحابة: يا رسول الله، إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها، فقال ﷺ: «فهل عندك من شيء؟» فقال: لا والله يا رسول الله، قال: «اذهب إلى أهلك فانظر هل تجد شيئاً؟» فذهب ثم رجع فقال: لا والله ما وجدت شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «التمس ولو خاتماً من حديد» فذهب ثم رجع، فقال: لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد، ولكن هذا إزارى، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «ما تَصْنَعُ بإزارك؟ إن لبسته - أي كله - لم يكن عليها منه شيء، وإن لبسته لم يكن عليك منه شيء» فجلس الرجل، حتى إذا ما طال مجلسه قام، فرآه رسول الله ﷺ مولياً، فأمر به فدعى فلما جاءه، قال: «ما معك من القرآن؟» قال: معي سورة كذا وسورة كذا عددها، فقال: «تقرأهن عن ظهر قلبك؟» قال: نعم! قال: «اذهبْ فقد ملّكتكها بما معكَ مِنَ القرآن» [1].

وخطب أبو طلحة أم سليم فقالت: والله ما مثلك يرد، ولكنك كافر وأنا مسلمة، ولا يحل لى أن أتزوجك، فإن تسلم فذلك مهرك، ولا أسألك غيره، فأسلم فكان ذلك مهرها.

وتزوج موسى عليه السلام على خدمة حميه شعيب ثماني حجج. ذكر تعالى أن موسى حين أتى شعيباً قال: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ عِندِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [2].

(و) النهي عن الشغار [3]:

فنرى مما تقدم وجوب المهر، ولهذا حرم الدين الشغار، فعن نافع عن

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سورة القصص الآية: ٢٧.

(٣) الشغار: أن يزوج الرجل قريبته رجلاً آخر على أن يزوجه هذا الآخر قريبته بغير مهر منهما.

ابن عمر قال : نهى رسول الله ﷺ عن الشغار فسره بقوله : «أن يزوج الرجل ابنته على أن يزوجه الآخر ابنته وليس بينهما صداق»[(١)] .

(ز) جهاز العروس :

وأمر الدين أن يجهز الرجل ابنته على قدر سعته ، قال رسول الله ﷺ : «زَوّجوا أبناءَكم وبناتِكم وحلُّوهنّ بالذهبِ والفضةِ وأجيدوا لهن الكسوةَ ، وأحسنوا إليهن بالنحلة[(٢)] ليرغب فيهن»[(٣)] فنرى بذلك أن الجهاز ليس مقابلا للمهر ، فالمهر يعتبر هدية للزوجة ، وتجهيز الرجل لابنته لا أراه إلا هدية لها مقابل خدمتها له من يوم إدراكها إلى زواجها .

(ح) إعلان الزواج والوليمة :

وقد أمر رسول الله ﷺ بإعلان النكاح فقال : «أعلنوا النِّكاح»[(٤)] وعن عائشة : (أعلنوا النكاح واضربوا عليه بالغربال)[(٥)] أى الدف ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : «أعْلِنُوا النِّكَاحَ واجعلوهُ فى المساجِدِ ، واضْرِبُوا عليه بالدُّفوف ، وَلْيولم أحدكم ولو بشاة»[(٦)] .

* * *

(١) أخرجه الترمذى (١١٢٣)، والنسائى (١٢/٦)، وأبو داود (٢٠٧٤)، وابن ماجه (١٨٨٣)، وأحمد (١٧/٢).
(٢) النحلة : العطاء.
(٣) انظر الكنز (٤٤٥٢٣ ، ٤٥٤٣٢ ، ٤٥٩٦١).
(٤) أخرجه البيهقى (٢٨٨/٧)، وأحمد (٥/٤) .
(٥) انظر نصب الراية (١٦٨/٣).
(٦) أخرجه الترمذى (١٠٨٩)، والبيهقى (٢٩٠/٧)، وأبو نعيم (٣٦٥/٣)، والحاكم (١٨٣/٢)، وانظر كشف الخفاء (١٦٢/١)، والضعيفة (٩٧٨).

المبحث السادس
العلاقة الجنسية بين الزوجين

قال تعالى : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ [1] إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ [2] وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ ﴾ [3] .

فهذه الآية تشير إلى العلاقة الجنسية بين الزوجين إشارة بليغة ، وترشد إلى ما بينهما من علاقة متينة ، ورابطة كاملة شاملة ، تضم معانى الرفق وحسن المعاشرة ، والود المتبادل ، واتحاد النفوس ، وتمازج الأرواح ، وتوافق الأمزجة والطباع .

وتبين أن الزوج هو صاحب الحق وحده أن ترى منه زوجته ، وأن يرى منها ، وأن يَطَّلِع على زينتها ظاهرها وباطنها ، ولم يترك الإسلام هذه العلاقة من غير أن يبينها بياناً وافياً ، ويشرحها شرحاً كافياً ، وسأبين فى هذا المبحث العلاقة الخاصة بين الزوجين ، كما جاء بها الدين ، وسترى كيف أن الإسلام تناول علم فلسفة التناسليات ووضعه للناس قبل أن يفكر فيه علماؤه بثلاثة عشر قرنا [4] وذلك ليكفل سعادة الزوجين ، وليرشد العائلة إلى طريق السعادة ، وسنتكلم هنا عن الحب كرابطة بين القرينين ، وعن الغيرة ، والتزين ، وما يحرم منه ، وعن الحياء ، والدلال ، والتمنع والصد ، وملاعبة الرجل لزوجته ، المداعبة والجماع ، وعن الترغيب فى الجماع ، وأنواع

---

(١) الرفث : الجماع .　　(٢) باشروهن : جامعوهن .

(٣) سورة البقرة الآية : ١٨٧ .

(٤) والمبحث الثانى فى فلسفة التناسليات ، وقد رأيت كيف أن الإسلام أشار إلى الأمراض النفسية الجنسية ، وكيف بين أنها شذوذ يجب أن تتحرر منه الأسرة .

الجماع ، والاستمتاع أثناء الحيض ، وحكمة الغسل بعد الاتصال الجنسي ، ثم نتناول بالبحث مسألة ختان الرجل وتحريم قطع بظر المرأة وشفريها الصغيرين ، ونتكلم أيضاً عن غشاء البكارة مما له علاقة بموضوعنا ، ثم نختتم المبحث بالكلام عن الزوجة كيف تزن زوجها وتقدره ، وكيف تحكم عليه بالخير في عشرتها أو بالشر .

الحب بين القرينين

قال تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [1] وسنشرح هذه الآية الكريمة فيما يلي :

(أ) عقد النكاح رباط المحبة بين الزوجين :

إن هذه الآية الكريمة تصرح بأن الله تعالى جعل بين الزوجين الرحمة والحب والمودة ، فبمجرد عقد النكاح ، يشعر الزوجان بعاطفة جديدة ، من نوع آخر غير العاطفة التي تسبق العقد ، فهي مزيج من الحب والرحمة والمودة ، كما تذكر الآية الكريمة ، قيل لأحد حكماء المسلمين من أحب الناس إليك ؟ قال : أخي لو كان صديقي ، فالأخوة شعور بصلة القرابة ، والصداقة شعور من نوع آخر ، واتحادهما يكون أحسن أنواع الحب ، والعلاقة الزوجية أقوى من ذلك لزيادة معنى السكون النفسي التام بين القرينين ، وأرى بمناسبة ذلك أن أذكر قول امرأة ترثي زوجها مات قبل أن يدخل بها :

أبْكِيكَ لا للنَّعِيمِ والأُنْسِ ... بل للمَعَالي والرُّمحِ والفَرَسِ
أبكي على فارسٍ فجِعْتُ بِهِ ... أرْمَلَنِي قبلَ ليلةِ العُرْسِ
فارِساً بالعراءِ مطرحاً ... خانَتْهُ قوّادُه مع الحَرَسِ
مَنْ لِليَتَامَى إذا هم سغبوا [2] ... وكل عانٍ [3] وكل محتبسِ

---

(١) سورة الروم الآية : ٢١ . (٢) سغبوا : جاعوا .
(٣) العان : المأسور .

(ب) معنى الحب بين القرينين :

فالحب الزوجي بذلك هو الذى يؤلف القلوب ، ويوحد النفوس ، وهو الذى تعمل تباشيره للجمع بين الخطيبين لتنشأ الأسرة ، ولتكوين العائلة التى هى أساس المجتمع ودعامة العمران ، فليس الحب على ذات العملية الجنسية ، وليس هو كذلك الحب الخيالى الوهمى ، ولكنه امتزاج الزوجين وائتلاف الطبيعتين ، مع الميل إلى الاتصال الجنسى ، والرغبة فى إيجاد النسل ، مع الشعور بالواجب الإنسانى العائلى .

(ج) زيادةُ الحبّ بالمعاشرة :

وكلما عاشر الرجل امرأته ، زاد حبه لها ، وعاشر الرسول صلوات الله وسلامه عليه عائشة تسع سنوات ، فما قل حبه لها ، قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يسأل فى مرضه الذى مات فيه (أين أنا غدا ؟) ، يريد يوم عائشة ، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء ، فكان فى بيتها ، وكانت عائشة تقول : قبض رسول الله ﷺ فى بيتى ، وفى يومى ، وبين سحرى[1] ونحرى[2] ، وجمع الله بين ريقى وريقه عند الموت[3] .

(د) هل يصرح الرجل لزوجته بالحب :

وما دام الله جل شأنه صرح بالحب بين الزوجين ، فليس هنالك ما يمنع الرجل أن يصرح لامرأته بحبه لها ، ففى ذلك ما يزيد المحبة ، ألا ترى إلى قوله صلوات الله وسلامه عليه : « إذا أحبَّ الرَّجلُ أخاه فيخبرْهُ بأنَّه يحبهُ »[4] والتصريح للزوجة أولى ، وقول الرجل لامرأته إنه يحبها يلهب حبها ، ويزيد فيها روح الثقة والسرور والاطمئنان ، لقد ضرب لنا الرسول

---

(١) السحر : أعلى الصدر .   (٢) النحر : أسفل الرقبة .

(٣) أخرجه البخارى (١٢٨/٢ ، ٣٧٥، ١٦/٦، ٤٤/٧) ، ومسلم (فضائل الصحابة ٨٤) ، والبيهقى (٧٤/٧) .

(٤) أخرجه أحمد (١٣٠/٤) ، والحاكم (١٧١/٤) ، والحلية (٩٩/٦) ، وابن حيان (٢٥١٤) ، والمغنى عن حمل الأسفار (١٧٨/٢) .

صلوات الله وسلامه عليه المثل العملى فى ذلك حين سئل عليه الصلاة والسلام: من أحب الناس إليك؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه (عائشة !!)[1] قالت عائشة رضى الله عنها: كان الرسول ﷺ يقسم بين نسائه ويعدل ويقول: «اللهم هذا قَسَمِى فيما أملك[2] فلا تَلُمْنِى فيما تَمْلِكُ ولا أَمْلِكُ»[3] يعنى الحب والمودة .

وكان صلوات الله وسلامه عليه يقول فى خديجة وكانت أول نسائه توفاها الله عز وجل قبل زواجه من عائشة بثلاث سنوات: «إنِّى رُزِقْتُ حُبَّها !!»[4] .

(هـ) اتفاقُ أرواح المحبين :

ألا إن المرءَ ليتزوج المرأة، وقد جمعتهما روابط جمة من الميل، والتوافق، ووحدة الطبع، ومجانسة الخلق، والتجاذب الروحانى، قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ... ﴾[5] ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «الأرواح جُنُودٌ مُجنَّدَة، فما تعارفَ منها ائْتَلَفَ، وما تَنَاكَرَ منها اختلفَ»[6] فسيئ الخلق يحب سيئة الأخلاق، وشاذ الطبع يحب شاذته، ومريض النفس يحب من على شاكلته، ويقول تعالى: ﴿ الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ للطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّؤُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ

---

(١) أخرجه البخارى (٥/ ٦، ٢٠٩)، ومسلم (فضائل الصحابة ٦/ ٧)، وأحمد (٤/ ٢٠٣)، والبيهقى (٦/ ٣٧٠، ٧/ ٢٩٩) . وانظر مجمع الزوائد (٨/ ٤٥)، والمشكاة (٦٠١٤).

(٢) هو العدل بين الزوجات فى أمور المعاش والمبيت معهن .

(٣) أخرجه النسائى (٧/ ٦٤)، والترمذى (١١٤٠)، وابن ماجه (١٩٧١)، وأحمد (٦/ ١٤٤)، والبيهقى (٢٩٨٧)، والحاكم (٢/ ١٠٧)، والدارمى (٢/ ١٤٤)، وانظر المشكاة (٣٢٣٥) .

(٤) انظر الفتح (٧/ ١٣٧).

(٥) سورة الأعراف الآية : ١٨٩ .

(٦) أخرجه البخارى (الأنبياء ٢)، ومسلم (البر ١٥٩)، وأبو داود (أدب ١٦)، وأحمد ٢/ ٢٩٥، ٥٢٧، ٥٣٧) .

كَرِيمٌ ﴾ [1] ويقول : ﴿ الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [2] ويقول جل شأنه : ﴿ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴾ [3] .

ولم نر متحابين متنافرين ، ولذلك كان الزوجان المتحابان ، هما القرينان في الدنيا ، وهما كذلك القرينان في الآخرة ، ويقول ﷺ : « المرءُ مع من أحبَّ » [4] سواءً كان ذلك في الجحيم ، كقوله جل شأنه : ﴿ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ۞ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ [5] أو كان ذلك في النعيم والله تعالى يقول : ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۞ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴾ [6] .

(و) زوالُ الحبِّ الوهمي :

وقد يحدث أن يخطئ الرجل في تقدير المرأة التي يريد أن تشاركه في الحياة ، وقد تخفى عليه بعض دقائق نفسها ، وخفايا روحها ، ويخدعه ظاهرها ، فتتغلب عليه بعض العواطف فينكحها ، فسرعان ما يتبين له خطؤه ، فيطلقها ويتلاشى ما زعمه من حب ، وأحس به من ميل ، وذلك كما يحدث كثيراً ، كما وقع للحكم بن عبدل ، تزوج امرأة من همدان فقالوا له : على كم تزوجت ؟ فقال :

تزوّجتُ هَمْدانيةً ذات بَهْجَةٍ على نمط عادية [7] ووسائد

---

(١) سورة النور الآية : ٢٦ .

(٢) سورة النور الآية : ٣ . (٣) سورة التوبة الآية : ٦٧ .

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٤٨، ٤٩)، ومسلم (البر ١٦٥)، وأبو داود (٥١٢٧)، والترمذي (٢٣٨٦)، وأحمد (١/ ٣٩٢، ٣/ ١٠٤)، والطبراني (١/ ٦٥)، والدارقطني (١/ ١٣٢).

(٥) سورة الصافات الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .

(٦) سورة يس الآيتان : ٥٥ ، ٥٦، ومثله في الرعد الآيتان : ٢٣، ٢٤ .

(٧) النمط : ضرب من البسط جمعه أنماط والعادية نسبة إلى عاد ، وهو كناية عن القدم .

لعمرى لقد غاليتَ فى المهرِ إنَّه كذاك يغالى بالنِّساء المواجد [1]

فلما دخل بها كرهها فقال :

أعاذِلَتى من لَوْمِ دَعانى أقِلا اللُّوم إن لم تَعْذرانى
فإن قد دللتُ على عجوزٍ مبرقعةٍ مخضبةِ البنانِ
تَغضّن جلْدها واخضر إلّا إذا ما ضرجت بالزعفران
فلما أنْ دَخَلتُ وحادثَتْنى أظَلَّتْنى بيوم أرونان

وقد حدث لرسول الله ﷺ مثل ذلك ، ولكنه يعرض عن زواج المرأة لمجرد ما يظهر له من سوء خلقها ، قالت عائشة ابنة الجون لما أُدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت أعوذ بالله منك ! فقال ﷺ : « لقد عُذْتِ بعظيم ، الحقى بأهلك » [2] وحذر الله تعالى من امرأة السوء فقال : ﴿ يـٰأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [3] .

(ز) دوامُ الحبِّ الصَّحيح :

وأما الحب الصحيح فلا يمحى ولا يضمحل ، فقد يموت أحد الزوجين المتحابين ، فلا ينفك الآخر عن ذكره ، والوفاء له ، مثل ذلك حب رسول الله ﷺ لخديجة بعد وفاتها .

وقد يضطر الرجل لطلاق امرأته لظروف خاصة ، مع حبه لها ، فيظل متعلقاً بها ، وقد يهيم بها حياته ، هيام قيس بن ذريح للبنى ، جاهده أبوه ليطلقها ، وحلف لا يكنه [4] سقف بيت أبداً حتى يطلق لبنى فكان يخرج فيقف فى حر الشمس ، ويجئ قيس فيقف إلى جانبه فيظله بردائه ، ويصلى هو بحر الشمس حتى يفئ ، فينصرف عنه ثم يدخل إلى لبنى ، فيعانقها

(١) المواجد : جمع ماجدة وهى المرأة السمحة الحسنة الخلق .
(٢) أخرجه البخارى (٥٣/٧) ، والنسائى (١٥٠/٦) ، والبيهقى (٣٩/٧) ، والحاكم (٣٥/٤) ، وانظر الكنز (٣٧٣٩١، ٣٧٨٢٢) .
(٣) سورة التغابن الآية : ١٤ .
(٤) يكنه : يتظلل .

وتعانقه، ويبكى وتبكى معه، وتقول له يا قيس لا تطع أباك، فتهلك وتهلكنى !! فيقول: ما كنت لأطيع أحداً فيك أبداً! .

قال قيس: هجرنى أبواى فى لبنى عشر سنين استأذن عليهما فلا يردانى حتى طلقتها. وقال الحسين بن على رضى الله عنهما لذريح أبى قيس أحل لك أن فرقت بين قيس ولبنى؟! أما إنى سمعت عمر بن الخطاب يقول: ما أبالى أفرقت بين الرجل وامرأته أو مشيت إليهما السيف.

قيل لقيس إن لبنى ترتحل الليلة أو غداً، فسقط مغشياً عليه، ثم أفاق وهو يقول:

فإنى لمفن دمع عَيْنى بالبكا حَذَار الذى قَدْ كان أو هو كَائِن
وقالوا: غداً أو بعدَ ذَاكَ بليلةٍ فِراقُ حبيبٍ لم يبنِ وهو بَائن
وما كُنْت أخْشى أن تَكُونَ مَنِيتى بكفيكَ إلا أنّه ما حَان حَائن

وقال:

يقولونَ: لُبْنى فتنةٌ كنتُ قبلها بخير فلا تَنْدم عليها وطَلق
فطاوعتُ أعدائى وعاصيتُ ناصحى وأقررت عين الشامت المتخلق (١)
وددتُ وَبَيْت اللهِ أنّى عصيتُهم وحُمّلتُ فى رِضْوانها كلَّ موبقٍ (٢)

ومن أمثلة الإخلاص زوجة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثالث الخلفاء الراشدين، بعث إليها معاوية أمير المؤمنين يطلب زواجها بعد أن قتل عثمان، فسألت: ماذا يعجبه منى؟ فبعث إليها يقول: ثناياك، فكسرتها وبعثت بها إليه.

(ح) ليسَ للشكلِ دخلٌ فى الحب:

والحب لا دخل فيه للجمال الجسمى، فقد كان (نصيب بن رباح) أسود خفيف العارضين، ناتئ (٣) الحنجرة، وكانت زوجته (أم بكر)

---

(١) المتخلق: الذين يتكلف ما ليس فى خلقه.
(٢) الموبق: الهالك. (٣) ناتئ: بارز الشىء.

بيضاء، جميلة الجسم، وكانت تحبه، رآهما بعض الناس فعجب من سواده وبياضها فدنا منه وقال له: من أنت؟ قال: أنا الذى أقول:

ألا ليتَ شِعْرى ما الذى تُحْدِثين بى ... غداً غُربة النأى المفرق والمبعد؟!
لَدِى أمُّ بكر حين تَقْترِب النوى ... بنا ثم يخلوا الكاشِحُون بها بعدِى
أتصرمنى عند الألى هُم لنا العدى ... فتشمتهم بى أم تدوم على العهدِ؟!

قال فصاحت: بل والله تدوم على العهد!! فسألت عنها فقيل هذا نصيب وهذه أم بكر.

ومثله كذلك ما رواه إسحق الموصلي عن أبيه قال: بينما أنا بمكة أجول في سككها، إذ أنا بسوداء قائمة ساهية باكية، فأنكرت حالها، وأدمت النظر إليها فبكت وقالت:

أعـمـرو عـلامَ تَجَـنْـبـتنى ... أخـذتَ فـؤادِى وَعَـذَّبْـتَنى!
فلو كنتَ يا عمرو خبرّتنى ... أخذتُ حَذارِى فما نِلْتَنى

فقلت لها: يا هذه من عمرو؟ قالت: زوجي، قلت: وما شأنه؟ قالت: أخبرني أنه يهواني وما زال يطلبني حتى تزوجتُهُ، فلبث معي قليلاً ثم مضى إلى جده وتركني، فقلت لها: صفيه لي: قالت أحسن من أنت رائيه سمرة وأحلاهم حلاوة وقداً[1]، قال: فركبت رواحلي مع غلماني وصرت إلى جدة، فوقفت على موضع المرفأ أتبصر من يحمل من السفن وأمرت من يصوت يا عمرو!! يا عمرو!! وإذا أنا به خارجاً من سفينة على عنقه وعاء فيه طعام، فعرفته بصفتها ونعتها إياه فقلت:

أعـمـرو عَـلام تَجَـنْـبـتَنى ... أخـذت فـؤادى وَعَـذَّبْـتَنى

فقال: هيه! أرأيتها وسمعت منها؟ فقلت: نعم! فأطرق هنيهة يبكي ثم اندفع فغنى به أملح غناء سمعته ، ورددته علي حتى أخذته منه، فإذا به أحسن الناس غناء، قال أبو إسحق فأعطيته مالاً ورددته إليها.

---

(١) القَدُّ: القوام والقامة.

(ط) العفة فى الحب :

المسلم عفيف فى حبه ، فإذا أحب فتاة ولم يستطع زواجها عفّ ، وكتم حبه ، وقد تكون المرأة أقل قدرة على ذلك من الرجل ، لبروز عاطفتها ، فتكون (كسلامة) سعت إلى (عطاء بن أبى رباح) الإمام العالم الزاهد وهما محبان ، قالت : فملت إليه وقلت : أنا والله أحبك !! فقال : وأنا والله الذى لا إله إلا هو ! قلت : وأشتهى أن أعانقك وأقبلك ! قال : وأنا والله ! قلت : فما يمنعك ؟ فوالله إن الموضع لخال ! قال : يمنعنى قول الله عز وجل : ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (١) فأكره أن تحول مودتى لك عداوة يوم القيامة !!

ولما كان للحب سيطرة كبيرة على النفس ، أمر الله المسلم أن يتعفف ويقاوم أمارته بالسوء ، ويجاهد نفسه ، ووعده على ذلك بالمغفرة فقال صلوات الله وسلامه عليه : « مَنْ عَشِقَ فَعفَّ فماتَ فَهُو شَهِيدٌ » (٢) وقال عليه الصلاة والسلام : « سَبْعَةٌ يظلهم الله يومَ القيامةِ فى ظِلِّ عرشه يوم لا ظل إلا ظلُّهُ » وعد منهم : « رجلٌ دَعَتْهُ امرأةٌ ذات جمال وحسب إلى نفسها . فقال : إنى أخافُ الله رَب العالمين » (٣) .

هذا ما رأيته مناسباً للمقام ، ولبيان حقيقة الحب بين الزوجين ، وما ذكرت ذلك إلا لزعم ضعاف النفوس وأوشاب الناس ، أن الحب هو الاتصال الجنسى والزنا ، ولترك الآخرين هذه العاطفة النبيلة ، وعدم محاولة إنمائها بعد الزواج .

الغـيرة

قال رسول الله ﷺ : « إنِّى لَغَيُورٌ ، وما من امرئٍ لا يغارُ إلا هو

---

(١) سورة الزخرف الآية : ٦٧ .

(٢) انظر كشف الخفاء (٣٦٤/٢) ، والكنز (١١١٧٩) ، والأسرار المرفوعة (٣٥٣) ، وبداية المجتهد (٢٢٩/١) ، والعلل المتناهية (٢٨٦/٢) .

(٣) أخرجه البخارى (١٦٨/١) ، ومسلم (زكاة ٣) ، والترمذى (٢٣٩١) ، والنسائى (٢٢٢/٨) ، وأحمد (٤٣٩/٢) ، وشرح السنة (٣٥٤/٢) .

مَنْكُوس القَلْبِ »[1] وقال صلوات الله وسلامه عليه : « أَتَعْجَبُون من غيرةِ سَعْد ؟!! أنا والله أَغْيَرُ مِنْهُ والله أَغْيَرُ مِنِّى »[2] .

(أ) معنى الغيرة :

والغيرة عاطفة سامية من عواطف الحب الحقيقى ، تدفع الزوج إلى المحافظة على زوجته ، وتدعو الزوجة إلى الاحتفاظ بزوجها ، وهى قيمة كريمة تشعر الزوجين دائماً بالحب ، وتحثهما على تجديده وتنميته ورعايته ، وسمى الرسول ﷺ من لا يغار (ديوثا)[3] لا يمكن أن تضعف عاطفة الغيرة عند الرجل ولو كان لا يحب زوجته ، ويغار عليها ما دامت امرأته وقرينته ، وإذا جاوزت الغيرة حدها الطبيعى ، غدت جنونا ، وقد بينا ذلك فى ص (٩٧ من هذا الكتاب) .

(ب) غيرةُ المرأةِ على زوجها :

والمرأة تغار على زوجها متى كانت تحبه ، وقد تبلغ بها الغيرة مبلغاً شديداً ، فعن جابر بن عبد الله ، أنه شكى امرأته إلى عمر بن الخطاب ، قال له عمر : إنا لنجد ذلك ، حتى إنى لأريد الحاجة فتقول لى : ما تذهب إلا إلى فتيات بنى فلان تنظر إليهن .

(ج) غيرةُ المرأةِ من الزوجة السابقة :

وقد تغار المرأة على زوجها من زوجته السابقة ، قالت عائشة : ما غرت من امرأة كما غرت من خديجة ، لما كنت أسمعه صلوات الله وسلامه عليه يذكرها ، وما رأيتها قط ، وربما ذبح الشاة ثم قطعها أعضاء ، ثم بعثها فى صدائق خديجة ، وربما قلت له : ألم تكن فى الدنيا امرأة إلا خديجة ؟

---

(١) أول الحديث انظر مجمع الزوائد (٣٢٧/٤) ، وإتحاف السادة المتقين (٣٦٢/٥) .

(٢) أخرجه البخارى (١٥١/٩) ، ومسلم (اللعان ١٧) ، والحاكم (٣٥٨/٤، ٤٢٤) ، والبغوى (٦٢٥/١) ، وأحمد (٣٤٨/٤) ، وابن أبى شيبة (٤١٩/٤) .

(٣) راجع مرض الدياثة صفحة (٩٧ من هذا الكتاب) ، وروى الحاكم والبيهقى قول رسول الله ﷺ : « ثلاثةٌ لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه ، والديوث ، والرجلة من النساء » .

فيقول ﷺ : « إنَّها كانتْ وكانتْ ، وكان لى منها ولد ، وإنى لأُحبُّ حَبِيبَها » وأغضبته يوماً فقالت : خديجة خديجة ؟! فقال صلوات الله وسلامه عليه : « إنى رزقت حُبَّها » قالت له عائشة : وهل كانت إلا عجوزاً أبدلك الله خيراً منها ؟! قالت عائشة : فغضب ﷺ ، وقال : « لا والله !! ما أبدلنى الله خيراً منها ، آمنت بى إذ كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذَّبنى الناس ، وَوَاسَتْنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء » قالت عائشة فقلت فى نفسى : لا أذكرها بعدها بسيئة [1] .

(د) غيرة الضرة :

والغيرة قد تبلغ أشدها بين زوجتى الرجل ، ولهذا حرم الإسلام الجمع بين الأختين وسائر المحارم ، وعدل المسلم بين نسائه يقلل من حدة هذه الغيرة ، وقد قال تعالى : ﴿ **وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِنْ تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً** ﴾ [2] .

ولهذا عارض النبى أن يتزوج علىٌّ عَلَى ابنته فاطمة ، فقد وقف الرسول ﷺ على المنبر وقال : « إن بنى هشام بن المغيرة استأذنونى أن ينكحوا ابنتهم علىَّ بن أبى طالب ، فلا آذن لهم !! ثم لا آذن لهم !! ثم لا آذن لهم !! إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق ابنتى وينكح ابنتهم ، فإنما ابنتى بضعة منى ، يُريبنى ما رابها ، ويُؤْذِينى ما آذاها » [3] .

(هـ) غيرة الرجل :

والرجل غيور على زوجته كما قدمنا ، وكلما زاد إسلام المرء زادت غيرته ، وكان الحسن يقول : أتدعون نساءكم ليزاحمن العلوج [4] فى

---

(١) تقدم تخريجه . (٢) سورة النساء الآية : ١٢٩ .

(٣) أخرجه أبو داود (٢٠٧١) ، وأحمد (٣٢٨/٤) ، والبيهقى (٢٨٨/١٠) ، والحلية (٣٢٥/٧) ، وشرح السنة (١٥٩/١٤) .

(٤) العلج : كل جافٍ شديد من الرجال .

الأسواق ؟ قبح الله من لا يغار !! ومن طريف ما ورد عن الغيرة ، قول رسول الله ﷺ : « رأيتُ في الجنة قصراً وبفنائه جارية ، فقلت : لمن هذا القصر ؟ فقيل : لعمر ، فأردتُ أن أنظر إليها ، فذكرتُ غيرتَكَ يا عمر !! فبكى عمر ، وقال : أعَلَيْكَ أغارُ يا رسول الله ! »[1] .

وقد تبلغ الغيرة بالزوج مبلغاً شديداً ، حتى أنه يتألم حين يفكر أن امرأته ستنكح غيره بعد موته ، ومثل هذا ما حكى أن هدبة بن الخشرم حين أُحضر ليعدم قال لامرأته :

فَلا تُنْكَحِي إنْ فرقَ الدَّهْرُ بَيْنَنا أغمّ القَفا والوَجْهُ لَيس بأُنزعا

فذهبتْ وجدعت[2] أنفها ، وقطعت شفتيها ، ورجعت إلى زوجها ، وهو واقف ينتظر الموت ، فقالت له : أتراني يا هدبة متزوجة بعد ما ترى ؟! فقال : الآن طابتْ نفسي بالموت ، فجزاك الله من حليلة[3] وفية خيراً !!

(و) ثواب الصبور على غيرة زوجها :

وقد تؤلم الغيرة الزوجة بعض الشيء ، ولكنها لو علمت أن الغيرة مقياس الحب ، لزادت غبطتها ، ولحمدت الله على علو منزلتها عند زوجها ، ولما يعلم من إيلام الغيرة وعد الله بالجنة : « المرأة الصبور على غيرة زوجها »[4] .

(ز) طرائف في الغيرة :

ولقد بلغ من غيرة العرب ، تخيل رواتهم أن موسى الهادى جاء إلى جاريته (غادر) وقد أقبلت بعد وفاته على أخيه (هارون) فأنشدها وهى نائمة :

أَخْلَفْتِ عَهْدى بَعْد ما جاورتُ سكان المقَابر
وَنَكَحْتْ غَادِرة أَخى صَدَقَ الذى سماكِ غَادر

(١) أخرجه الترمذى (٣٦٨٩) . (٢) جدعت : قطعت .
(٣) الحليلة : الزوجة .
(٤) انظر الكنز (٤٣٣٤٧) ولفظه قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا تمسهم النار : المرأة المطيعة لزوجها ، والولد البار بوالديه ، والمرأة الصبور على غيرة زوجها » .

لا يهنك الإلف الجَدِيـ ـد ولا تنمّ عنك الدّوائر
وَلَحِقت بى قَبْل الصّبا ح وصِرت حَيْث غَدَوْت صَائر

ولو شئت أن أذكر أحاديث العرب فى الغيرة وطرائفهم لضاق بى المقام ، كمن يغار من القميص ترتديه المحبوبة فيقول :

أرى القميصَ على ليلى فأحسدُهُ إن القميص على ما ضَمّ محسودُ

وإنا لنرى إلى اليوم كيف يغار المرء من ذكر اسم زوجته أمام الناس ، فيكنى عنها بالبيت ، أو بالجماعة فيقول مثلاً : فى البيت لا يرضون بذلك ، أو يقول : الجماعة يقولون : كذا ، ويريد بذلك الزوجة ، وفى مثل هذا يقول البهاء زهير :

وأُنزّه اسْمَكَ أنْ تمرّ حُروفه مِن غَيْرتى بمسامع الجلاس
فأقول : بَعْضُ الناسِ عنك كنايةً خوف الوشَاة وأنت كلّ الناسِ

التزين فى الإسلام

قال تعالى : ﴿ يَا بَنِى آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ، قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِى أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1] .

وهكذا أباح الدين التزين ، وأمر بعدم المغالاة فيه ، فالرجل زينته فى نظافة ثيابه وتناسقها ، وكذلك المرأة زينتها النظافة وما يلائمها من الثياب ، ولقد بينا فى المبحث الثانى تحريم تقليد أحد الجنسين للآخر ، وإنى لا أرى أن أتوسع فى الكلام عن مسألة الزينة ، إذ يمكن الرجوع فى ذلك إلى كتب السنة ، ولكنى أشير إلى أهم ما أراه مناسباً للمقام .

---

(١) سورة الأعراف الآيتان : ٣١ ، ٣٢ .

فحرام على الرجل جرّ ذيله ، قال رسول الله ﷺ : « ما أسفل من الكَعْبين من الإزَار فى النار »[1] والمرأة لها أن تجر ذيلها إلى ذراع لا تزيد عليها ، وللمرأة أن تتحلى بالقلائد والأسورة وغيرها ، بشرط أن لا يرى ذلك غير زوجها ، قال رسول الله ﷺ : « يا معشرَ النساء أما لكن فى الفضة ما تحلين ، أما إنه ليس من امرأة تحلتْ ذهباً تَظْهره إلا عذبت به »[2] .

ولا يرى الدين بأساً فى استعمال الكحل قال رسول الله ﷺ : « إن من خَيْرِ أكْحالِكُم الإِثْمِدَ »[3] . وللمرأة أن تلون أظافر يديها بالحناء ، ولا بأس فى ذلك ، قال رسول الله ﷺ لامرأة مدت إليه يدها بالكتاب : « لوْ كنتِ امرأةً لغيرتِ أظفارِكِ بالحنَّاء »[4] .

ويباح استعمال الحناء وسائر الأصباغ للخضاب ، سئلت عائشة عن الحناء قالت : لا بأس به ، ولكنى أكره هذا ، لأن النبى ﷺ كان يكره ريحه ، ويباح استعمال الروائح العطرية بجميع أنواعها وقد سئلت عائشة : أكان رسول الله ﷺ يتطيب؟ قالت نعم بذكارة[5] الطيب ، المسك والعنبر[6] وكانت للنبى ﷺ سكة[7] يتطيب منها[8] والمرأة محرم عليها أن يشم رائحتها الأجانب عنها قال رسول الله ﷺ : « أيما امرأة استعطَرتْ فمرّتْ على قومٍ ليجدوا رِيحها فَهِى زَانِية »[9] .

---

(١) أخرجه البخارى (١٨٣/٧) ، والنسائى (٢٠٧/٨) ، وابن ماجه (٣٥٧٣) ، وأحمد (٤٦١/٢) .
(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٣٧) ، والنسائى (١٥٦/٨) ، وأحمد (٣٩٨/٥) ، والدارمى (٢٧٩/٢) .
(٣) أخرجه أبو داود (الطب ١٤) ، وأحمد (٣٦٣/١) ، والحاكم (٤٠٨/٤) ، والطبرانى (٦٥/١٢) .
(٤) أخرجه أبو داود (فى الترجيل ٤) ، والنسائى (١٤٢/٨) ، وانظر مشكاة المصابيح (٤٤٦٧) .
(٥) بذكارة الطيب : أفضله وأحسنه .
(٦) أخرجه النسائى (زينة ٣١) .
(٧) السكة : نوع نادر من الطيب .
(٨) انظر الشمائل (١١٠) .
(٩) أخرجه أحمد (٤١٤/٤) ، والحاكم (٣٩٦/٢) ، الدارمى (٢٧٩/٢) .

ومن الزينة الاعتناء بشعر الرأس، وكان رسول الله ﷺ يفعل ذلك، قال صلوات الله وسلامه عليه لرجل ثائر الرأس: «أما يجدُ هذا ما يُسكن به شعرَهُ؟» [1] ومن زينة الرجل ألا يحلق شاربه ولا يتركه طويلاً فتخفى حمرة شفته، أو أن يحلق لحيته ويبالغ فى قصها، أو يتركها أطول من قبضة اليد، قال رسول الله ﷺ: «احفُوا [2] الشاربَ واعفُوا اللِّحى» [3]، وليس من الأدب أن يحلق المرء شعر صدره وظهره، وأما المرأة فيجب عليها أن تزيل شعر الإبط، وشعر العانة.

ما يحرمُ من التزين

والزينة في حدودها تعطى المرء رونقاً وبهجة، وإذا زادت عن حدها غدت تشويهاً ومسخاً، قال رسول الله ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الواشِماتِ والمسْتَوشِماتِ، والنامِصاتِ والمتنمصاتِ، والمتفلجاتِ للحسن المغيراتِ خلق الله» [4] وقال صلوات الله وسلامه عليه: «لعن الله الواصلةَ والمستوصلة» [5].

ولقد بلغ من تحريم الوشم أن حرم الإسلام وشم الحيوان، قال رسول الله ﷺ: «أما بَلَغَكُم أنى لعنتُ من وَسَم البهيمة فى وجهها أو ضربها فى وجهها» [6].

فنرى الإسلام يعتبر الزينة أن يحتفظ الرجل برجولته، متحلياً بكريم

---

(١) أخرجه النسائى (١٨٤/٨)، والحاكم (١٨٥/٤).

(٢) الإحفاء: القص أو الحلق.

(٣) أخرجه مسلم فى (الطهارة ٥٢)، والترمذى (٢٧٦٣)، والنسائى (١٦/١)، وابن ماجه (١٨٢)، وأحمد (١٦/٢).

(٤) أخرجه البخارى (٢١٢/٧)، ومسلم (اللباس ٣٣)، وأبو داود (٤١٦٩)، وأحمد (٤٣٤/١)، والبيهقى (٣١٢/٧).

(٥) أخرجه البخارى (٢١٢/٧)، ومسلم (اللباس ٣٣)، والترمذى (١٧٥٩)، والنسائى (١٤٦/٨)، وابن ماجه (١٩٨٨).

(٦) أخرجه أبو داود (٢٥٦٤)، وانظر الكنز (٢٤٩٥٨)، وإرواء الغليل (٢٤٣/٧).

والوشم: الكى للعلامة.

الخصال والطباع، وأن تحتفظ المرأة بأنوثتها بدون تشويه بدنها، ويقرر الإسلام مبدأ جنسياً عاماً: وهو أن الجمال المبتذل المعروض قبح، إذ أن للصفات الخلقية والنفسية السامية أثراً بالغاً فى تكوين جمال المرأة[1] .

الحيـــاء

قال رسول الله ﷺ: «إن لِكُلِّ دين خلقاً وخلق الإسلام الحياءُ»[2] وقال عليه الصلاة والسلام: «الحياءُ من الإيمان»[3] وحياة المرأة أشد من حياء الرجل، ولذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه: «الحياءُ عشرة أجزاء: فتسعةٌ فى النِّساء وواحد فى الرجال، وَلَوْلا ذَلِكَ ما قوى الرِّجال على النِّساء»[4] وحياء المرأة يوافق طبيعتها السلبية فى الحياة الجنسية، والرجل أقل حياء ، لأنه ممثل للدور الإيجابى، فهو الذى يسعى إلى المرأة، ويبحث عنها ويخطبها.

وحياء البكر أشد من حياء الثيب، ويرجع حياؤها إلى الشعور بحالتها النفسية الفسيولوجية الجديدة التى لم تعتدها، إذ أنك تراها بعد البلوغ مختلفة كل الاختلاف عنها قبل ذلك، فعندما يأتى الفتاة الحيض تتطور عقليتها، ويزول نشاطها وفرحها، وينقضى العهد الذى كانت فيه خالية الذهن من شواغل الحياة، وتغدو أدق إحساساً، سريعة التقلب والتغير فى أفكارها، وذلك لأنها تشعر برغبة نفسية داخلية فى أشياء مبهمة لا يمكنها إدراكها، فيدعوها هذا إلى العزلة والانفراد، وقد تعتريها نوبات من البكاء

(١) وسيأتى بيان ذلك فى مبحث تحسين النسل .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١، ٤١٨٢)، ومسند الشهاب (١٠١٨، ١٠١٩)، وأبو نعيم (٣٦٣/٥)، وانظر الصحيحة (٩٤٠).

(٣) أخرجه مسلم (الإيمان ٥٩)، والترمذى (٢٠٠٩)، وابن ماجه (٤١٨٤)، وأحمد (٩/٢)، والحاكم (٥٢/١)، والطبرانى (١٧٨/١٨).

(٤) انظر الكنز (٥٧٦٩)، والموضوعات (١٨٥/١).

لا تدرى له سبباً معيناً، وقد تتبرم بأهلها وصاحباتها، وقد تسأل وتشكو كآبتها لمن حولها، ولكنها تشعر فى صميم نفسها بلذة فى وحشتها وحزنها، وتقع تحت سيطرة أوهام غريبة، وأحلام سارة ترتاح لمجرد التفكير فى إمكان تحقيقها، وقد تختل وظائفها العضوية فتصاب ببعض الاضطرابات العصبية كالهستريا أو الكوريا وغيرها، ولا تعلم الفتاة إذ تعتريها هذه الوحشة والكآبة وهذه التقلبات المختلفة، أنها مدفوعة بعامل خفى إلى الرغبة الملحة الغامضة التى دفعها إليها تطورها الجنسى، وساقتها إليها غرائزها النسوية الطبيعية الخاصة، وتتكون فى أعماق وجدانها قوة شديدة تدفعها إلى التفكير فى الزواج والنسل، تلك الوظيفة التى تطور من أجلها جسمها ووظائفها الحيوية وعقلها ونفسيتها، وحينئذ تطرح الفتاة عنها حجاب الكآبة، وتخرق سحابة الحزن، ولما كان الحياء أبرز صفاتها، فإنها لا تستطيع أن تسعى إلى الرجل، ولكنها لا تعجز أن تستعمل أمضى أسلحتها التى تخرجها معامل أنوثتها ودلالها، فتلجأ إلى التزين، والتجمل والتظرف، والابتسام، وتعلم الغناء والموسيقى والرقص والنسج وغيرها، مما يعد دعوة صريحة قوية، ولكنها صامتة ساكنة، لرغبتها فى الزواج.

ولما كانت الفتاة لا تطلب الزواج بفيها فقد اعتبر الإسلام سكوتها رضى لذلك. قالت عائشة: يا رسول الله! تستأمر النساء فى أبضاعهن(١)؟ قال عليه الصلاة والسلام: (نعم) قلت: إن البكر تستأمر فتستحيى فتسكت. فقال صلوات الله وسلامه عليه: « سكاتها إذنها »(٢) ولعلك تجد أبلغ وصف لحالة الفتاة تكنى عن طلب الزواج ما ذكرناه فى المبحث السابق من قصة ابنة شعيب وموسى عليهما السلام.

---

(١) **أبضاعهن**: فروجهن.
(٢) أخرجه أحمد (٤٥/٦).

وترى البكر فى استحيائها لا تقول إنى أريد أن أتزوج ، ولكنها تكنى عن رغبتها فتراها تقول : إنى أتمنى أن يكون لى بيتاً ، وأن يؤثث خير أثاث ، ويزين بالزهور والورود ، وأن تكون للبيت حديقة غناء ، وتعنى بذلك أنها تريد زوجاً ، وتريد أشياء جميلة تجذب هذا الزوج إليها ليمكث معها لتحقيق رغبتها الجنسية ، وما رغبتها فى الحديقة إلا ليلعب فيها أطفالها وعيالها التى خلقت من أجل تزويد العالم بهم ، وترى هذه الكناية متمثلة فى قول امرأة فرعون ، حين تستحى من ربها ، فلا تستطيع أن تصرح له بطلب الزوج الصالح بدلاً من فرعون الكافر ، فتقول : ﴿ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ (1) .

الدلال

والدلال يقابله المداعبة عند الرجل وهو أمر خاص بالنساء ، وهو الوسائل السلبية التى تتخذها المرأة لإيقاظ عاطفة الرجل : كالتزين والتطيب وغيرهما .

والمرأة العاقلة تستطيع أن تستغل مواهبها النسوية الخاصة لكسب محبة زوجها وتقديره ، فإذا أحصنت المرأة فرجها ، وأرضت زوجها استطاعت أن تظفر بالسعادة وأن تكون خير زوجة ، وفى ذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه : « خيرُ نِسائِكم العفيفةُ الغُلمةُ (2) : عفيفة فى فرجها ، غلمة على زوجها » (3) وقد وصف الله تعالى الحور العين بالغلمة فى قوله جل شأنه : ﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً * عُرُبًا أَتْرَاباً ﴾ (4) والعروب هى العاشقة لزوجها المشتهية للجماع .

---

(1) سورة التحريم الآية : ١١ . (2) الغُلْمة : شديدة الشهوة للجماع .

(3) أخرجه ابن عدى (٣/١٠٦) ، وانظر الكنز (٤٥١٤٨) ، وإرواء الغليل (١١٨٩) ، والدر المنثور (١٥٩/٦) .

(4) سورة الواقعة الآيات : ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧ .

التَّمنع والصَّدّ

وهنالك بعض النساء الجاهلات ، يحسبن الدلال فى الامتناع عن الزوج ، وبعضهن يحسبن من الدلال القول بأن الجماع لا يهمهن ، ولا يفكرن فيه ، أو أن يقلن : إنهن لا يشعرن باللذة أثناء الوطء ، وقد يتهربن إمعاناً فى غيهن ، وظناً أن فى ذلك ما يدعو إلى توله الزوج بهن ، وهذا زعم فاسد ، ترجع عاقبته على الزوجة ، ويفقدها عطف زوجها ورضاه ، ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « إذا دَعَا الرجلُ امرأتهُ إلى فراشِه فلم تأته فباتَ غضبان عليها ، لعنتْها الملائكة حتى تُصْبح » (١) وقال صلوات الله وسلامه عليه : « والذى نفسُ محمدٍ بيده ، لا تُؤدى المرأةُ حَق ربها حتى تؤدى حق زوجها ، ولو سألها نفسها وهى على قتب لم تمنَعْه » (٢) وقال ﷺ : « لَعَنَ اللهُ المفسلة التى إذا أراد زوجها أن يأتيها قالت : أنا حائضٌ » (٣) .

وقد لا تمتنع المرأة لسوء فهمها لمعنى الدلال ، ولكنها قد تكون متوعكة المزاج غير ميالة فى وقت ما للجماع ، وقد يكون لها العذر فى ذلك ، ولكن من واجبها كزوجة ، ولركوب أخف الضررين - إلا إذا كانت مصابة بمرض يضره الوطء - عليها من باب اللياقة ، ولإحصان الزوج ، أن تجيبه ، فالرجل نفسه قد لا يكون ذا رغبة فى بعض الأحيان لملامسة زوجته ، ولكنه يتصنع المداعبة فى وقت لها فيه الرغبة لإرضائها ، فلذلك يجب على الفريقين أن يراعيا ألا تتعارض رغباتهما وأن يحاول كل منهما أن يرضى صاحبه .

---

(١) أخرجه البيهقى (٢٩٢/٧) ، وشرح السنة (١٥٧/٩) ، والكنز (٤٤٧٩٢) ، وانظر مشكاة المصابيح (٣٢٤٦) .

(٢) تقدم تخريجه .

(٣) انظر مجمع الزوائد (٢٩٦/٤) ، والمطالب (١٥٥٧) ، والكنز (٤٥٠٢١ ، ٤٥١١٤) ، والعلل (١٢٢٦) .

ولتعلم الزوجة أن المرأة لا يحل لها أن تصوم متطوعة إلا بإذن زوجها إذ قد يكون فى حاجة إليها ، وكذلك لا يحل لها أن تقوم من فراشها لتصلى تطوعاً إلا بإذنه ، وفى هذا يقول صلوات الله وسلامه عليه : « لا يَحل للمرأة أن تَصُوم وزوجها شاهد إلا بإذنه ، ولا تأْذن فى بيته إلا بإذْنهِ ، ولا تَقُوم من فراشها فَتُصلى تَطَوّعاً إلا بإذْنِهِ »[1] .

والعلة فى ذلك أن الرجل إذا منعت المرأة نفسها عنه لمدة طويلة ، يحدث عنده تأثير نفسى تختلف درجته باختلاف صحته وقدرته على الجماع ، ويصاب من المنع بأمراض عصبية قد تنتهى بالعنة ، وربما أصيب الرجل بانتفاخ الخصيتين مع ألم ظاهر فيهما ، لامتلاء القنى المنوية وقناة البربخ بالسائل المنوى المخزون وقد تحتقن عنده البروستاتا وتلتهب .

ولقد أمر الدين الرجل فى نفس الوقت ألا يغيب عن زوجه أكثر من أربعة أيام إلا لعذر ، وإذا حلف الرجل ألا يقرب زوجته أربعة أشهر ولم يقربها طوال هذه المدة بانت منه ولا تعود إليه إلا بعقد جديد ، ومهر جديد ، وهو ما يسمى شرعاً بالإيلاء ، ويقول تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ﴾[2] والرجل الذى لا يأتى زوجته يطلقها القاضى منه إذا هى طلبت ذلك .

ملاعبة الرجل زوجته وممازحته لها

قال رسول الله ﷺ : « خيرُكمْ خيرُكُمْ لأهله وأنا خيركم لأهلى »[3] وقال عليه الصلاة والسلام : « إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقا ، وألطفهم بأهله »[4] وهكذا علمنا رسول الله ﷺ أنه ليس من الرجولة أن يكون المرء فظاً فى بيته ، غليظ القلب مع أهله ، جاداً فى كل معاملاته مع

---

(١) أخرجه البخارى (٣٩/٧) ، وشرح السنة (٢٠٣/٦) ، وإرواء الغليل (٦٣/٧) .

(٢) سورة البقرة الآية : (٢٢٦) . (٣) تقدم تخريجه .

(٤) أخرجه الترمذى (إيمان ٦) ، وأحمد (٤٧/٦ ، ٩٩) .

زوجته ، وأرشدنا أنه ليس من الذوق والإنسانية ألا يلاعب الرجل زوجته إلا لقضاء حاجته ، حتى لا يكون كالحيوان الذى له وقت تطلب فيه الأنثى ذكرها دون غيره من الأوقات ، ولكن الرجل يلاعب امرأته كلما أتيحت له فرصة فراغ فى البيت ، ففى هذا دليل على الحب الإنسانى ، وبرهان على الذوق ، والرغبة فى دوام المودة والصحبة ، وقد بينا فى المبحث الأول أن الرجل هو حامل لواء العقل ، وهو محتاج أن يغذى روحه ويروح عن نفسه بالانضواء تحت لواء العاطفة التى تحمله المرأة ، تلك المرأة التى خطبها وتزوجها لتكمل نقصه ، ولتسد ذلك الفراغ الكبير فى حياته النفسية والجنسية ، فالرجل ينشد خطيبته ويتودد إليها ويبثها حبه ويظهر لها إعجابه وولهه فى أوائل عقده عليها ، فإذا قدم عهده بالزواج ظهر عليه الملل ، وبادر حليلته بالوحشة والسآمة وذلك لعدم فهمه للحياة الزوجية ، ولجهله بالآداب الإسلامية التى تكفل السعادة الزوجية ، والله تعالى يقول : ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (١) .

ولذلك ضرب الرسول صلوات الله وسلامه عليه المثل الأعلى لمعاملة الرجل زوجته مع عدم إهمال الواجبات الإنسانية الأخرى التى ألقيت على عاتقه ، فرسالة الرسول ﷺ ، والجهاد فى سبيلها ، والواجبات المختلفة التى قام بها عليه الصلاة والسلام خير قيام ، من قيادة الجيوش وتنظيم أعمال الأمة ، ومناصرة الحق ومحاربة الباطل ، إلى غير ذلك من التبعات الكبيرة الشاقة ، لم تمنعه ﷺ أن يكون رفيقاً بأهل بيته ، ومثلاً أعلا فى علاقته الزوجية ، جاءه ﷺ جابر يخبره أنه تزوج ثيباً ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : «أفلا بكرًا تلاعبُها وتلاعبُكَ ؟! » (٢) .

وكان رسول الله ﷺ مثلاً مجسماً وقدوة عملية لذلك ، فكان عليه الصلاة والسلام لا يستنكف أن يلاعب زوجته ويمازحها فى أوقاتِ فراغه ، فقد سابق عائشة فى العدو فسبقته يوماً وسبقها فى بعض الأيام ، فضربها

---

(١) سورة الأعراف الآية : ١٨٩ . (٢) تقدم تخريجه .

عليه الصلاة والسلام ضرباً خفيفاً على كتفها وقال : (هذهِ بِتِلْكَ !!) [1] ولم ير الرسول صلوات الله وسلامه عليه بأساً من أن يمكن عائشة من مشاهدة الأحباش يلعبون ، فيقف بين البابين ويضع كفه على الباب ، ويمد يده لتضع عائشة ذقنها عليها لتشاهدهم وهم يرقصون [2] .

قال رسول الله ﷺ : « إذا أحبَّ اللهُ أهلَ بيتٍ أدخلَ عليهمُ الرِّفْق » [3] وهكذا كان بيت الرسول صلوات الله وسلامه عليه ، قالت عائشة : كنت ألعب بالبنات ، فربما دخل رسول الله ﷺ وعندى الجوارى ، فإذا دخل خرجن ، وإذا خرج دخلن [4] .

قالت عائشة : قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك ، أو خيبر ، وفى سَهْوتها ستر ، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعَب ، فقال عليه الصلاة والسلام : « ما هذا يا عائشة ؟ » قالت : بناتى !! ورأى ﷺ بينهن فرساً له جناحان من رقاع ، فقال : « ما هذا الذى أرى وَسَطَهُنَّ ! » قالت : فرس ، قال : « وَمَا هَذَا الذِى عَلَيْه ! » قالت : جناحان ، قال صلوات الله وسلامه عليه : « فَرَس له جَنَاحان !؟ » قالت : أما سمعت لسليمان خيلاً لها أجنحة ؟ قالت : فضحك عليه الصلاة والسلام حتى رأيت نواجذه [5] .

حلمُ الزّوج عند انفعال المرأةِ وغضبها

بينا فى المبحث الثالث كيف يسيطر المرء على انفعالاته وكيف ربى الدين المسلم على أن يكبح جماح نفسه ، فلا ينفعل عند كل بادرة تبدر من امرأته ، فقد خلقت المرأة كما قال رسول الله ﷺ : « خلقت المرأةُ من

---

(١) أخرجه أبو داود (جهاد ٦١) .

(٢) أحمد (١٥٢/٣) قالت عائشة : فما زلت أنظر حتى كنت أنا أنصرف ، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن تسمع اللهو ، ذكره البخارى .

(٣) انظر المغنى عن حمل الأسفار (١٨١/٣) .

(٤) أخرجه أبو داود (٤٩٣١) ، وابن عدى (١٢٧٢/٣) .

(٥) أخرجه أبو داود (الأدب ٦١) ، والبيهقى (٢١٩/١) ، وانظر إتحاف السادة المتقين (٤٩٢/٦) ، والدر المنثور (٣٠٩/٥) .

ضلع ، وإن أعوجَ شيءٍ من الضِّلْع أعلاه ، فإن ذهبتَ تُقيمَهُ كسرتَهُ ، وإن تَرَكْتَهُ لم يزلْ أعوج » [1] .

وكان رسول الله ﷺ حليماً مع زوجاته ، يعاملهن بالرفق والحنان ، فهو الذى يقول : « واستَوْصُوا بالنساء خيراً » [2] .

غضبت عائشة مرة فقال لها رسول الله ﷺ : « مالك جاءك شيطانك !؟ » فقالتْ ومالك شَيطان ؟ فقال ﷺ : « بلى ! ولكنى دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يَأْمُرنى إلا بالخير » [3] وكان ﷺ يمازحها ويقول لها : « إنّى لأعرفُ غَضَبك من رضاك » قالت : وكيف تعرفه ؟ قال ﷺ : « إذا رَضِيتِ قلتِ : لا ورب محمد ، وإذا غَضِبْتِ قلتِ : لا وربِ إبراهيم » قالت : صدقتَ ، إنما أهجرُ اسمكَ [4] .

وروى أن أبا بكر استأذن على النبى ﷺ ، فسمع صوت عائشة عالياً ، فلما دخل تناولها لِيَلْطُمَهَا ، وقال : أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ !؟ فجعل النبى ﷺ يحجزه ، وخرج أبو بكر مغضبا ، فقال النبى ﷺ حين خرج أبو بكر : « كيف رَأَيْتِنِي أَنْقَذْتُكِ من الرجل ؟ » فمكث أبو بكر أياماً ، ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما اصطلحا ، فقال لهما : أدخلانى فى سِلْمِكُما كما أدخلتمانى فى حربكما ، فقال النبى ﷺ : « قد فعلنا قد فعلنا » [5] .

وقد تغضب المرأة لأتفه الأسباب ، فقد تطلب طلباً لا يقدر عليه الزوج ، أو لا يريد قضاءه ولا يريد أن يغضبها ، لذلك أباح له الدين أن يعدها ولو كذبا ، فقد قال رسول الله ﷺ : إن مما يباح من الكذب : « الرجل يحدث امرأته » [6] .

---

(١) ، (٢) أخرجه البخارى (١٦١/٤) ، ومسلم (الرضاع) ، وابن ماجه (١٨٥١) ، والبيهقى (٢٩٥/٧) .
(٣) تقدم تخريجه .
(٤) أخرجه أبو نعيم (٢٢٧/٩) ، والبخارى (٢٦/٨) .
(٥) أخرجه أبو داود (٤٩٩٩) ، وانظر مشكاة المصابيح (٤٨٩١) ، وبداية المجتهد (٥٤/٦) .
(٦) أخرجه الترمذى (بر ٢٦) وأحمد (٤٥٩/٦، ٤٦١).

المداعَبةُ والاتصالُ الجنْسى

قال رسول الله ﷺ : « لَا يَقعنَّ أحدكم على امرأته كما تقعُ البهيمةُ ، وليكنْ بينَهُما رسول » قيل : وما الرسول يا رسول الله ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : « القبلةُ والكلامُ »[1] .

فملاعبة الرجل امرأته من أهم المسائل التى عنى بها علماء فلسفة التناسليات فى العصر الحديث ، ووضعها الإسلام قبلهم بأكثر من أربعة عشر قرناً ، وذلك لتنبيه الغافلين إلى أمور تتحقق بها السعادة الزوجية وتزكو بها نار الحب عند الزوجة ، وتجعل العلاقة بين القرينين أرفع من أن تكون مجرد عمل آلى بعيد عن العطف والمودة ، عار من الحب والحنان .

والملاعبة مجموعة مظاهر يعبر بها الزوج عن رغباته الجنسية - فيما عدا الجماع - نحو الزوجة كالقبلة والكلام ، كما قال صلوات الله وسلامه عليه . وكالنظرة واللمس والعناق وغيرهما ، وقد ذكر رسول الله ﷺ أن من اللهو الحلال يلهو به الرجل « ليس اللهو إلا فى ثلاثة : تأديب الرجل فرسه ، وملاعبته امرأته ، ورميه بقوسه »[2] ، وقال جابر بن عبد الله : نهى رسول الله ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة[3] .

وأمر الدين ألا يدخل الزوج على امرأته حتى تتهيأ له بالزينة وغيرها وهو قوله صلوات الله وسلامه عليه : « إذا دخلتَ ليلاً فلا تدخلْ على أهلِكَ حتى تستحد[4] المغيبة وتمتشط الشعثة[5] »[6] .

ولقد أشار الدين بعد ذلك إلى أمر لا يستهان به ، وتناول مسألة من

---

(١) انظر المغنى عن حمل الأسفار (٥٢/٢) ، وإتحاف السادة المتقين (٣٧٢/٥) .

(٢) انظر الكنز (٤٠٦١٣) ، والدر المنثور (١٩٣/٣) .

(٣) أخرجه الخطيب فى تاريخه (٢٢١/١٣) ، وانظر الضعيفة (٤٣٢) .

(٤) **تستحد** : أى تزيل ما حول الفرج من شعر .

(٥) **الشعثة** : التى لا تهتم بشعرها .

(٦) أخرجه البخارى (٥٠/٧) ، وأحمد (٢٩٨/٣) ، وشرح السنة (١٨٨/١٢) ، ومشكاة المصابيح (٣٩٠٤) .

أدق المسائل الجنسية التى تغيب عن كثير من الأزواج وكثيراً ما يتجاهلها البعض الآخر .

يقضى الرجل وطره من زوجته ويتركها قبل أن تقضى وطرها منه، وربما كان سريع الإنزال وهى بطيئته فينهى جماعه قبلها وقد تكون هى فى أدوار التهيج ، ويتركها وتعتريه سنة الكرى المعروفة التى تعترى المرء بعد ، ويتركها بلا نوم ، باعثاً فى نفسها الشعور بالغضب ، فتغدو عصبية المزاج ثائرة ، متناقضة فى أعمالها وأقوالها ، تستفزها أتفه الأمور ، وتتأثر أعصابها بأقل المؤثرات ، وتنفعل لأدنى الأسباب ، وتصاب بالذهول وألم الرأس ، ويدعوها هذا العمل أن تعتقد أنها أصبحت أثاثاً للرجل ، وحينئذ يدب الخلاف ، وقد ينتهى الأمر بالطلاق .

لهذا أمر الدين ألا يترك الرجل امرأته حتى تقضى حاجتها ، وهو قول رسول الله ﷺ : « إذا جامعَ أحدُكُم امرأته فلا يتنحى حتى تقضىَ حاجتها ، كما يحب أن يقضىِ حاجتهُ » (١) وقوله : « إذا جامع أحدُكُم أهله فليصدقها ، فإذا قَضَى حاجتهُ قبل أن تَقْضِى حاجتَها فلا يعجلها حتى تَقْضِى حاجتَها » (٢) .

وسبق الدين علماء التناسليات بالإشارة إلى أمر هام خاص بالجماع ، وهو ألا يشغل المرء نفسه أثناءه بغير زوجته ، وألا يصرف ذهنها عنه أثناء الاتصال الجنسى ، لما يسببه هذا من إضعاف الشعور باللذة ، وتقليل الشهوة ، والإضرار بالانتصاب ، وإشعار الزوجة بانصرافه عنها ، مما يجر إلى أمراض عصبية وعلل نفسية ، ولذلك قال صلوات الله وسلامه عليه : « إذا جامع أحدُكم أهلَهُ فلا يُكْثِرْ الكلامَ » (٣) وكان رسول الله ﷺ يقول للمرأة التى تحته : « عليك بالسَّكينة » (٤) وذلك يكون عند الإنزال وقبله ، لأن المرأة تمثل الدور السلبى.

---

(١) انظر الكنز (٤٤٨٤٠) .

(٢) انظر مجمع الزوائد (٢٩٥/٤) ، والمطالب العالية (١٥٦٩) ، وإرواء الغليل (٧٢/٧) ، والكنز (٤٤٨٣٧) .

(٣) انظر الكنز (٤٤٨٦٤) .

(٤) أخرجه ابن سعد (١ : ٢ : ٥٨) ، وانظر المجمع (٢٩٥/٤) ، ومشكاة المصابيح (٢٦١٠) .

الترغيبُ فى الزوجة

ولما كان من مقاصد الزواج إشباع العاطفة الجنسية كذلك ، فقد رغب الإسلام فى الزوجة ، ووعد بالثواب من يتصل بامرأته معرضاً عن الحرام ، مبتعداً عن شياطين النساء اللاتى يتخذهن إبليس وجنوده لإفساد الخلق وتفكيك عرى الإنسانية ، تأمل قول رسول الله ﷺ : « إن المرأةَ تُقبلُ فى صورةِ شيطان وتدبرُ فى صورةِ شيطان ، فإذا رأى أحدكم امرأة فأعجبتْهُ ، فليأتِ أهله ، فإن ذلك يردُّ ما فى نَفْسِه »[(1)] .

وأظن أحداً لا يعجب أو يعيب على الإسلام التحدث والتشريع للواقع ، وإلا لعاب على أبيه وطء أمه واجتماعه بها ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾[(2)] فهى سنة الله فى خلقه ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلاً ﴾[(3)] .

وإنك لتجد حكمة الإسلام فى الترغيب فى الزوجة ممثلة فى قول رسول الله ﷺ : « وفى بُضع أحدكم صَدقة » قالوا يا رسول الله : أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! فقال صلوات الله وسلامه عليه : « أرأيتُم لو وضعهَا فى حرامٍ كان عليه وزرٌ ؟! فكذلك إذا وضَعَها فى الحلال كان له أجرٌ »[(4)] .

أنواعُ الجماع

والإسلام لم يعين نوعاً خاصاً من أنواع الجماع ما دام فى القبل ، قال رسول الله ﷺ : « ائتها على كلِّ حالٍ إذا كان فى الفَرْجِ »[(5)] .

---

(1) تقدم تخريجه . (2) سورة الرعد الآية : ٣٨ .

(3) سورة الأحزاب الآية : ٦٢ .

(4) أخرجه مسلم (زكاة ٥٣) ، والبيهقى (١٨٨/٤) ، وشرح السنة (١٤٤/٦) ، وأحمد (١٦٧/٥) .

(5) أخرجه الطبرانى (٢٣٧/١٢) ، وانظر المجمع (٣١٩/٦) ، والكنز (٤٤٨٥٤) .

وكان أهل حي من الأنصار يقلدون بعض أهل الكتاب في أن لا يأتوا النساء إلا على حرف، وكان هذا الحي من قريش يشرحون النساء، ويتلذذون منهن مقبلات ومدبرات ومستلقيات، فلما قدم المهاجرون المدينة، تزوج رجل منهم امرأة من الأنصار، فذهب يصنع بها ذلك، فأنكرته عليه وقالت: إنما كنا نؤتى على حرف فاصنع وإلا فاجتنبني!! حتى شرى أمرهما، فبلغ رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [1] أي مقبلات ومدبرات ومستلقيات، يعني بذلك موضع الولد.

الاستمتاعُ أثناء المحيض

وعن أنس رضي الله عنه: أن اليهود كانت إذا حاضت منهم امرأة أخرجوها من البيت، ولم يؤاكلوها، ولم يشاربوها ولم يجامعوها [2]، فسئل رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ﴾ [3]. فقال رسول الله ﷺ: «جامعوهنَّ في البيوتِ، واصنعوا كل شيء غير النكاح» [4].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ: «يأمُرني فأتزر فيباشرني وأنا حائضٌ» [5] أي يلصق بشرته ببشرتها فيما دون الإزار.

---

(١) سورة البقرة الآية: ٢٢٣، والحرث هو مكان الإنبات، وهو الفرج وقد قال صلوات الله وسلامه عليه: «إن الله لا يستحي من الحق، لا تأتوا النساء في أعجازهن» في مصنف وكيع عن عمر بن الخطاب.

(٢) راجع مبحث المحيض في مؤلفنا الإسلام والطب.

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٢٢.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٨)، والبيهقي (٣١٣/١)، والبغوي (٢١٦/١)، والدر المنثور (٢٥٨/١).

(٥) أخرجه البخاري (٨٢/١)، وأحمد (٥٥/٦)، وعبد الرزاق (١٢٤٨).

الاستمتاعُ أثناءَ الصيام

قالت عائشة : كان رسول الله ﷺ يقبل وهو صائم، ويباشر وهو صائم، ولكنه كان أملك لإربه [1]، وكانت تقول : كان رسول الله ﷺ يقبّلني وهو صائم وأنا صائمة [2]، قال عمر بن الخطاب : هششت فقبلت وأنا صائم فقلت : يا رسول الله صنعت اليوم أمراً عظيماً ؛ قبلت وأنا صائم، فقال ﷺ : « أرأيتَ لو مضمضتَ من الماءِ وأنتَ صائمٌ ؟! » قلت : لا بأس، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « فمه ؟! » [3] .

وقد أجمعت الأئمة على القول بأنه يجوز للرجل فى الصيام إذا أمن الإنزال أن يُقَبِّلَ امرأته سواء كانت القبلة فاحشة بأن يمضغ شفتها أو لا، وأن يباشرها مباشرة فاحشة كأن يضع فرجه على فرجها بدون حائل وأن يعانقها ويلمسها، سأل رجل رسول الله ﷺ عن المباشرة للصائم فرخص له، وأتاه آخر فنهاه فإذا الذى رخص له شيخ والذى نهاه شاب .

والذى أراه فى هذا أن الأفضل أن يتحاشى المرء المداعبة الفاحشة أثناء الصيام حتى لا يفطر، ولكى لا ينطبق عليه قول النبى صلوات الله وسلامه عليه : « كالحامِى حولَ الحِمَى يوشكُ أن يَقَع فيه » [4] .

حكمةُ الغسل بعدَ الجماعِ

وقد أمر الدين بالغسل بعد الجماع، قال تعالى : ﴿وإنْ كُنتُمْ جُنباً

(١) أخرجه أبو داود (الصيام ٣٢) والترمذى (٧٢٩)، والحميدى (١٩٩)، وبشرح السنة (٢٧٥/١) .

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٨٤)، وأحمد (٤٤/٦)، والتمهيد (١٢١/٥) .

(٣) أخرجه أبو داود (٢٣٨٥)، والدارمى (١٣/٢)، وابن حبان (٩٥). ومثله قوله ﷺ لمن سأله عن الرجل يقبل امرأته فى رمضان فقال عليه الصلاة والسلام: « لا بأس ريحانة يشمها » .

(٤) أخرجه البخارى (إيمان ٣٩)، ومسلم (مساقاة ١٠٧)، والترمذى (بيوع ١)، وأحمد (٢٦٧/٤، ٢٦٩، ٢٧٠) .

فاطَّهروا﴾[1] وذلك لنظافة البدن، ولإراحة العضلات، ولتهدئة الأعصاب، وإرجاعها إلى حالتها الطبيعية، ومما لا شك فيه أن الجماع مجهود عضلي ومجهود عصبي، ولقد ثبت أن الاستحمام مفيد كل الفائدة لهذا المجهود المركب، وسليمى البنية، خاصة فى زمن الصيف، يعرقون أثناء الجماع لما يبذلون من الحركات العضلية، وسيما إذا كانوا بطيئى الإنزال، وعلى وجه عام فعملية الجماع عمل متعب للرجل، لذلك تراه محتاجاً إلى الراحة بعده، وهذه الفترة هى التى تسمى فى علم فلسفة التناسليات فترة النوم، وكذلك تراه محتاجاً إلى تجفيف ما على جسمه من عرق كثر أو قل، فالاستحمام يفيد فى ذلك كل الفائدة، ويهدئ نبض القلب بعد هذا المجهود.

ولقد ثبت كذلك أن الاستحمام عقب الجماع له تأثير نفسى عجيب، إذ أنه يشغل البال عن الجماع السابق، ويريح البدن، ويجعل المرء أحسن استعداداً للجماع المقبل، وأقدر عليه، ووجد أن الذى لا يستحم عقب الجماع أقل نشاطاً للجماع المقبل، وأضعف شهوة، وأفتر إقبالاً على المباشرة التالية، ولذلك ترى من يستحم صباحاً عقب النوم قوى على استقبال يومه وعمله، وأكثر نشاطاً وحيوية.

ويؤيد الدين المعنى النفسانى الذى أشرنا إليه فيما رواه أبو رافع أن النبى ﷺ «طافَ ذات يوم على نسائه يغتسلُ عند هذه وعند هذه» قال: فقلت: يا رسول الله ألا تجعله غسلاً واحداً؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه: «هذا أزكى وأطيبُ وأطهرُ»[2].

وأما الأمر بالتيمم عند فقد الماء فى قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ

(١) سورة المائدة الآية : ٦ .
(٢) أبو داود (٢١٨، ٢١٩) .

﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾ [1] . فحكمته ظاهرة وهى الاكتفاء بالمعنى النفسانى ، ومثله قول رسول الله ﷺ : « إذا أتى أحدُكم أهلَهُ ثم بدا لَهُ أن يَعاود فليتوضّأ بينهما وُضوءًا ، فإنَّه أنشط للعود » [2] .

اختتانُ الرَّجل وحكمته

أمر الدين الرجل أن يختتن والختان هو قطع الغلفة حتى التاج ، قال رسول الله ﷺ : « الفطرةُ خمسٌ : الختان ... » [3] وقد قرر الدين ذلك للأسباب التالية :

أولاً : النظافة :

فوجود الغلفة يسبب تراكم إفرازات غدد خاصة فيها ، تتجمع فتصبح ذات رائحة خبيثة كريهة ، تختزن حول التاج وفى حفرته ، وتراكم هذه الإفرازات يحدث التهابات فى الغلفة [4] نفسها أو فى الحشفة [5] والغلفة معاً .

ثانياً : الوقاية من الأمراض :

والطهارة ضمان للوقاية من أمراض الغلفة : كالتهاب الغلفة المصحوب بالضيق فى فتحتها ، إذ يلتهب جلد الغلفة فتتورم وتضيق فتحتها ، فيتعذر إخراج حشفة القضيب ، وفى بعض الأحوال يتعذر خروج البول ، وقد

---

(١) سورة المائدة الآية : ٦ .

(٢) أخرجه مسلم (الحيض ٢٧) ، وأبو داود (٢٢٠) ، والترمذى (١٤١) ، وابن ماجه (٥١٧) ، والبيهقى (٢٠٣/١) .

(٣) أخرجه أبو داود (الترجيل ١٦) ، والترمذى (٢٧٥٦) ، والنسائى (١٤/١) ، وابن ماجه (٢٩٢) ، وأحمد (٢٢٩/٢) ، والبيهقى (١٤٩/١) .

(٤) الغلفة : الجلدة التى تغطى رأس عضو التذكير قبل قطعها .

(٥) الحشفة : رأس عضو التذكير .

تكون الغلفة ملتهبة وراء التاج ، فتضغط على القضيب وتعوق الدورة الدموية، وتصاب الحشفة بالورم ، وعند ذلك يضطر المريض أن تعمل له عملية الختان .

وبجانب هذا فإن استعمال المطهرات لتنظيف الحشفة والغلفة يعرضهما للالتهابات الموضعية .

ثالثاً : الوقاية من العادة السرية :

والختان وقاية من العادة السرية ، إذ أن غير المختتن يضطر دائماً إلى تنظيف العضو . وفى أوربا تعلم الأطفال كيف ينظفون هذا الموضع كل يوم بغسله بالماء الدافئ ، وإزالة الإفرازات الموجودة بقطعة من القطن ، وهذه المحاولة اليومية للتنظيف تنبه العضو ، وتغرى الذكور فى سن الشباب ، وتحرضهم على استعمال العادة السرية .

رابعاً : تقليل حساسية الحشفة :

وأعتقد أن من مزايا الطهارة كذلك تعريض الحشفة وجعلها على مر الأيام أقل حساسية ، والمرأة فى أول عهدها بالزواج تكون أسرع من الرجل فى إنزال شهوتها ، ويبطئ إنزالها كلما طال بها العهد ، وحينئذ يحتاج الرجل أن يقضى شهوته بعدها حتى يتم التوافق ، فالختان بما له من فائدة تقليل حساسية الحشفة ، يجعل الرجل أبطأ من المرأة ، فلا يحتاج عندئذ إلى استعمال المواد المخدرة كالحشيش وغيره .

ويجب أن نلاحظ أن بظر المرأة يجعلها أسرع إنزالاً من المختتن ، وأما مع غير المختتن فقد تكون أبطأ منه فلا يجاريها فى الجماع ، فترى أن تقليل حساسية الحشفة بالختان يطيل زمن الجماع فى المرة الواحدة .

تحريمُ قطعِ بظر المرأة وشفريها الصغيرين

وأرى أن قطع بظر المرأة وشفريها الصغيرين(١) عادة مصرية قبيحة، واختص بها نساؤها مسلمات وأقباط دون سائر نساء العالم.

ويزعم عامة المسلمين في مصر أن هذه العملية من السنة، وأنها كاختتان الرجل، مع أنها ليست من الإسلام في شيء، والإسلام(٢) ينهى عنها، وحجتهم في ذلك حديث أخرجه أبو داود وضعفه، وهو ما قيل عن أم عطية، كانت تختن النساء في المدينة، فقال لها رسول الله ﷺ: «لاتنهكي! فإنَّ ذلكَ أحظَى إلى المرأةِ وأحبّ إلى البعل»(٣) ورواه رزين: «أشمي ولا تنهكي، فإنه أنور للوجه، وأحظى عند الرجل».

وإذا فرضنا صحة الحديث فهو أمر بعدم نهك البظر واستئصاله، والحديث يقول إن عدم الاستئصال، أو بطريقة أصح عدم قطع البظر أحظى إلى المرأة، ووجوده أحب إلى البعل، فيكون بذلك قطعه أقبح إلى المرأة، وأبغض إلى البعل، وأما الشفران الصغيران فلم يشر إلى قطعهما حديث ما، فهو بدعة.

وإذا صح الحديث كذلك فيكون الأمر بالخفض في القطع معناه قطع قطعة صغيرة من البظر، إذا كان البظر طويلاً إلى درجة يعيق بها الجماع، وهو قوله ﷺ: «اخفضي ولا تنهكي» أي لاتكثري، فيكون الأمر هو تحسين البظر، وهو ما يدل عليه لفظ (الخفاض للنساء مكرمة).

---

(١) بعض القبائل في أواسط أفريقيا تقطع الشفرين الكبيرين كذلك.

(٢) لقد ثبت عن النبي ﷺ ما يؤكد وجود الختان للنساء على عهده ﷺ وهو قوله: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل» هذا الحديث يثبت أن للمرأة ختان كما للرجل، ولو لم يكن ختان المرأة معروفاً على عهد النبي ﷺ ما سماه ختاناً، ولكننا يمكن أن نقول إنه ليس على الوجوب أو الفرضية، ومع ذلك لا نستطيع إنكاره أو القول بأن النبي لم يعرفه أو كان غير معروف على عهده ﷺ.

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٧١)، والبيهقي (٣٢٤/٨)، وشرح السنة (١١١/١٢)، وانظر المشكاة (٤٤٦٤).

ويؤيد هذا الأضرار البالغة التى تحدث من قطع البظر ولا أرى بأساً أن ألخصها فيما يلى :

أولاً : أن تركيب البظر التشريحى يشبه تماماً تركيب قضيب الرجل ، وأن حوادث النزف الخطرة المتعددة التى تحصل بعد قطع البظر لدليل على ضرر هذه العملية .

ثانياً : أن البظر هو العضو الحساس فى المرأة ، وهو العضو الذى يذوق اللذة كما يذوق اللسان الطعام الشهى ، فالمرأة المقطوع بظرها ، لا يمكن أن تذوق لذة الجماع كما تذوقه غيرها .

ثالثاً : ويترتب على هذا عدم اكتفاء المرأة بالجماع مما يسبب لها اضطرابات عصبية مختلفة ، تظهر آثارها فى المصريات التى أجريت لهم ، فتجدهن فى بيوتهن ثائرات متبرمات ، يشتمن الخدم والأولاد ، وتجد من أعراض هذا الداء العصبى ، حفلات الزار فى مصر دون سائر أقطار العالم .

رابعاً : ومما يترتب على قطع البظر بطء إنزال المرأة ، واحتياجها لمجهود كبير لبلوغ بعض اللذة ، وهذا هو الذى يعلل كثرة استعمال الحشيش والمخدرات فى مصر ، لتخدير أعصاب الأزواج ليبطئوا فى الإنزال وليشبعوا رغبة زوجاتهم .

خامساً : ولقد علمنا عند الكلام عن المداعبة والجماع ، أن النبى ﷺ أمر ألا يتنحى الرجل عن زوجته حتى تقضى حاجتها وتنال لذتها كاملة ، فينافى هذا الأمر نظرية استئصال البظر ، وهو عضو اللذة ، فيترتب على ذلك ضعف شعور المرأة باللذة وتأخير الحصول عليها .

غشاء البكارة وفضه

وأرى من المناسب هنا أن أذكر شيئاً عن غشاء البكارة ، إذ أن بعض الناس تجعله الدليل الوحيد على شرف الفتاة ، والبعض الآخر يرى فقده ، أو عدم نزول دم كاف ، دليلاً قاطعاً على عهارتها .

(أ) الغشاءُ وأشكالُهُ :

غشاء البكارة غشاء مخاطي يقع عند فتحة المهبل، وقد يكون صلباً ومتكوناً من نسيج ضام، أو رفيعاً مرناً، ولا يوجد به من الأوعية الدموية إلا قليل جداً، وتوجد حالات نادرة يكون فيها معدوماً بالخلقة.

وللغشاء عدة أشكال، وهو عادة حلقي الشكل أو هلالي، وبين ذلك عدة أشكال، فقد تكون الحلقة صغيرة جداً لا يميز وجودها غير الإخصائيين أو يكون الغشاء شبه هلالي، أو غير مثقوب فيمنع دم الحيض مما يوجب ثقبه بعملية جراحية، يعطي عنها الجراح شهادة. وهنالك نوع يسمى بذى الشفة، بفصين ممتدين من فتحة مجرى البول حتى الشوكة.

(ب) هلْ وجودُ الغشاء دليلٌ قاطع على شرف الفتاة؟

ولو أن وجود الغشاء يعد من الأدلة على شرف الفتاة، غير أن هنالك حالات يمكن فيها الإيلاج [1] بدون أن يتمزق الغشاء، ففى النوع ذى الشفة - وقد يوجد به ثلاثة فصوص أو أربعة مفصولة بفجوات عميقة - يمكن مواقعة البنت البالغة من العمر حوالى ١٧ سنة، بدون ترك أى أثر، وفى بعض الحالات يكون الإيلاج غير تام لصلابة الغشاء، أما شدة مرونته فتسمح بالإيلاج بدون تمزق، وهنالك من البغايا من تحمل وتجهض بدون أن يتمزق غشاؤها المرن.

وفى بعض الأبكار تكون فتحة المهبل رحبة بحيث تسمح بإدخال المنظار بدون إحداث تمزق فى الغشاء.

(ج) هل عدم وجود الغشاء دليل قاطع على عدم شرف الفتاة؟

إن عدم وجود الغشاء لا يدل حتماً على عدم شرف الفتاة، فقد يكون

(١) الإيلاج: إدخال الذكر فى الرحم.

الغشاء مفقوداً بالخلقة كما قدمنا، وهنالك أحوال يتمزق فيها الغشاء من الحركات العنيفة كالنط فى لعبة الحبل، وركوب الخيل، أو بسبب إصابة بالحمى التيفودية أو القرمزية أو الحصبة .

وقد تكون الفتاة فى طفولتها وقعت ضحية لأحد الخدم المصابين بالسيلان، الذين يعتقدون أن فى لمس عضوها ما يشفيهم، أو تكون قد تلوثت بالسيلان من ملابس الخدم، أو تكون قد وضعت ضحية لمن يتصل بعائلتها من المصابين بالأمراض النفسية الجنسية، كجنون الشيخوخة، أو ضحية حفلات افتضاض البكارة التى تقيمها الأطفال مقلدين حفلات الكبار، ويزيل الغشاء ما تستعمله البنات من طرق العادة السرية .

(د) هل وجود الدم دليل قاطع على شرف الفتاة؟

حقيقة أن تمزق الغشاء يحدث نزيفاً يكون عادة بضع سنتيمترات مكعبة، إلا أنه قد يكون خطراً فى أحوال مع الدم، كما أنه قد يكون قليلاً حتى لا تلحظه بعض البنات .

ويجب أن نذكر هنا أن وجود الدم لا يقوم وحده دليلاً، فقد تزنى الزانية وتذهب إلى الطبيب قبل الدخلة فيخيط لها شفريها الصغيرين لتضيق فتحة المهبل، لينزف الدماء عند أول جماع، أو قد يضع لها فى مهبلها أنبوبة مملوءة سائلاً أحمر يسيل عند دخول الزوج، أو قد تضع لها إحدى النسوة الخبيرات حويصلة من مطاط بداخلها دم طير مذبوح مع مراعاة عدم تجمد الدم بطريقة من الطرق البسيطة المعروفة .

(هـ) ما هو دليلُ البَكَارَةِ والشَّرف :

هنالك علامات أخرى غير الغشاء تساعد على الحكم على بكارة الفتاة، فى الحالات التى لا يقوم فيها الغشاء دليلاً كصلابة الشفرين، العظيمين اللذين يغطيان الشفرين الصغيرين تماماً، وصلابة جدران المهبل وتجعدها، وعدم تضخم حلمتى الثدى، وسلامة الشوكة والعجان، وصلابة

الثديين وكرويتهما، وصغر الحلمتين، ووجود الهالتين حولهما حمراوتين فاتحتين أو غامقتين، ومع ذلك فإن مواقعة واحدة لا تغير هذه العلامات الثانوية، وعدم وجود هذه العلامات لا يدل إلا على تكرار الوطء.

ترى من ذلك أن الفاجرة قد يصعب تمييزها، فليست هنالك إذن غير الفراسة الصادقة، وحسن السمعة وطيب العنصر، وصالح البيئة، بل ليس هنالك غير الإسلام الصحيح والدين الذى يحكم النفس فيطهر الروح ويرفعها عن الدنس ويقيها من العلل النفسية الفتاكة.

كيف تزن المرأة زوجها وتقدره

والمرأة تحب زوجها المحب لها، الذى يقدر شعورها، سليم النفس، متين الأخلاق، حسن العشرة، الغيور على قرينته، العالم بماهية العلاقة الجنسية بين الرجل وامرأته، والمسلم الحقيقى تتوافر فيه هذه الصفات، فلا يمكن أن تشكو منه المرأة الطبيعية غير الشاذة، والمرأة على وجه عام تزن زوجها بميزان العاطفة وتقيسه بمقياسها، والمرأة التى رباها الإسلام تجعل للعقل نصيباً كبيراً فى أحكامها، فقد تكون شدة الزوج - إذا اشتد أحياناً - فى مصلحتها، وأرى من المناسب هنا أن أذكر حديث رسول الله ﷺ، عن نساء اجتمعن فذكرن صفات أزواجهن، متخذاً من هذا الحديث مثلاً لنفسية المرأة، وكيفية حكمها على الزوج ووزنها لحاله، وتقديرها لمحبته ومودته، ونستطيع أن نأخذ من وصف المرأة الحادية عشر، كيف تندم المرأة على زوجها الأول، وتود لو ترجع إليه، مع اهتمام زوجها الثانى بها ومحاولته إرضائها، مستدلين على أن العشرة الزوجية مدارها الحب والانسجام الروحى، قال صلوات الله وسلامه عليه: «جلس إحدى عشرة امرأة[1] فتعاهدنَ وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً: قالت الأولى زوجى لحم جمل غَث على رأس جبل، لا سهل فَيُرْتَقَى، ولا سمين

(١) كلهن من اليمن ولم يثبت إسلامهن.

فَيُنْتَقَلُ (١) . قالت الثانية : زوجي لا أَبُثُّ خبرهُ ، إنى أخاف ألا أَذَرَهُ ، إن أذكره أذكر عُجَرَهُ وَبُجَرَهُ (٢) . قالت الثالثة : زوجي العَشَنَّقُ ، إن أَنْطِقْ أُطَلَّقْ ، وإن أسكت أُعَلَّقْ (٣) . قالت الرابعة : زوجي كَلَيْلِ تِهامَةَ ، لَا حَرٌّ ، ولَا قُرٌّ ، ولا مخافة ، ولا سآمة (٤) . قالت الخامسة : زوجي إن دَخلَ فَهِدَ ، وإن خرج أَسِدَ ، ولا يُسْأَلُ عما عَهِدَ (٥) . قالت السادسة : زوجي إن أكل لَفَّ ، وإن شرب اشْتَفَّ ، وإن اضطجع التَفَّ ، ولا يولج الكفَّ ليعلم البَثَّ (٦) . قالت السابعة : زوجي غَيَاياء ، أو عَيَاياء ، طَبَاقَاءُ ، كل داءٍ لَهُ داءٌ ، شَجَّكِ أو فَلكِ ، أو جمع كُلاً لَكِ (٧) . قالت الثامنة : زوجي المسُّ مَسُّ أرنب والرِّيح ريح زَرْنَب (٨) . قالت التاسعة : زوجي رفيع العماد ، طويل النجاد ، عظيم الرَّماد ، قريب البيت من الناد (٩) . قالت العاشرة : زوجي مَالِكٌ ، وما مالِكٌ ، مالِكٌ خير من ذلك ، له إبل كثيرات المبارك ، قليلات المسارح ، وإذا سمعن صوت المِزْهَرِ أيقن أنهن هوالك (١٠) . قالت الحادية عشرة : زوجي أبو زرع ، فما أبو زرع !! أناسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنِيَّ ، وَمَلأَ

---

(١) وصفته بقلة الخير والتكبر ، وصعوبة الامتزاج معه ، وأنه ليس فيه منفعة .

(٢) وصفته بأنه ذو عيوب كثيرة باطنة وظاهرة ، ولا تستطيع حصرها ، وتخاف إن ذكرتها أن تشعلز .

(٣) وصفته بأنه طويل بلا طائل ، أحمق سَيِّئ الخلق ، وتخاف أن يبلغه ما تقوله عنه أن يطلقها ، وإن سكتت تصبح معلقة ، لا متزوجة ولا عازبة .

(٤) وصفته باللين وأنه وسط في الأزواج ، وأنه حسن المعاشرة .

(٥) وصفته بأنه شجاع مهاب في قومه ، ولكنه في البيت لين العريكة كالفهد حين ينام ، ولكنه مبادر إلى الجماع إذا دخل وثب عليها كالفهد .

(٦) وصفته بالنهمة في الأكل والشرب مع كثرة نومه منفرداً بمضجعه عنها ، يولج كفه داخل ثيابها ليعلم ما تضمر من محبتها له ، وحزنها من مفارقته .

(٧) وصفته بالظل المتكاثف المظلم ، المطبقة عليه الأمور حمقا ، وأن جميع أدواء الناس مجتمعة فيه ، وأنه يضربها ، فهي ما بين جرح في رأسها وكسر عضو من أعضائها .

(٨) وصفته بالنظافة ونعومة الملمس كناية عن الرفاهية ، وأنه طيب الرائحة ، رقيق الحس ، حسن الأخلاق .

(٩) وصفته بالشجاعة والجاه وكرم الضيافة والسؤال .

(١٠) وصفته بالغنى والكرم حتى إذا دخل عنده الضيفان أتاهم بالعيدان والمعازف وآلات الطرب ، فإذا سمعت الإبل ذلك ، علمن يقيناً أنه جاء الضيفان ، وأنهن منحورات هوالك .

من شَحْمٍ عَضُدَيَّ، وبَجَّحَنى فَبَجَحَتْ إلىَّ نفسى، وجدنى فى أهل غُنَيْمَةٍ بشق، فجعلنى فى أهل صَهِيلٍ وَأَطِيطٍ، ودائسٍ ومُنَقٍّ، فعنده أقول ولا أُقَبَّحُ، وأرقد فأتصبح وأشرب فأتقنح.. قالت: خرج أبو زرع والأوطاب تُمْخَضُ، فلقى امرأة معها وَلَدَانِ لها كالْفَهْدَينِ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين، فطلقنى ونكحها، فنكحت بعده رجلاً سريا، ركب شريًّا، وأخذ خِطِّيًّا، وأراح علىَّ نَعماً ثَرِيًّا، وأعطانى من كل رائحة زوجا وقال: كلى أمَّ زرع، وميرى أهلك!! قالت: فلو جمعتُ كل شىء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع[1]»[2].

* * *

(١) وصفته بكثرة إكرامه لها، وتوسعه عليها، وحبه لها، وأن زوجها الثانى على سعة كرمه لا يعادل جزءًا من حال زوجها الأول.

(٢) الحديث رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن عبدالله بن عروة عن عروة عن عائشة رضى الله عنها. وانظر الفتح (٩/٢٥٤).

المبحث السابع

تحسين النسل

قال تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ﴾ (١) وقال صلوات الله وسلامه عليه : « الدنيا متاعٌ ، وخيرُ متاع الدنيا المرأةُ الصَّالحة » (٢) وبذلك نص الدين على وجوب انتخاب المرأة الصالحة ، التى تعد مكملة للرجل الصالح من جميع الوجوه ، قال تعالى : ﴿ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ ﴾ (٣) ولقد ظهرت فى المباحث السابقة حقيقة المرأة المسلمة والرجل المسلم ، اللذين شاء الإسلام أن تكون منهما العائلة الصالحة ، التى تعد نواة صالحة فى المجتمع الإنسانى الصالح ، ونريد هنا أن نبين ما أشرنا إليه من قبل ، من القواعد التى وضعها الإسلام لتحسين النسل ، وسنرى كيف دعا الإسلام الرجل أن ينشد فى زوجته الجمال النسوى ، وأن يطلبها من البيئة الطيبة التى تضمن خلوها من شتى الوراثات السيئة ، ولقد امتدح الله من ينشد الزواج الصالح ، والنسل الصالح ، والعمل الصالح ، فقال : ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ﴾ (٤) .

الجمـــالُ

قال رسول الله ﷺ : « إن الله جميلٌ يحبُّ الجمالَ » (٥) والجمال إما أن

---

(١) سورة النور الآية : ٣٢ .

(٢) أخرجه مسلم (الرضاع ١٧) ، وشرح السنة (٩/١١) ، وانظر الكنز (٤٤٤٥١) ، والمشكاة (٣٠٨٣) .

(٣) سورة النساء الآية : ٣٤ . (٤) سورة الفرقان الآية : ٧٤ .

(٥) أخرجه مسلم (الإيمان ١٤٧) ، وأحمد (٤/١٣٣، ١٣٤) ، والحاكم (١/٢٦) ، والطبرانى (٨/ ٢٤٠، ٢٩٣) ، وشرح السنة (١٣/١٦٥) ، وانظر الصحيحة (١/٢١١) .

يكون عضوياً ، أو معنوياً ، فالأول : صفة تزين صاحبها وتسر ناظرها ، وإما أن يكون ذاتياً ، أو نسبياً ، فالجمال الذاتى كجمال الوردة مثلاً ، لا يستطيع ذو ذوق سليم أن يقول بقبحها ، وكذلك جمال السماء وزينتها ، يقول الله تعالى : ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴾ [1] وضرب الله مثلاً فى القرآن الكريم عن الجمال الذى يوجد في ذات الجسم ، جمال يوسف ، فقال تعالى : ﴿ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ [2] .

وأما الجمال العضوى النسبى فيرجع الحكم فيه إلى شعور المرء وذوقه وهنالك من الأشياء ما يستحسن منظره فرد ما ، ويستقبحه الآخر ، والشاعر يقول : (وللناس فيما يعشقون مذاهب) ، وقد تختلف الناس ، وكل شعب من الشعوب ، فى تقدير جمال المرأة ، أو الرجل ، ولكن هنالك صفات خاصة ومقاييس للجمال لا يختلف فيها أصحاب الأذواق السليمة ، والنظر الصحيح ، وفى هذا يقول الشاعر :

صاحبُ الحسن والجمالِ بحقّ من تميلُ القلوبُ طراً[3] إليه

فصاحبة الحسن تمتاز بصباحة الوجه ، ووضاءة[4] البشرة ، وجمال الأنف وحسن الوجه ، وحلاوة العينين ، وملاحة الفم ، وظرف اللسان ، ورشاقة القد ، ولباقة الشمائل ، وبراعة الجيد[5] ، ورقة الخصر[6] ، إلى غير ذلك من صفات الجمال .

وأما الجمال المعنوى : فهو الذى يكسب الجمال العضوى رونقاً وبهاء ، وقد أشرنا إلى ذلك عند الكلام عن الخطبة فى المبحث الخامس .

---

(١) سورة الصافات الآية : ٦ .
(٢) سورة يوسف الآيتان : ٣٠ ، ٣١ .
(٣) **الطر** : الطرف والجانب .
(٤) **وضاءة** : جمال وبريق .
(٥) **الجيد** : العنق .
(٦) **الخصر** : ما بين رأس الورك وأسفل الأضلاع .

(أ) وضاءة البشرة وجمال لونها :

كل لون في ذاته جميل، والله تعالى يقول: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ[1] بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ[2] سُودٌ ۞ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ ... ﴾[3] .

ويختلف الناس في تقدير اللون بحسب أجناسهم وألوانهم، فالمصرى يراه في السمرة، والتركى في البياض، والسودانى في السواد، واليابانى في الاصفرار، والإنجليزى في الاحمرار وهكذا .

ولكن مما لا شك فيه أن جمال لون الرجل في سمرته، فالسمرة تطوى تحتها معانى الرجولة والقوة التى تقدرها المرأة السليمة الذوق، الصحيحة التقدير، والبياض يكسب الرجل معنى من معانى الأنوثة والنعومة، وعلى كل حال يختلف تقدير الأفراد للون باختلاف التأثر بشتى العوامل: كالوراثة والبيئة والجنس .

وجمال اللون في المرأة بياض بشرة جلدها ووضاءتها، وخاصة إذا كان البياض مشرباً بالحمرة. ويجب أن نذكر هنا أن البياض وحده ليس هو الجمال، فالمومس والشريرة بياضها لا يغنيها فتيلا، فلا بد أن يكسب الجمال العضوى جمال معنوى، ولذلك يقول تعالى مادحاً بياض اللون في الفتيات القاصرات أنفسهن على أزواجهن المكنون حسنهن، المصان عن الفحش جمالهن: ﴿ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ ۞ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾[4] وقوله: ﴿ وَحُورٌ عِينٌ ۞ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴾[5] وقال تعالى في شوب هذا البياض بالحمرة: ﴿ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ ﴾[6] .

---

(١) جدد : جزء الشيء يخالف نوعه .
(٢) غرابيب : شديد السواد .
(٣) سورة فاطر الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ .
(٤) سورة الصافات الآيتان : ٤٨ ، ٤٩ .
(٥) سورة الواقعة الآيتان : ٢٢ ، ٢٣ .
(٦) سورة الرحمن الآية : ٥٨ .

وليس تفضيل البياض فى المرأة معناه قبح الألوان الأخرى، فقد يمتدح الرجل المرأة السوداء فيقول:

أشْبهكِ المِسْك وأشبهته قَائمة فى لَوْنه قَاعِدة
لا شَكَّ إذ لَوْنكما واحد أنَّكُما من طِينةٍ واحِدَة

وكقول بشارة فى جارية له سوداء:

وغـادَة سـوداء بَـرّاقـة كالماءِ فى طيبٍ وفى لينِ
كأنَّها صِيغتْ لِمَن نالها من عَنْبرٍ بالمسكِ مَعْجون

(ب) صباحة الوجه وملاحته:

قال رسول الله ﷺ: «خيرُ النساءِ أحسنهنَّ وجُوها»[1]، وقال صلوات الله وسلامه عليه: «إن أعظمَ النّسَاء بركة أصبحهنَّ وجُوها»[2]، ولا شك أن جمال وجه المرأة يبعث السرور فى نفس الزوج، ويعفه عن الحرام، كما أن الرجل تزينه سماحة الوجه، وبروز معانى الرجولة فيه، كما يشينه تشوهه، كجحوظ[3] العينين الذى يصفه ابن الرومى فى قوله:

نُبِّئتُ جحظة يستعيرُ جحوظه من فِيل شَطرنج ومن سَرطان

قال الجاحظ: ما أخجلنى قط إلا امرأة مرت بى إلى صائغ، وقالت له: اعمل مثل هذا!! فبقيت مبهوتاً، ثم سألت الصائغ، فقال: هذه المرأة أرادت أن أعمل لها صورة شيطان، فقلت: لا أعرف كيف أصوره!! فأتت بك إليّ لأصوره على صورتك.

ومثله عظيم الأنف الذى يقول له ابن الرومى:

لـو كـان أنفُـك هـكـذا فـالـفيـلُ عِـنـدك أفـطسُ

---

(١) المغنى عن حمل الأسفار (٤١/٢)، والاتحافات (٣٤٥/٥) وبقية الحديث (وأرخصهن مهورا).

(٢) انظر كشف الخفاء (٤٦٥/١، ٤٦٦)، والمغنى عن حمل الأسفار (٤١/٢)، والاتحافات (٣٤٥/٥).

(٣) جحوظ: بروز.

وأظن المرأة لا تستحسن أصلع :

فوجهُهُ يأخذُ من رأسهِ   أخذ نهار الصيف من ليله

أو صاحب الملامح الكئيبة الذى يصفه أحدهم بقوله :

وإذا أشارَ محدثاً فكأنه   قِرِدٌ يقهقِهُ أو عجوزٌ تلطمُ

ولا شك أن صباحة الوجه وملاحته لا تتحقق إلا بظهور علامات الخلق السامى منعكسة عليه ، ولقد ذكرنا عند الكلام عن الخطوبة أن للصفات الخلقية والنفسية الأثر الكبير فى تكوين جمال المرء ، وهب امرأ جميل الصورة أصيب بالبله ، ألا تكسب هذه الصفة ذلك الوجه منظراً يجعل بينه وبين الجمال كما بين السماء والأرض ، والشاعر يقول :

وهلْ ينفعُ الفتيان حسنُ وجُوهِهم   إذا كانتْ الأخلاقُ غير حسان

ويذكرنى الجمال المعنوى للوجه ، بالإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، أراد أن يتزوج فكان هنالك أختان : إحداهما عوراء ، والأخرى جميلة الوجه ، فسأل : من أعقلهما ؟ فقيل : العوراء ، فقال : زوجونى إياها مفضلاً كمال العقل والنفس على جمال الصورة مع قبح المعنى ، ولذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه : « إنّكم لا تَسعون الناسَ بأموالكم ، ولكن يسعهمْ منكم بسطُ الوجهِ ، وحسنُ الخلقِ »(١) ، ويقول عليه الصلاة والسلام فى مثل ذلك : « إن شرّ الناس ذُو الوجهين ، يأتِى هؤلاء بوجهٍ وهؤلاء بوجهٍ »(٢) والله تعالى يقول : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٣) .

وما تكلمنا عن صباحة الوجه وملاحته ، إلا لأن صورته تنبئ عن روح صاحبها عند صادق الفراسة ، فمن العلامات البدنية المميزة للمجرمين ، قصر

(١) أخرجه الحاكم (١/١٢٤) ، والحلية (١٠/٢٥) ، وكشف الخفاء (١/٢٥٢) ، والضعيفة (٦٣٤) .

(٢) أخرجه البخارى (٩/٨٩) ، ومسلم البر (٩٩) ، وأحمد (٢/٣٠٧)، وابن عساكر (٧/٥١) .

(٣) سورة يونس الآية : ٢٦ .

القامة مع صغر الجمجمة ، وضيق الجبهة ، ونتوء عظام الخدين ، ودقة الشفتين ، وغور العينين ، وفرطحة الأذنين ، وكبر الفك الأسفل ، ولذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه : « إذا ابتغيتُمْ المعروفَ فاطلبُوه من حسانِ الوجُوه »[1] .

(ج) جمال القوام :

سئل رسول الله ﷺ : أى النساء خير ؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه : « التى تسره إذا نظر »[2] . ومما يسر الناظر من قوام المرأة أن تكون هناك نسبة معقولة بين طولها وعرض أكتافها ، وأن تكون هذه النسبة أقل من نسبتها عند الرجل ، وأن تكون المسافة بين كتفيها أقل نسبياً من المسافة بين أعلا نقطتين فوق فخذيها ، ويعنى هذا اتساع الحوض مع كفاية سعة الصدر ، وأن تكون عظمتا الفخذين مغطيتين تغطية كافية بالعضلات ، بحيث إذا وقفت لا يرى فراغاً بين فخذيها الممتلئتين وأن يقل الامتلاء نسبياً حتى أسفل الساقين .

وجمال بطن المرأة عدم بروزها فى نصفها الأعلا ، إلى غير ذلك مما لا يجعل قوامها نابياً بعيداً عن التناسق العضوى ، وحسن التكوين ، وتآلف أجزاء الجسم .

والمرأة الطويلة يفقدها طولها أنوثتها ، والقصر لا يعيب المرأة إلا إذا كان زائداً عن الحد ، ويجب ألا يكون عجزها بارزاً أكثر من المألوف ، كالتى يصفها الشاعر بقوله :

وقيامُها مثنى إذا نهضتْ ... من ثقله وقعودها فَرد

والقوام الجميل هو متوسط بين الطول والقصر ، وهذا ما يكسب القد رشاقة ، والشمائل لباقة ، والجيد براعة ، والخصر رقة ، ويعجبنى قول صاحب بانت سعاد :

هَيفاء[3] مقبلةٌ عجزاء[4] مدبرة ... لا يشْتكى قصرٌ منها ولا طول

(١) انظر الميزان (٩٨٣٤) ، وابن عدى (٢٧٤٢/٧) ، والكنز (١٦٧٩٤) .
(٢) تقدم تخريجه .
(٣) هيفاء : طويلة . (٤) عجزاء : عجوز .

ومن الدين ألا يتزوج الرجل الطويلة الهزيلة، أو القصيرة السمينة سمناً مفرطاً، بل الأجمل أن تكون:

فوق القَصِيرة والطُّويلة فوقها   دُون السَّمين ودونها المهزول

وهى التى تعف المرء كما نص على ذلك الإسلام، والجمال على كل حال، ومنه جمال القوام، أمر نسبى فقد يحب المرء السمينة فيمتدحها قائلاً: (تمشى الهوينا كما يمشى الوجى [1] الوحل) ويقول الآخر:

لا أعشقُ الأبيضَ المنفوخَ من سمن   لكنني أعشقُ السُّمر المهازيلا

إنى امرؤا أركبُ المهر المضمر [2] فى   يوم السباق وغيرى يركب الفيلا

والآخر يحب القصيرة فيقول:

يقولُ لى الواشون ليلى قصيرةٌ   فليتَ ذراعا عَرض ليلى وطُولها

والرجل يستقبح فيه الطول الزائد، قال الشاعر:

فللقدّ منه طول نَهر معوج   وللأنف منه نفخة البُوق فى الكفر

وفى القصير يقول ابن الرومى:

على أنه جعدُ البنان دحيدح [3]   إذا ما مشىَ مستعجلا قيل: يدرج

وعلى كل حال فالقوام لا يعيب ما دام المرء متحليا بكريم الطباع والأخلاق، وإنما العيب فيمن له عود شكله فى الظاهر جميل، وهو يحوى الخبث والكذب والنفاق والجبن، تأمل قوله تعالى: ﴿ **وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ** ﴾ [4] .

وفى مثل هذا يقول الشاعر:

طولٌ وعرضٌ بلا عقلٍ ولا أدبٍ   فليسَ يحسن إلا وهو مصلوب

---

(١) الوجى: دقيق القدمين.
(٢) الضامر: قليل اللحم.
(٣) دحيدح: القصير غليظ البطن.
(٤) سورة المنافقون الآية: ٤ .

تأمل قوله تعالى يصف جمال المسلمين إسلاماً حقيقياً، فترى جمال صورة نفوسهم في وجوههم، وتجد كريم أخلاقهم في جمال قوامهم، وصلابتهم في الحق في صلابة عودهم: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وأَجْرًا عَظِيماً﴾[1] .

(د) ظُرف اللسان :

ولظرف اللسان ولنبرات المرء في كلامه، وحديثه أثر بالغ في جماله، ولقد رأينا في المبحث الأول الفرق بين حنجرة الرجل والمرأة، والفرق بين صوتهما الموسيقى، فلا تعد المرأة جميلة إذا كان صوتها خشناً، كالذى يقول فيه الشاعر:

صوتُها بالقلوبِ غير رقيقٍ ... بل له في القلوبِ عُنف وبَطْش
فإذا رقَّقَتْهُ بالجهد منها ... خلت في حلقومها شعيراً يُجش

وكذلك من زينة الرجل ألا يكون صوته نسوياً ناعماً، وكذلك ألا يكون أجش غليظاً، كالذى لو تسمعه.

لَخلت في دَاخل حُلقومه ... موشوساً يخنِق مَختوهاً

وأن يكون خالياً من التمتمة، والتأتأة[2]، والخنخنة[3]، والفأفأة[4]، واللجلجة[5]، والمقمقة[6]، واللقلقة[7]، والهتهتة، والهثهثة[8]، والتعتعة

(١) سورة الفتح الآية : ٢٩ .
(٢) ترديد التاء .
(٣) يتكلم من لدن أنفه .
(٤) يتردد في الفاء .
(٥) عي وإدخال بعض الكلام في بعضه .
(٦) أن يتكلم من أقصى حلقه .
(٧) ثقل اللسان .
(٨) التواء اللسان عند الكلام .

والعثعثة [1] ، واللفف [2] ، والرتة [3] ، واللكنة والحكلة [4] ، واللثغة [5] ، وغيرها .

ويقول صلوات الله وسلامه عليه : « إن الله تعالى يبغضُ الثرثارين المتشدقينَ » [6] ، ويقول عليه الصلاة والسلام : « إن الله يبغضُ البليغَ من الرجالِ الذى يتخلَّلُ بلسانِهِ تخلل الباقرة بلسانها » [7] .

وقد ذم الله الصوت القبيح فى قوله : ﴿ واغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمير ﴾ [8] ومدح رسول الله ﷺ الصوت الجميل ، فقال عن صوت أبى موسى الأشعرى : « لقد أُعْطى مِزْماراً من مزامير آل داود » [9] ، وكلنا يعلم كيف كان صلوات الله وسلامه عليه يأمر بلالاً بالأذان لجمال صوته وحسنه ، ويقول الله تعالى : ﴿ وَرَتِّلِ الْقُرآنَ تَرْتِيلاً ﴾ [10] ، وهنالك أحاديث كثيرة مأثورة عن الصحابة رضى الله عنهم فى مدح قارئ القرآن بصوت جميل .

وصوت المرأة إذا كان نسوياً رقيقاً ، فإنه يملأ الأسماع ، وفى مثل هذا يقول كثير عزة :

من الخفراتِ البيض ودّ جليسُها إذا ما انقضتْ أُحدُوثة لو تعيدها

وبدهى أن الصوت لا يتم جماله إلا إذا كان اللسان عفاً ، لا ينطق الكذب ، ولا يجرى على طرفه الزور والبهتان .

---

(١) صوت العى والألكن .
(٢) أن يكون فى اللسان ثقل وانعقاد .
(٣) حبسة فى لسان الرجل وعجلة فى كلامه .
(٤) عقدة فى اللسان وعقدة فى الكلام .
(٥) أن يصير الراء لاماً فى كلامه .
(٦) انظر الاتحافات (٣٤١/٥) .
(٧) أخرجه الترمذى (٢٨٥٣) ، وأبو داود (٥٠٠٥) ، وأحمد (١٦٥/٢) ، والمغنى عن حمل الأسفار (٣٩/٢) ، والصحيحة (٨٨٠) .
(٨) سورة لقمان الآية : ١٩ .
(٩) أخرجه أحمد (٣٤٥/٢) ، والبيهقى (٢٣٠/١٠) ، والحاكم (٢٨٢/٤) .
(١٠) سورة المزمل الآية : ٤ .

(هـ) طِيبُ الرائحة :

ومن الجمال ألا يكون أحد الجنسين مصاباً بالعرق ذى الرائحة الكريهة المنتنة، التى تشبه رائحة الجبن العفن، فإن هذا عيب يصحبه احمرار خفيف بالجلد من كثرة العرق، والبعض تكون رائحة عرقه كالخل، ويزيد الطين بلَّة أن يصحب هذا تلون العرق باللون الأسمر أو الأزرق أو البنفسجى، الذى يغلب ظهوره بالإبطين والثديين والجفون وأعضاء التناسل، مصحوباً بإفرازات دهنية .

ولا يغيب عن البال أن انقطاع العرق كذلك مشين بالبدن، لأنه يسلب الجلد النعومة اللازمة، ويجعله ناشفاً خشناً، وبمناسبة رائحة العرق أذكر قول رسول الله ﷺ لأم سليم حين بعثها إلى امرأة تخطبها : « انظرى إلى عَرْقُوبها، وشمّى معاطفها » [1] والمعاطف ناحيتا العنق، وذلك لاختبار رائحة العرق .

الدينُ والعقلُ والأخلاقُ

قال رسول الله ﷺ : « اللهم كما أحسنتَ خَلْقى فأحسن خُلُقى » [2]، وهكذا يجب اجتماع المظهر والمخبر، وائتلاف جمال الشكل مع جمال الأخلاق والطبع ورجاحة الرأى والعقل، ولذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه : « تُنكح المرأة لأربع : لمالها، ولحسَبها، ولجمالها، ولدينها، فاظفرْ بذاتِ الدين، تربتْ يداك !! » [3]، تأمل قوله ﷺ : « من نَكح المرأة لمالها وجمالها حُرم جَمالها ومالها، ومن نكحها لدينها، رزقه الله مالها وجمالها » [4]، وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تُنْكح المرأة لجمالِها فلعلَّ جمالها يُرْدِيها، ولا لمالها فلعلّ مالها يطغيها، وانكح المرأة لدينها » [5] .

---

(١) تقدم تخريجه .

(٢) أخرجه أحمد (١/٤٠٣ ، ٦/٦٨، ١٥٥) ، والمغنى (٢/٣٥٢) ، والاتحافات (٧/٩١) .

(٣) ، (٤) ، (٥) تقدم تخريجه .

وكذلك الرجل يجب ألا يُطْلب لماله وحسبه، ولكن يجب أن يُزَوَّج لدينه وأخلاقه وعقله، قال رسول الله ﷺ: «من زوَّج كريمته من فاسقٍ فقد قطعَ رحمها»[(1)]، وقال صلوات الله وسلامه عليه: «النكاحُ رقّ، فلينظر أحدُكم أين يضعُ كريمته»[(2)]، وقال ﷺ: «المؤمن غِرٌّ كريم، والفاجر خِبٌّ لئيم»[(3)].

وقد بينا في المبحث الثالث كيف أعد الإسلام الرجل والمرأة بسائر الإعدادات العقلية والنفسية والأخلاقية، وبينا في المبحث الثاني معنى الشذوذ العقلي والروحي والخلقي، والشذوذ النفسي الجنسي الذي يورث للنسل.

الصحة

ولا يكون الجمال كاملاً إلا بالصحة البدنية، فصحيح الجسم تكسبه هذه الصحة جمالاً ورونقاً وملاحة، وأما العليل المريض فجماله ناقص، ومن الأمراض ما يشوه الجسم، ومنها ما يضعفه ويجعله غير قادر على الواجبات الزوجية، عاجزاً عن النجاح والتغلب على عاديات الدهر، ومن الأمراض أمراض عصبية، وأخرى نفسية أخلاقية، ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «أربعٌ لا يَجُزْنَ في بيعٍ ولا نكاحٍ: المجنونة، والمجذومة، والبرصاء، والعفلاء»[(4)].

فمن الأمراض المشوهة للبدن: الجدري، والجذام الطلياني، والصدفية، وداء الفيل، وضمور الشفرين، والمنشار، والدبلة، والنمش، والكلف، والبهق، والأثر والأثيرة، والورم الليفي، والورم الشحمي، والالتهاب الغلياني الخبيث لحلمة الثدي، وورم الأنف الصلب، وسل الجلد بأنواعه،

---

(1)، (2) تقدم تخريجه.

(3) أخرجه ابن عدى (٤٤٥/٢)، والحاكم (٤٣/١)، وأبو داود (٤٧٩٠)، والترمذى (١٩٦٤)، والبيهقى (١٩٥/١٠).

(4) أخرجه البيهقى (٢٧٤/٩)، وأحمد (٢٨٩/٤)، والنسائى (٢١٤/٧).

والشعر الشاهب ، وداء الثعلب ، والصلع الأثرى ، وغيرها مما يمكن الرجوع إليه فى الكتب الخاصة لمعرفة مقدار تشويهها لشكل المصاب بها .

وأذكر بمناسبة ذلك ما روى عن العالية ، تزوجها النبى ﷺ ، فلما دخلت عليه ، ووضعت ثيابها ، رأى بكشحها [١] بياضاً ، فقال لها صلوات الله وسلامه عليه : « البَسِى ثيابكِ والحقى بأهلكِ » [٢] .

ومن التشوهات التى تعوق الزواج فقد بعض أعضاء التناسل كالرحم ، وتشوهات الأعضاء التناسلية كازدواج المسالك التناسلية ، والخنوثة وشذوذ الفتحات التناسلية أو انسدادها ، أو حالة أثرية فى الأعضاء التناسلية وغيرها .

ومن الأمراض المضعفة للجسم التى أرى أنها قد تحول دون الزواج السل ، والزلال ، والنقرس ، والروماتزم ، ومضاعفات السكر ، وبعض أمراض القلب والكبد والكليتين ، والزهرى ، والسيلان الصديدى .

وأما الأمراض الخلقية والنفسية فسيأتى ذكرها عند الكلام عن الوراثة والبيئة .

الخلو من الآفات الوراثية

قال رسول الله ﷺ : « تخيّروا لنُطَفِكم فإن العرقَ دساسٌ » [٣] ، وقال عليه الصلاة والسلام : « تزوجوا فى الحجرِ الصّالح فإن العرقَ دساسٌ » [٤] ، وقال صلوات الله وسلامه عليه : « انظر فى أى نصابٍ تضع ولدك ، فإن العرقَ دساسٌ » [٥] .

وهكذا حثنا الدين على اختيار الزوجة الخالية من الآفات الوراثية ،

---

(١) الكشح : الإلية .
(٢) أخرجه الحاكم (٣٤/٤) ، والعلل (١٢٧٤) .
(٣) تقدم تخريجه .
(٤) أخرجه ابن عدى (١٧٦٤/٥) ، وكشف الخفاء (٣٦١/١) ، والضعيفة (٧٣١) .
(٥) انظر المغنى عن حمل الأسفار (٤٣/٢) ، والاتحافات (٣٤٨/٥) ، والعلل المتناهية (١٢٣/٢)

السليمة من العلل المختلفة التى تصيب الذرية ، وتقضى على النسل ، سواء كانت هذه الأمراض جسمية ، أو نفسية خلقية .

(أ) العللُ والأمراضُ البدنية الوراثية :

ومن العلل التى تلعب فيها الوراثة دوراً كبيراً ، وتعيب الوجه ، وتجب ملاحظتها قبل الزواج ، الشقرة ، والصلع الوراثى ، والشَّعر ، والشعر السبحى ، وشق الشفة السفلى ، وشق سقف الحلق ، وغياب بعض الأسنان ، أو نقص فى غطائها ، أو مرض المياه البيضاء التى يمتاز بعدم شفافية عدسة العين ، ومرض زيادة ضغط دم سائل العين ، ويسمى بالمياه الزرقاء ، ومرض العمى الليلى ، أصيبت ذرية أبى العيناء جميعاً بالعمى وراثة عنه حتى قيل : إنه من كان أعمى منهم فإنه صحيح النسب .

وكان الرجل من بنى عوف إذا أسن عمى ، وقل من كان ينجو من ذلك ، وهو ما دعا أرطأة بن شهيبة يقول هاجياً سبيب بن البرصاء :

فلو كنتُ عَوْفياً عميتُ وأسهلت   كذاك ولكن المريبَ مريبُ

وهنالك تشوهات أخرى وراثية تصيب سائر البدن ، كتعدد أصابع اليد أو نقصها ، أو التصاق الأصابع ، أو اليد المشقوقة ، وقصر الأصابع وهو عدم نمو العقلة الوسطى من أصابع اليد بحالة طبيعية ، ويصحب ذلك عدم نمو العظام الطويلة للأرجل ، فيظهر الفرد كأنه قصير ، وضمور الأظافر وضخامتها ، واعوجاج القدم ، وضيق الحوض ، والوحم البقعى ، والسميكة ، والجسأة المتماثلة ، وداء فوردس ، والسمن المفرط ، وغيرها .

ومن الأمراض ما للوراثة بعض الدخل فيها ، كالسرطان ، وتبلغ نسبة الوراثة فيه ٢٥٪ ، وكذلك التسمم الكحولى ، والزهرى الوراثى ، وقد شرحنا المرضين الأخيرين شرحاً وافياً فى مؤلفنا الإسلام والطب .

ومن الأمراض ما يحدث فى النسل استعداداً للإصابة به ، كالسل ،

والنقرس، والسكر، والروماتزم، والزلال، وبعض أمراض القلب والكبد والكليتين، والحصوات الرملية والصفراوية وغيرها، وقد لا تورث هذه العلل بذاتها، ولكن يصاب العضو وحده، فتجد مثلاً فى أهل المصابين بالحصوات الصفراوية أو الرملية أو السكر أو السمن المفرط، هذا مصاب بالحدار، وذلك بالربو، والآخر بالأكزيما، وغيره بالصداع أو النقرس.

والسل الرئوى ينقل إلى الذرية عللاً خطرة تنشأ عن فساد التغذية، كالضعف العام، ومرض الطفولة، والأنوثة وغيرها.

ومن الآفات الموروثة كذلك: البخر الوراثى، وهو كره رائحة الفم، وكان عمرو بن عمر بن عدس من بنى دارم مصاباً بالبخر الوراثى، حتى يقال لولده: (أفواه الكلاب !!) وهذا المرض يذكرنى بقول أحدهم يهجو أبخر:

رَمَى إسحقُ إلى قطةٍ   بلقمةٍ من فمهِ الأبخر
فبادرَ القطُ إلى رميها   يحسبُها من بعضِ ما قد خرى

وقالت امرأة لزوجها وكان أبخر:

يا حبّ والرحمن إنْ فاكا   أعدَمنى فولنى قَفاكا
إذا غدوتَ فاتخذ سواكا   من عرقط إنْ لم تجدْ أراكا
إنّى أراك ماضغاً خَراكا

ولذلك كان رسول الله ﷺ يأمر أن تختبر رائحة الفم قبل الزواج، وتجد هذا فى قوله صلوات الله وسلامه عليه لأم سليم حين ذهبت تخطب امرأة: «شمى عوارضَها»[1] وهى الأسنان التى فى عرض الفم بين الثنايا والأضراس، والمراد اختبار رائحة النكهة، وقد ذكرنا ذلك عند الكلام عن الخطوبة.

(١) تقدم تخريجه.

وتكاد تكون معظم الأمراض العصبية عللاً وراثية، كالانجذاب، والهذيان الجنوني الذى يتشكل بأشكال مختلفة: كالماليخوليا، والجنون الاضطهادى، وجنون العظمة وغيرها، ومما يورث كذلك: الصرع، إذ تزيد نسبة الوراثة فيه عن النصف، ولوحظ أن ثلث المصابين بالهستريا إصابتهم وراثية.

ومن الأمراض العصبية الوراثية التى يجب عدم زواج المصابين بها: الكوريا واختلاج الحركة، والضمور العضلى التدريجى، والضخامة الكاذبة فى العضلات، وداء فردريك، والنوراستانيا، والتسمم الكحولى وغيرها، ولا أريد أن أذهب إلى أبعد من ذلك، فأشرح هذه الأمراض، وأبين خطرها على الزواج والنسل، فهذا ما يضيق عنه المقام، ولكنه يكفينى أن أقول إن الإسلام يدعو إلى تحسين النسل، والاحتراس من الوقوع فى الضرر، حتى لا يحصل المرء على ذرية غير صالحة، ويمكن الرجوع إلى كتب الطب لمعرفة مدى ما تفعله هذه الأمراض فى المصابين بها، ومقدار تأثيرها فى النسل.

ومما جاء فى وراثة الشكل الجسمانى قول عائشة: دخل عليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم مسروراً، فقال: «يا عائشةُ ألم تَرى أن محرزاً المدلجى دخل على وعندى أسامة بن زيد، فرأى أسامة بن زيد وزيداً، وعليهما قطيفةٌ، وقد غطيا رءوسهما وبدت أقدامهما، فقال: هذه أقدام بعضها من بعض ؟!» [1]، وشكا رجل إلى رسول الله ﷺ امرأته واتهمها بالزنا مع فرد سماه، شاكا فى حملها، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «أبصروها. فإن جاءتْ به أدعج العينينِ عظيمَ الأليتين، فلا أراه إلا قد صدق، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة فلا أراه إلا كاذباً» [2]، ومثله قوله ﷺ: «إن جاءتْ

---

(١) أخرجه البخارى (١٩٥/٨)، ومسلم (الرضاع ٣٨)، والنسائى (١٨٥/٦)، والحميدى (٢٣٩، ٢٤٠).

(٢) أخرجه أحمد (٣٣٤/٥).

به : أصيهب [١] أُريسح [٢] حمش [٣] الساقين فهو لهلال ، وإن جاءت به أورق [٤] جعداً جمالياً خدلج [٥] الساقين سابغ [٦] الأليتين فهو للذى رميت به » [٧] .

ومما جاء في وراثة الصفات عن الأجداد ما حكاه أبو هريرة قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ من بنى فزارة فقال : إن امرأتى جاءت بولد أسود ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « هل لك من إبل ؟ » قال : نعم ، فقال ﷺ : « ما ألوانها ؟ » قال : حمر ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « فهل فيها من أوْرق ؟ » قال : إن فيها لورقا ، فقال ﷺ : « فأنى تراه ؟ » قال : عسى أن يكون نزعة عرق ، فقال عليه الصلاة والسلام : « وهذا عسى أن يكون نَزْعة عرق » [٨] .

(ب) الأمراضُ النَّفْسية الوراثية :

قلنا في المبحث الثانى عند الكلام عن الشذوذ النفسى الخلقى ، إن الأخلاق السيئة والنزعات الخبيثة ، أمراض يعمل الإسلام على تخليص متبعيه منها ، ونذكر هنا أن هذه الأمراض تورث إلى النسل ، فإذا تزوج رجل من امرأة سيئة الخلق أو مريضة النفس ، نقلت إلى أولادها هذه العلل ، ولقد ذكرنا لك في المبحث الثانى ما يكفى في بيان مقدار خطر هذه الآفات ، ويذكرنى هذا بما قيل عن جعفر بن سليمان بن على أنه عاب على أولاده أنهم ليسوا كما يحب ، فأجابه أحدهم : إنك عمدت إلى فاسقات بلد كذا وكذا ، وإماء بلد كذا وكذا فأوعيت فيهن نطفك ثم تريد أن ينجبن ، وإنما نحن كأمهاتنا !! هلا فعلت ما فعل أبوك قبلا حين اختار لك عقيلة قومها

(١) أصيهب : الذى يعلو لونه صهبة . (٢) أريسح : لا عجز له .
(٣) حمش : دقيق . (٤) أورق : أسمر .
(٥) خدلج : عظيمهما . (٦) سابغ : قليل .
(٧) أحمد (٢٣٩/١) .
(٨) أخرجه البخارى (٦٨/٧) ، ومسلم (١١٣٧) ، وأبو داود (٢٢٦٠) ، والترمذى (٢١٢٨) ، والنسائى (١٧٨/٦) ، وابن ماجه (٢٠٠٢) .

فزوجها لك ؟! وقال أبو الأسود الدؤلى لبنيه : يا بنى !! قد أحسنت إليكم صغاراً وكباراً وقبل أن تولدوا ، قالوا : كيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ قال : اخترت لكم من الأمهات من لا تساؤون بها .

ومما أشار إليه الإسلام كذلك فى وراثة سوء الخلق والأمراض النفسية الجنسية ما رواه الله تعالى عن اليهود حين : ﴿قَالُوا يا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾ (١) .

ولقد ثبت كذلك علمياً توريث الخلق الإجرامى والنزعات النفسية الفاسدة ، كارتكاب جنايات القتل ، وكالانتحار (٢) ، حتى أنه شوهد أن الانتحار قد يحصل فى أفراد العائلة الواحدة ، فى سن واحدة ، بسلاح واحد ، بطريقة واحدة ، فى مكان واحد .

تأمل قوله تعالى فى توريث الخلق الإجرامى : ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً * إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ (٣) ولذلك نجد أهل السوء يعذبون بأولادهم لأنهم فى الغالب أهل سوء كذلك ، تأمل قوله تعالى : ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (٤) .

وجودُ البيئةِ الصالحةِ مع حسن الوراثة

قال تعالى : ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ (٥) وذلك أن البلد الطيب . وهى الأرض الكريمة

(١) سورة مريم الآيتان : ٢٧ ، ٢٨ .
(٢) قيل : أن الكثيرين من المجرمين مصابون بالانجذاب وما جرائمهم إلا ظاهرة . ميتامورفوز من هذه الأمراض التى ورثوها عن الأب والأم والأجداد .
(٣) سورة نوح الآيتان : ٢٦ ، ٢٧ .
(٤) سورة التوبة الآية : ٥٥ .
(٥) سورة الأعراف الآية : ٥٨ .

التربة، لها تأثير على ما بها من نبات خاصة، والكائنات الأخرى والإنسان عامة، فيخرج النبات وافياً حسناً ﴿ والذى خبث ﴾ صفة البلد، أى الأرض السبخة التى تنبت ما لا ينتفع به ومعناه البلد الخبيث لا يخرج نباته إلا (نكداً)، والنكد الذى لا خير فيه.

فالبيئة لها الأثر الكبير فى تكوين أهلها، ولذلك يدعو رسول الله ﷺ ألا يتزوج المرء الحسناء فى المنبت السوء، وهو قوله صلوات الله وسلامه عليه: «إياكم وخضراء الدّمن»، قيل: وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ فقال صلوات الله وسلامه عليه: «المرأة الحسناء فى المنبتِ السوء» (١).

فالإسلام كما رأينا يدعو إلى أن يختار المرء شريكة حياته خالية من العيوب الجسمية، والأمراض والوراثات السيئة، ولا يكتفى بذلك فقط، بل يشترط كذلك أن تكون المرأة فى بيئة طيبة، حتى تكون محتفظة بكمال أصلها وطيب عنصرها، وهذا يدل عليه قوله تعالى عن مريم: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ (٢)، أى أن الله تعالى أخرجها من ذرية طيبة، ووضعها فى بيئة طيبة، فكفلها زكريا، محافظة على أصلها الطاهر وعنصرها السامى الذى ورثته عن آل عمران، ويقول صلوات الله وسلامه عليه: «أربعُ خصالٍ من سعادة المرءِ: أن تكونَ زوجتهُ صالحةً، وأولاده أبراراً وخلطاؤه صالحين، ومعيشتهُ فى بلده» (٣).

وما دعا الإسلام إلى تحسين النسل إلا لتقوية الأمة الإسلامية، والعمل على بقاء الصالحين منها الذين يعملون لخير البشر، ويكافحون لسعادة الإنسانية ورقيها، قال تعالى: ﴿ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ ﴾ (٤).

---

(١) انظر كشف الخفاء (٣١٩/١)، والضعيفة (١٤)، والكنز (٤٤٥٨٧)، والأسرار المرفوعة (١٣٨).
(٢) سورة آل عمران الآية: ٣٧.
(٣) انظر جمع الجوامع (٢٨٧٥).
(٤) سورة الرعد الآية: ١٧.

المبحث الثامن

الزواج بين الأقارب

وسنبين فى هذا المبحث كيف تناول الإسلام مسألة الزواج بين الأقارب ، وكيف وضع الحد الأدنى لذلك الزواج ، موضحين الحكمة فى ذلك ، ثم ننتقل إلى رأى الإسلام فى نكاح أولاد الأعمام ، وأولاد الخالات ، ودعوته إلى الاغتراب فى الزواج ، ثم نذكر الأنكحة المحرمة بالرضاع ، والمقصود بما يحرم منه ، وحكمة هذا التحريم وحكمة تحريم نساء الآباء وحلائل الأبناء والجمع بين الأختين والمرأة على عمتها أو خالتها .

المحرمات بالنسب وعلة تحريمها

قال تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ ﴾[1] وهكذا وضع الدين الحد الأدنى لزواج الأقارب ، وذلك حتى لا يختل نظام الأسرة ، وتنحل روابطها ، وحتى لا يتعرض المجتمع للفساد ، وتدب العلل فى أوصال المجتمع الإنسانى ، وسأبين ههنا الأخطار العظيمة التى تترتب على هذا الاختلاط الشاذ ، والحكمة التى توخاها الإسلام فى هذا التحريم .

(أ) النفورُ الجنسى بين الأقارب :

بينا فى مبحث العلاقة الجنسية بين الزوجين ، حقيقة الصلة التى تربط بين القرينين ، ولكن اختلاط الأبناء مع الآباء والأمهات والأخوات ، وبنات الأخ والعمات وهكذا ، يضيع معنى الارتباط بالنكاح ، بل إنه لمن الحقائق العلمية الثابتة أن هنالك نفوراً جنسياً طبيعياً بين هذه الأصناف ، وإنك لا

(١) سورة النساء الآية : ٢٣ .

ترى العشق بين أفرادها ، إلا فى الأسر المريضة المنحطة ، وترجع أسباب هذا العشق إلى أمراض نفسية جنسية .

وإننا لنجد فى البله والمعتوهين والفاسدين ميلاً مرضياً قوياً إلى هذا الاتصال الشاذ ، ولطالما رأينا مدمنى الخمور يفسقون ببناتهم مع منافاة هذا العمل للدين والعرف والقانون ، ومع التسليم بتوفر سبل الزنا وعدم وقوف عقبات مادية تذكر فى سبيله ، مما يدل على أن هذا الفسق يرجع إلى ضعف خلقى ، ومرض نفسى خطير ، ويمكن الرجوع إلى المبحث الثانى لمراجعة مرض الفسق بالأقارب .

وإنه لمن الثابت أن فى خلق بعض الحيوانات نفوراً من مثل هذا الاتصال الشاذ ، والحمار إذا خيرته بين أمه وأتان بعيدة عنه فى النسب ، نزع إلى الغريبة مساقاً إلى ذلك بغريزة كامنة فيه ، وهى الغريزة الجنسية التى تخضع للناموس الطبيعى الذى تنساق إليه كافة المخلوقات .

ولا شك أن الإنسان والحيوان يشتركان فى شعور جنسى واحد وهو العاطفة الجنسية التى يثيرها الجديد ويخمدها القديم ، وهذا الشعور يزيد فى النوع البشرى وضوحاً ، ولعل من أسباب ذلك : الاتصال العائلى الدائم فى الإنسان ، مع تمتعه بقوة الإدراك ، وسمو العاطفة أكثر من الحيوان .

(ب) الخطرُ الاجتماعى :

وبجانب ما تقدم ، فإن النظام الاجتماعى لا يتفق وفوضى التزاوج بين الأبناء والآباء ، فإن من حكم الزواج التعارف بين العائلات ، وربط أواصر المحبة والألفة بين مختلف الأفراد ، بل هو سبيل لربط الأمم القريبة بعضها ببعض ، ليتحقق أسمى مقصد من مقاصد الزواج ، ولذلك يقول جل شأنه : ﴿ يَٰأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ (1) .

وأى خطر يمكن تصوره من الاتصال الجنسى بين الرجل وبناته ،

(1) سورة الحجرات الآية : ١٣ .

والأبناء وأمهاتهم وفيما بينهم وهكذا ، وأى فوضى خلقية يتصور حدوثها فى بيت يختلط فيه الذكور بالإناث ، وأى اضطرابات تنجم عن هذه الفوضى الاجتماعية ، التى تحدث بجانب هذا اختلاط الأنساب ، وتسبب الانحلال الاجتماعى الخطير.

(ج) إضعافُ الجنْس :

ولا شك أن من أغراض الزواج تقوية الجنس البشرى ، بإدخال عناصر جديدة فى العائلات ، ولا شك أن زواج الأخوات مثلاً ، يقضى على النسل كما يحدث فى التوالد غير الجنس ، أو التناسل بطريق الانقسام أو التفرع ، إذ يأخذ الجنس فى الضعف والانحلال حتى ينقرض بالعقم ، وقد عللت كثرة انقراض الأسرة المالكة فى مصر القديمة وحلول غيرها محلها ، بما درجوا عليه من مثل هذا التزاوج .

ولا شك أن الاغتراب في الزواج ينجى الأسرة من العيوب المختلفة التى تتركز فى النسل ، لاشتراك أفراد البيت الواحد فى شتى الصفات البدنية والنفسية والخلقية والمرضية .

فإذا اتصف أفراد البيت بقبح الصورة مثلاً ، فتناكحوا ، نتج نسل مركزة فيه القباحة بأبشع صورها ، وكذلك الحال فى تناكح أفراد العائلة المميزة بقصر القامة ، إلى غير ذلك من الصفات العضوية التى أتى ذكرها فى مبحث تحسين النسل .

وليس الضرر قاصراً على تركيز العيوب البدنية ، وتجمعها فى النسل ، بل إن الأمراض النفسية والخلقية تورث كذلك ، فتضعف العائلة ، كما جاء فى المبحث السابق .

وكذلك الحال من حيث تشابه العلل العقلية ، وقد ثبت أن الزواج من فردين من درجة عقلية منحطة ، يميل إلى إنتاج نسل مصاب بنفس العيوب ، بل إن مثل هذا الزواج يزيد فى تجمع الأمراض الوراثية ، والاستعدادات المرضية ، كالسل والنقرس والروماتزم وغيرها ، مما أتى بيانه فى مبحث تحسين النسل .

نكاحُ أبناءِ الأعمام وأبناء الخالات

ولعل زواج أولاد الأعمام وأولاد الخالات، ولو أنه يبعد عن معنى الزواج السابق، لتفرق الصفات المماثلة بينهم، إلا أنه يقرب من الحد الأدنى. ولذلك نصح الإسلام بعدم التوسع فيه وفضل اجتنابه، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «لا تَنْكحوا القرابة القريبة فإن الولد يخلقُ ضاويا»[1].

ولا شك أن الاستمرار فى هذا الزواج يؤدى إلى تجمع عيوب مرضية وخلقية فى النسل. وقد لوحظ أن اليهود لاتباعهم طريقة زواج الأقارب، مدفوعين إليها لتعرضهم للاضطهادات فى مختلف العصور، ينتشر بينهم شلل الأطفال المصحوب بالبلاهة، وغير ذلك من العيوب المنتشرة بينهم، سواء كانت جسمية أو غير ذلك، وقد لوحظ فى حالات الصمم المصحوب بالبكم، أن الآباء أولاد عم أو عمة، أو أولاد خال أو خالة.

ومن الأمراض التى تورث بهذا الزواج الهيموفيليا، وهو مرض عائلى يصيب الذكور، ويتميز باستعداد خاص للنزف بعد الجروح. وقد كانت العائلة الأسبانية المالكة السابقة مصابة به، وكذلك أبناء الملكة فكتوريا وبعض أبناء قيصر روسيا السابق.

وقد قيل إن سكان جزائر (الودا) الذين يعيشون فى جزيرة سيلان يتفشى بينهم صغر الأجسام والعقم إلى درجة يخشى معها عليهم من الفناء.

وقد ثبت أن الحد من تزاوج أبناء العم أو الخال، أو أبناء العمة أو الخالة، يقطع دابر بعض الأمراض بنسبة تتراوح بين ١٥ إلى ٥٠٪.

وقد تنبهت العرب من قديم إلى هذه القاعدة بعد أن أشار إليها القرآن الكريم، وبينها رسول الله ﷺ. ويعجبنى قول الأصمعى فى ذلك: بنات العم أصبر، والغرائب أنجب، وما قرع الأبطال كابن الأعجمية، ونرى

(١) أى ضعيفا، رواه إبراهيم الحربى، ومثله قوله صلوات الله وسلامه عليه: «اغتربوا لا تضووا».

الأصمعي لم يميز بنت العم بغير الصبر ، على ما يحدث من الخلاف لتماثل العيوب النفسية ، سئلت امرأة جميلة صغيرة فى زواجها من شيخ قبيح المنظر فقالت :

دَعَانِي إلَيْه أنه ذُو قرابةٍ يعز علينا من بنى العم والخال !!

ويعجبنى قول الشاعر :

أنذرُ من كان بعيدَ الهمِ تزويج أولاد بناتِ العمِ
فليس بخال من ضوى[1] وسقم

ولذلك يقول أحدهم :

تجاوزتُ بنتَ العم وهى حبيبةٌ مخافةَ أن يضوى على سليلها

ويعجبنى قول الآخر يمدح فتى شجاعاً :

فتى لم تلده بنتُ عمٍّ قريبةٍ فيضوى وقد يضوى رديد الأقارب

وأرى أن أفضل زواج هو التزاوج بين الشعوب والسلالات القريبة ، أو بين أفراد شعب ، أو سلالة واحدة ، أو أفراد ذوى قرابة بعيدة ، وزواج أولاد الأعمام ، أو أولاد الخالات الذين يعيش كل منهم فى معيشة مستقلة بعيدة عن الفريق الآخر ، أفضل من زواج المتصلين فى معيشة واحدة .

حكمةُ تحريمِ زواج المحرمين بالرضاع

ذكرنا فى المبحث الرابع المحرمين بالرضاع صفحة (١٣٤) وسنبين هنا المقصود بما يحرم من الرضاعة وحكمة هذا التحريم .

(أ) المحرماتُ بالرضاعة :

قال تعالى فى سياق بيان المحرمات : ﴿ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللَّاتِي أَرْضَعْنَكُمْ

(١) ضوى : ضعف .

وَأَخَوَاتُكُمْ مِنَ الرَّضَاعَةِ﴾ [1] وقال صلوات الله وسلامه عليه : « يحرمُ من الرّضاع ما يحرمُ من النسبِ » [2] .

(ب) المقصودُ بما يحرمُ من الرضاعة :

والرضاعة المقصودة هي الرضاعة الطبيعية من الثدى، كما يرضع الطفل من أمه ، وبذلك (لا تحرّم المصة ولا المصتان) [3] . وليس المراد بيان عدد الرضعات التى لا تحرم بل المراد أن الذى لا يحرم هى الرضاعة غير الطبيعية ، ولذلك يقول ابن مسعود وابن الزبير والشافعي ورواية عن أحمد : لا تحرم إلا خمس رضعات ، مع العلم أن الطفل الطبيعي يرضع لمدة ربع ساعة إلى ثلث ساعة فى الدفعة الواحدة ، ويمتص فى كل دفعة من ٣ جرامات فى اليوم الأول و٥ جرامات فى اليوم الثانى إلى ١٥٠ جراماً فى اليوم السابع ، ويبلغ مجموع هذه الكمية ٣٠ جراماً فى اليوم الأول و١٥٠ جراماً فى اليوم الثانى ، إلى ما يقرب من لتر فى اليوم الواحد من الشهر السابع وما يليه .

وطبيعى أن الرضاعة لا تكون إلا فى مدتها الطبيعية ، وهو قوله تعالى : ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾ [4] ، وقال رسول الله ﷺ : « لا رضاع إلا فى الحولَيْن » [5] ، فإذا فطم المولود قبل هذه المدة – فى الشهر التاسع مثلاً – فالرضاعة بعدها لا تحرم ، وإنما الذى يحرم الرضاعة الطبيعية قبل الفطام ، قال رسول الله

---

(١) سورة النساء الآية : ٢٣ .

(٢) أخرجه البخارى (٢٢٢/٣) ، ومسلم (الرضاع ٢ ، ٩) ، وأبو داود (٢٠٥٥) ، وأحمد (٤٤/٦) ، ٥١، ٦١) .

(٣) أخرجه مسلم (الرضاع ٥) ، وابو داود (٢٠٦٣) ، والترمذى (١١٥٠) ، والنسائى (١٠١/٦) ، وابن ماجه (١٩٤٠) .

(٤) سورة البقرة الآية : ٢٣٣ .

(٥) الدارقطنى (١٧٤/٤) ، والكنز (١٥٦٧٨) .

ﷺ: «لا يحرم من الرّضاع إلا ما فتقَ الأمعاءَ وكان قبل الفطامِ» (١) .

ومما يزيد تأييد القول بأن الرضاعة الطبيعية هى التى تحرم قوله صلوات الله وسلامه عليه: «انظرن من إخوانكن، فإنما الرَّضاعةُ من المجاعةِ» (٢) وقال ﷺ: «لا رِضاعَ إلا ما أنشزَ العظمَ وأنبتَ اللحمَ» (٣) أى أن الرضاعة هى التى تمد الطفل بالغذاء الذى يتحول إلى أنسجة لبناء جسمه عظماً ولحماً، ونلفت النظر إلى أمر هام لتقريب المعنى، وهو أن المرضع إذا فرضنا أنها لا تتغذى أو إذا منعناها عن الأكل مدة طويلة، فإن لبنها لا ينقطع، بل يتكون على حساب أنسجة جسم المرضع نفسها كالأمعاء والعضلات، إذ أن اللبن يعتبر من الأنسجة الهامة، كالقلب والرئتين والحجاب الحاجز والمخ، مما يعيش على حساب سائر الأنسجة فى حالة الصيام التام عن الطعام لمدة طويلة، وهكذا نرى لبن المرضع هو الذى يبنى الطفل.

(ج) حكمةُ تحريمِ زواجِ المحرمات بالرضاعة:

والحكمة فى تحريم الأمهات والأخوات من الرضاعة وغيرهم، تشابه الحكمة فى هذا التحريم بالنسب، فإن لنوع الغذاء أثراً كبيراً فى تكوين المرء، ليس من الناحية الجسمية فحسب، بل كذلك من الناحية النفسية والأخلاقية .

ولقد بينا عند الكلام عن الخطبة ص (١٦٥) : أن التركيب الجسمانى يوشك أن يكون مرآة صادقة للنفس البشرية، وللعقل والأخلاق، حتى قيل: إن الصفات الخاصة بكل فرد، ترجع إلى كيفية اتجاه العناصر المادية التى يتألف منها جسمه بنسبة خاصة، فلعقل المرء ونفسيته علاقة قوية بشكله الظاهرى، وتركيب جسمه، وهكذا ترى الأخوة من الرضاعة،

---

(١) أخرجه ابن حبان (١٢٥٠)، وعبد الرزاق (١٣٩١٠)، وإرواء الغليل (٢٢١/٧) .

(٢) أخرجه البخارى (٢٢٣/٣)، ومسلم (الرضاع ٣٢)، وأبو داود (٢٠٥٨)، وأحمد (٦/ ٩٤، ١٧٤، ٢١٤)، والدارمى (١٥٨/٢) .

(٣) شرح السنة (٨٤/٩)، وإرواء الغليل (٢٢٣/٧)، وأبو داود (٢٠٥٩)، والبيهقى (٤٦١/٧) .

فأجسامهم مكونة من نوع واحد من الغذاء ، عظماً ولحماً ودماً ، فلذلك ترى تشابهاً فى صفاتهم الأخلاقية .

ولقد رأيت ذلك بنفسى ، وقارنت بين أخلاق بعض المراضع فى العائلات التى أتصل بها ، وأخلاق الذين رضعوا منهم رضاعة كاملة ، بل أستطيع أن أقول بحسب مشاهداتى إن هنالك بعض الشبه بين الأم وابنها من الرضاعة ، وأستطيع أن أشبه هذا بالصلة بين ملامح الابن والزوج السابق لأمه ، مع أن أباه لا علاقة له بمطلق والدته ، فإذا كان الشبه فى الحالة الأخيرة راجعاً إلى تفكير الأم فى زوجها الأول فالشبه فى الحالة الأولى يرجع إلى تركيب جسم الرضيع من جسم مرضعته ، فإذا كان تشبع فكرة المرأة بزوجها الأول كافية لإعطاء بعض ملامحه لابنها من زوجها الثانى ، فما بالك بالمرضع التى يتركب جسم رضيعها من جسمها .

وما دام الأخوات من الرضاعة يشتركن فى نوع واحد من الغذاء فإن نقص لبن الأم فى نوع ما من أنواع الأحماض الأمينية التى تتركب منها زلاليات الجسم وعضلاته ، يجعل الأولاد يشتركون فى التأثر بما يترتب على هذا النقص .

بل إن الأخوات من الرضاعة ، يشتركن فى الأمراض التى تنتقل إليهن بواسطة الأم ، كالسل والزهرى وغيرها ، بل إن سائر أمراض الأم كتمدد الكبد والمعدة تؤثر فى الأخوة ، وكذلك الحال فى سائر الأمراض المعدية .

ولأقرب إلى ذهن القارئ ما أرمي إليه ، أذكر ما ثبت علمياً من أن لبعض الأمراض تأثيراً عظيماً ، وأثراً بالغاً فى تكوين طباع المرء وسلوكه وفى تكوين شخصيته ، فالمرضى بالسل مثلاً تراهم من النوع المتفائل ، فترى السل يؤثر على المريض به وعلى شخصيته فيحوله إلى الشخصية المنبسطة ، كما يحول مرض السكر المصابين به إلى الشخصية المنقبضة المتشائمة ، فيحب العزلة ، والابتعاد عن الناس وتراه كذلك دائم التفكير والتحليل لنفسه ولشعوره ، يجسم هفواته وهفوات الناس على وجه عام ينظر إلى الدنيا

بمنظار أسود، وينطبق عليه قول القائل:

عين قد صار البكا لك عادة   تبكين من فرح ومن أحزان

وترى المصابين باضطراب الغدة الدرقية، مصابين بتهيج أو بلادة جهازهم العصبي، وترى البلهاء، وضعاف العقول، والمجرمين، يوجدون فى عائلات تسود بين أفرادها أمراض هذه الغدة، وترى كذلك أن الخصية لها تأثير كبير على قوة العقل ونوعه وهكذا فى سائر الأمراض، كسوء الهضم وغيرها، فإذا كانت الأمراض تؤثر فى شخصية المرء، فكذلك التركيب الجسمانى له أثر وسيطرة كبيرة على نفسيته، هذا مع ملاحظة اشتراك المجتمعين على ثدى واحد فى العلل التى قد تنقل إليهم من المرضع.

ومن الثابت أن الأمراض العقلية التى تصاب بها المرضع تؤثر كذلك فى الأولاد كالعلل الهستيرية، والنوب التشنجية، ولذلك نهى صلوات الله وسلامه عليه: «أن تُسْتَرْضَع الحمقاءُ»[1] مما يؤيد أن للرضاع تأثيراً فى الطباع وسائر الصفات النفسية والأخلاقية.

وطبعى أن الأخوة يزيد تشابههم كلما طالت مدة الرضاعة، وإذا كان الإسلام قد جعل الحد الأدنى خمس رضعات، وهى عبارة عن غذاء يوم كامل تقريباً، فهذا دأبه فى كل تشريعاته كقول رسول الله ﷺ: «ما أسْكرَ كثيره فقليله حرامٌ»[2] وكتحريمه السرقة سواء كانت آلاف الجنيهات أو سرقة مليم واحد، قال صلوات الله وسلامه عليه: «لَعن الله السارقَ يسرق الحبلَ فتقطع يدهُ، ويسرقُ البيضةَ فتقطعُ يَدُه»[3] وعلى كل حال فليس هنالك مُرضع ترضع الطفل يوماً واحداً ثم تتركه، إلا فى حالات استثنائية، فالأم بالنسب إذا كانت لا تستطيع الرضاعة، تأتى بمرضع ترضع

---

(١) أخرجه البيهقى (٧/٢٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٦٨١)، والترمذى (١٨٦٥)، والنسائى (٨/٣٠٠)، وابن ماجه (٣٣٩٣)، والحاكم (٣/٤١٣).

(٣) أخرجه البخارى (٨/ ١٩٩، ٢٠٠)، ومسلم (حدود ١)، والنسائى (٨/٦٥)، وابن ماجه (٢٥٨٣)، وأحمد (٢/٢٥٣).

لها طفلها بدلاً منها رضاعاً كاملاً ، ونخرج من حسابنا شيئاً لا يبيحه الدين وهو أن تزور امرأة صاحبتها فترضع لها ابنها للتظرف والعبث .

ويجب أن نشير إلى أمر على جانب من الأهمية ، وهو أن المرضع فى الغالب لا تكون من بيئة المستأجر لها ، فلا تتوافر معانى الكفاءة فى زواج الرضيع من ابنة المرضعة ، ويقلل من انتشار هذا التحريم أن المسلمة مكلفة شرعاً بإرضاع طفلها بنفسها ، ما لم تضطر إلى ترك الرضاعة اضطراراً لسبب مرض شديد .

وهنالك عامل آخر يعمل على تشابه صفات الأخوة من الرضاعة ، وهذا العامل هو تأثير البيئة ، كالنظافة والحالة الصحية العامة والحالة الأخلاقية ، وهنالك معنى هام فى هذا التحريم ، وهو أن الطفل والطفلة اللذين يجتمعان على ثدى واحد ، ويشبان على الإسلام وعلى المحبة الأخوية بالرضاعة ، والاختلاط الأخوى الذى يزيده تردد الأم بالرضاع عليهما والمودة بينهما ، يحدث عندهما نفوراً جنسياً طبيعياً كالنفور الذى يحدث بين الأقارب .

وأما تحريم المرضع على طفلها الذى أرضعته ، فواضح الحكمة ، فقد غدا الولد ابنها دينا وعرفا ، وقد رضع من ثدييها ، واطَّلَعَ على عورتها ، وزواجه منها لا يوافق عليه ذو عقل ودين ، والفوضى الجنسية والاجتماعية التى تترتب على مثل هذا الرضاع ظاهرة .

حكمةُ تحريمِ زوجةِ الأب وحلائل الأبناء وأمهات النساء

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَنكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ (١) .

---

(١) سورة النساء الآية : ٢٢ .

وعلة التحريم أن الأب وزوجته وأولاده، يعيشون في بيئة واحدة، ومعيشتهم توجب اختلاطهم اختلاطاً عائلياً مع رفع الكلفة بينهم، ولا يمكن من الناحية العملية احتجاب زوجة الأب عن أولاد زوجها، ولا يمكن منعهم من المعيشة مع أبيهم في بيت واحد، أو على الأقل لا يمكن منعهم من التردد على بيت أبيهم في كل لحظة وفي كل حين، في وجوده أو أثناء تغيبه، فالحكمة ظاهرة في تحريم هذا النكاح، والمقصود منه توطيد العلاقة بين الرجل وأولاده، فلا ينظر أحد الأولاد إلى امرأة أبيه نظرة شهوة الزواج، ولا يتسلط شعور الغيرة على الأب من أولاده فتضيع الثقة بين أفراد العائلة التي يريد الإسلام توطيد أركانها، وتوثيق عرى المحبة بين أفرادها.

ويلاحظ أنه من الطبيعي كذلك أن الإنسان، إذا حرم عليه دينه الذي يعتنقه ويدين به أمراً، نظر إليه نظرة المحرم عليه الممقوت فعله ديناً وعرفاً، ومن هنا يأتي كذلك النفور الجنسي من زوجة الأب الذي وضعها الدين والعرف في مرتبة الأم، فأوجب لها كل التقدير والاحترام.

والحكمة في هذا التحريم هي عينها الحكمة في تحريم حلائل الأبناء قال تعالى: ﴿ وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ ﴾ (1) ومثله أمهات النساء، قال جل شأنه: ﴿ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ ﴾ (2).

حكمةُ تحريمِ الجمع بين الأختين

قال تعالى عند ذكر المحرمات: ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً ﴾ (3).

والجمع بين الأختين يولد الغيرة، وقد يولد العداوة بينهما، وهو ما لا يريده الإسلام، والتحريم كذلك يمهد الطريق للأخت، لزيارة أختها في

---

(1) سورة النساء الآية: ٢٣. (2) سورة النساء الآية: ٢٣.

(3) سورة النساء الآية: ٢٣، ومعنى قوله تعالى: ﴿ إلا ما قد سلف ﴾ أي لكن ما قد مضى فإنه معفو عنه، فيكون نكاح الأختين في الجاهلية نافذ العقد، ويختار الرجل أيهما شاء.

أى وقت شاءت ، فلا تحتاج أن تحتجب من زوج أختها ، وما دام الدين قد رفع أخت الزوجة إلى مرتبة أخت الزوج ، فقد غدا ذلك عرفاً ، فترفع بذلك الشهوة الجنسية ، ويحل محلها التقدير والاحترام الأخوى .

وإذا كان من المباح تزوج الأخت بعد طلاق أختها ، فحدوث هذا الأمر نادر ، إذ أن الزوج قد انتقى زوجته التى أعجبته وليست المحبة والمودة من الأمور التى يمكن العبث بها ، ونضيف بجانب ذلك أن المسلم لا يطلق بالسهولة التى يظنها قليلو الدين ، البعيدون عن فهم روح الدين الحنيف ، والحكمة فى هذا التحريم هى عين الحكمة فى تحريم الجمع بين المرأة وخالتها أو عمتها .

حكمةُ تحريمِ الرّبائب

قال تعالى : ﴿وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ فَإِن لَّمْ تَكُونُوا دَخَلْتُم بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾ [1] .

والربائب جمع ربيبة ، والربيب ولد المرأة من رجل آخر ، سمى به لأنه يربيه كما يربى ولده ، والحكمة ظاهرة فى هذا التحريم ، لأن الرجل إذا دخل بالمرأة وكانت لها بنت ، غدت فى حجر مربيها ، وأصبح بمثابة أب لها ، وأوجب عليه الدين أن يعاملها معاملة الابنة ، وهو بجانب ذلك بصفته زوج الأم يربى ابنة امرأته ، ويرى منها ما لا يراه الأجنبى ، وتحريم الدين لها يوجب كذلك الاطمئنان عند الأم ، فلا تغار من ابنتها ، وتأمن ناحية الشهوة الجنسية . فترى الدين وقد حمى البيت من فساد هذه الشهوة التى تعكر صفوه وتقوض أركانه ، وأوجد الدين كذلك نفوراً جنسياً من ناحية الرجل نحو من اعتبرها الإسلام ابنته ، ورفع الدين عواطف الرجل ، وهذبها وعلاها ، وجعل الإنسان بهذا التحريم فى مرتبة تقرب من مراتب الملائكة ، ونشله من وهدة الرذيلة والفوضى الجنسية والاجتماعية .

(١) سورة النساء الآية : ٢٣ .

المبحث التاسع

تحديد النسل

وتحديد النسل اصطلاح عام متشعب المعانى ، وهو بمعناه العام تحديد سكان المعمورة ، أو الهيمنة على عدد أفراد مملكة من الممالك ، أو بلدة من البلدان ، وهو بمعناه الخاص التحكم فى أفراد العائلة الواحدة ، أو محاولة الرجل والمرأة الاقتصار على عدد معين من الأولاد .

وسنبين فى هذا المبحث أن تحديد النسل تقوم به الطبيعة ، وأن الوسائل التى يتخذها الناس لمساعدة الطبيعة أمر شاذ ، إذ من الواجب مقاومة هذه العوامل لعمارة العالم وبقائه ، وسأبين علة وجود العوامل الطبيعية ، وسأبرهن هنا فساد رأى من يقول بتحديد النسل ، مبيناً الأضرار التى تعود على المجتمع من ذلك .

العواملُ الطبيعيةُ لتحديدِ النّسل

والتحكم فى عدد سكان العالم تقوم به عوامل طبيعية ، وأخرى وضعية ، فأما العوامل الطبيعية فهى : الزلازل ، والبراكين ، وفيضانات الأنهار [1] ، والزوابع ، والأعاصير الشديدة ، والهيار [2] ، والمطر الهطال [3] ، والجفاف والجدب [4] ، والأمراض الوبائية ، والأمراض المتوطنة [5] ،

---

(١) كنهر هوانج هو فى الصين والمسيسبى فى أمريكا الشمالية .

(٢) وهى الثلوج التى تنقض على القرى من أعالى الجبال فتدكها دكاً .

(٣) كالذى حدث فى إيرلندا فقضى على مليون ونصف مليون نسمة من سنة ١٨٤٠ إلى سنة ١٨٥٠م .

(٤) كالذى حدث فى جنوب روسيا سنة ١٩٢١م .

(٥) كالملاريا فى الهند ، ومرض النوم فى أواسط أفريقيا .

والأمراض التناسلية، والحروب الطاحنة[1]، والعقم الطبيعي، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيماً﴾[2]، والإجهاض المرضى[3]، وقصر مدة حمل المرأة، إذ تبلغ سن اليأس من سن ٤٥ إلى ٥٠، والموت، والله تعالى يقول: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾[4].

العواملُ الوضعيّةُ لتحديد النسل

وأما العوامل الوضعية لتحديد النسل فهى: الاضطهادات، والمذابح، والقتل، والرهبنة، وتعدد الأزواج، ووأد البنات، والإجهاض الجنائى، ووسائل منع الحمل.

علةُ وجودِ العواملِ الطبيعية

والعوامل الطبيعية تقوم بتحديد النسل كنظام طبيعي تقتضيه السنن الكونية، حتى الحروب، والله تعالى يقول: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾[5]، وهى كذلك ترمى إلى قانون تنازع البقاء وبقاء الأصلح، فهى كالانفعالات التى تحدث فى نفس الإنسان فتدعوه إلى العمل وتحثه على الجهاد فى سبيل السعادة الإنسانية، وتوجد عنده روح الحذر واليقظة والانتباه، ومجاهدة العوامل الطبيعية كمجاهدة النفس، للوصول إلى الكمال، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ الْأَمْثَالَ﴾[6].

فسادُ العواملِ الوضعية

وأما العوامل الوضعية فهى طرق فاسدة تناقض غريزة حب الحياة التى

---

(١) كالحرب العظمى سنة ١٩١٤م والحرب الحالية.
(٢) سورة الشورى الآية: ٥٠.
(٣) مما تجد أسبابه فى كتب الطب خاصة.
(٤) سورة النساء الآية: ٧٨.
(٥) سورة البقرة الآية: ٢٥١.
(٦) سورة الرعد الآية: ١٧.

تدفع المرء ليجاهد فى سبيل تحصيل قوته ، وتدفعه لإيجاد الذرية الطيبة ، لتعويض النقص الذى تسببه العوامل الطبيعية ، وتقوى فيه العواطف السامية ، كالعاطفة الخلقية وغيرها ، وإلا فما ظنك بفريق من الناس يضطهد فريقاً آخر لاختلافات لا قيمة لها ، فيقوم بتذبيحهم وتمزيقهم شر ممزق ، وما ظنك فى مجرمين يقتلون الناس لسلب أموالهم ولإشباع غريزة الشر فيهم ، وما رأيك فى تعدد الأزواج ، هذه الفوضى التناسلية التى لا يقرها عاقل ، والتى حرمها الإسلام فى سياق المحرمات فى قوله تعالى : ﴿والمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [1] ، وما ظنك بالعالم إذا تصورت أفراده وقد ترهبوا وأضربوا عن الزواج وتحصيل النسل ، وهل يرضى أحد بما يأتيه المجرمون من الإجهاض الجنائى ووسائل منع الحمل .

فطريةُ التناسل

وترى غريزة الإنسال أمراً فطرياً للمحافظة على النوع البشرى والعناية بإكثار الصالح منه ، فالرجل الصالح ، القوى الإرادة ، متين الأخلاق ، يحب الحياة ، وينشد الخلود ، فتراه - وقد علم أن الموت لا مفر منه - يعمل على تحصيل الزاد الذى يوصله إلى الخلود فى الدار الآخرة لينال أقصى ما يمكن من النعيم ، وهو من جهة أخرى يتمسك بالحياة الدنيا ، ولا يريد أن ينقطع ذكره منها ، فيوقف أموالاً للخير ، ويؤلف الكتب التى تحيى ذكره ، وينشد الذرية الصالحة التى تواصل عمله فى هذه الحياة ، وتخلد ذكره فى الحياة الدنيا بعد وفاته ، ولذلك يقول صلوات الله وسلامه عليه : « إذا ماتَ ابنُ آدمَ انقطعَ عملهُ إلا من ثلاثٍ : صدقة جاريةٍ ، وعلم ينتفعُ به ، وولدٍ صالحٍ يدعُو له بخيرٍ » [2] .

وهنالك ناحية أخرى تدل على فطرية التناسل ، وهى التكوين الجنسى التى خلق به كل فرد ، فالرجل خلقت له خصيتان ، وهما المعملان اللذان تتكون فيهما الحيوانات المنوية ، ولو لم يخلق الإنسان للتناسل وكان الجماع

(١) سورة النساء الآية : ٢٤ .
(٢) تقدم تخريجه .

لمجرد اللذة ، لخلق القضيب وحده ، ولقد علمنا من المبحث الثانى أن المخصى شخص شاذ ، وأن الذى تقطع خصيتاه لا ينبت له شعر ، ويرق صوته ، ويشذ قوامه عن قوام الرجال ، وتحود به طباعه عنهم ، وإذا نظرنا إلى المرأة وجدنا لها رحماً ، فهل خلق الله هذا الرحم للذة ، أم خلق لحفظ الجنين وتربيته ، وترى ثديي المرأة وهما من أبرز زينتها ، ما خلقا إلا لتغذية الطفل ، وما أعدا إلا لغذائه ، وإطعامه ، وإنك لترى البشر وقد خلق من الجنسين ، وما جعلت هنالك لذة بالاتصال الجنسى إلا طلباً لإيجاد النسل والإكثار منه ، خاصة إذا علمنا أن قوة البلد لا تقاس إلا بعدد جنودها الأبطال من علماء مخلصين ، وعمال صادقين ، ومحاربين مجاهدين ، وقواد ممتازين ، ولهذا رغب الإسلام فى النسل ، ولقد أشرنا إلى ذلك عند الكلام عن الترغيب فى النسل فى المبحث الخامس .

ما يتخذُهُ النَّاس مبرراً لمنع الحمل

ولا تخرج حجج الناس فى منعهم الحمل عن ثلاثة أسباب وهى : الخوف من الحمل ، أو طلب الشهوة المجردة ، أو خوف الفقر ، وسنناقش هذه الأسباب فيما يلى ، ويجب أن نسقط من حسابنا الأمراض التى توجب منع الحمل ، والتى تهدد المرأة بالموت إذا حملت ، وهذه التقدير يرجع إلى شهادة طبيبين عادلين صالحين .

(أ) الخوفُ من الحمل :

والخوف من الحمل من الأسباب التى تدعو الفتاة إلى استعمال الطرق المانعة من الحمل ، ويرجع سبب ذلك إلى الخوف الذى يستولى على الفتاة عندما تستولى على عقلها ثرثارة من النساء المتقدمات فى السن ، فتهول لها شأن الحمل ، وتصور لها حادثة الولادة أشنع تصوير ، ولا يجد هذا الوهم مجالاً إلا فى أذهان الفتيات الضعيفات الإرادة العصبيات ، ومثل هؤلاء الفتيات يصبحن عالة على المجتمع ، ويعتبرن كالجندى الجبان الذى لا يخدم

وطنه خشية السقوط في ساحة الشرف ، ولقد بينا في مبحث الزواج كيف يعتبر الإسلام حمل المرأة جهاداً ، وسنبين بعد ما يصيب الفتاة من أخطار عظيمة عند فرارها من الحمل والتجائها إلى وسائل منعه .

(ب) طلبُ الشهوةِ المجردة :

وهنالك فريق من الفتيات ينظرن إلى الحمل كأنه السالب لاستكمال شهوتهن ، فيستعملن موانع الحمل حتى يستطعن التمتع بأزواجهن إلى أقصى حدود التمتع ، فلا يشغلهن الحمل والوضع والنفاس والرضاعة ، ولا تقطعن هذه السنين من عمرهن ، ولا تشوه هذه الوظائف شكلهن وبطونهن وصدورهن وأثديتهن ، وتجهل مثل هذه الفتيات أن استعمال موانع الحمل وبال عليها وعلى أعضائها التناسلية ، كما سيتبين بعد ، وأن الرجل لا يقدر إلا المرأة التي ينجب منها أطفاله ، وأن الأطفال تزيد محبته لها ، وهي تجهل أن الرجل الصالح ينتقي المرأة التي يستطيع أن يشاركها في الحصول على النسل الصالح ، كما بينا في مبحث تحسين النسل ، وأن الزوجة التي لا تعقب كالشجرة التي لا تثمر ، وما قيمة عود الورد إذا لم تكسه الزهور ، وتفوح حوله رائحة العطور ، سيما أن موانع الحمل تسبب أضراراً مختلفة ، قد تحرم المرأة نهائياً من القدرة على الولادة ، وتصيبها بالعقم .

(ج) خشيةُ الفقر :

ولا يمنع النسل إلا امرؤ تتوفر فيه صفتان : الجبن وعدم الإيمان ، فالمرء الذي يعزل خشية أن يحصل على نسل يخاف أن يشاركه غذاءه ، ويرى أنه لا يستطيع بكده أن يوفر له أسباب العيش ، جبان وقليل العقل ، وإلا فأى عاقل يخاف أن تلد امرأته بعد سنة ، ثم يلبث الطفل يتغذى بلبنها ﴿ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [1] فلا يتكلف شيئاً ثلاث سنوات ، ثم

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٣٣ .

بعد ذلك يعيش الطفل حتى يكمل له من العمر سبع سنوات أو أكثر ، وهو لا يكلفه إلا الأقل من القليل ، وبالرغم من ذلك يجبن أن يولد له طفل لا يكلفه شيئاً إلا بعد هذا العمر الطويل .

ومن جهة أخرى فالمرء لا يعلم الشقي من السعيد من أولاده ، فقد يولد له ولد وبنت ثم يمنع النسل ، فيغدو الولد فاسداً ، والبنت ذات حظ مريض ، قال تعالى : ﴿ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً ﴾ (١) وربما كان فيمن منعه سعادته وهناءه ، إنك لترى عبد الله لم يعزل فولد له سيدنا محمد رسول الله ﷺ ، وكذلك آباء العظماء والأنبياء والرسل عليهم السلام ، والله تعالى يقول : ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجاً وَذُرِّيَّةً ﴾ (٢) .

ومن هنا عد الإسلام منع الولد خشية الفقر حراماً يستحق فاعله دخول الجحيم ، وغير المسلم هو الذى يخشى الفقر ولا يثق بالله الذى يقول : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِى الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِى كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ (٣) وفى هذا المعنى يقول جل شأنه : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئاً كَبِيراً ﴾ (٤) ، وحسبك قول رسول الله ﷺ : « مَنْ تَرَكَ التَّزْوِيجَ مخافة العيلة فليس منا » (٥) .

طرقُ منعِ الحمل وأضرارُها

ويتخذ بعض الناس طرقاً لمنع الحمل ، وهى جميعاً - سوى خصى الرجل وتعقيم المرأة - غير مجدية وغير قاطعة ، جاء أحدهم إلى رسول الله

---

(١) سورة النساء الآية : ١١ .
(٢) سورة الرعد الآية : ٣٨ .
(٣) سورة هود الآية : ٦ .
(٤) سورة الإسراء الآية ٣١ .
(٥) تقدم تخريجه .

ﷺ فقال : إن عندى جارية وأنا أعزل عنها ، فقال صلوات الله وسلامه عليه : « إنَّ ذلك لا يمنعُ شيئاً أرادَهُ الله » وحملت الجارية بالرغم من العزل [1] وسنبين ما يؤيد هذا ، وسنذكر كيف أن وسائل منع الحمل عظيمة الضرر من الناحيتين الصحية والنفسية .

١ - طريقةُ المحاليل :

فمن النساء من يستعملن لمنع الحمل محاليل خاصة بنسب معينة ، يغسلن بها مهابلهن قبل الوطء وبعده ، لقتل الحيوانات المنوية كالليزول ، والأوزول وبرمنجات البوتاسيوم ، وحامض البوريك ، وحامض الخليك ، وحامض الأمونيك وغيرها ، ومن المعروف طبياً أن هذه المواد كاوية ، ولها تأثير سيئ على الغشاء المخاطى المبطن للمهبل ، فتحدث فيه تقرحات سطحية والتهابات قد يمتد أثرها فتصيب الجهاز التناسلى كله ، مما يضطرهن إلى التردد على أطباء أمراض النساء ، وقد يؤدى ذلك إلى العقم .

ويجب أن نقرر هنا أن هذه الطريقة بالرغم مما يدعى المدعون لا تجدى فتيلا ، ولا تمنع الحمل منعاً باتاً ، إذ أن الحيوانات المنوية فى اندفاعها تدخل إلى الرحم من عنقه حيث تجد البويضة فتلقحها ، ولا تؤثر هذه السوائل فى الجرثومة الملقحة لأنها تحاط بكميات من السائل المنوى ، يقيها ويحفظها من السوائل العالقة بجدار المهبل أثناء غسلها .

وإذا صح أن المرأة لا تحمل باستعمال هذه المحاليل ، فالسبب لا يرجع إلى فائدتها ، ولكن يرجع لإتلافها الجهاز التناسلى ، وإحداث الالتهابات التى تمنعه من أداء وظيفته .

واستعمال المحاليل الكاوية كعصير الليمون يحدث التهاباً كذلك فى جلد القضيب ، أو فى مجرى بول الرجل .

---

(١) تقدم تخريجه .

وهنالك حالة نفسية جديرة بالاعتبار ، وهي المعنى السيئ الذى ينم عنه ذهاب المرأة للحمام قبل الجماع لإجراء عملية الغسيل وترك زوجها بعد الوطء كذلك إلى الحمام لإعادة هذه العملية ، قاضية على فترة النوم الطبيعية التى تلى الإنزال مباشرة ، ومن المعانى السيئة التى تحملها هذه العملية ، شعور الزوجين بأنهما مقدمان على عمل خطر ذى ضرر لهما ، فهما يستعدان له بوسائل الحيطة والحذر ، وفى هذه العملية كذلك ما يقضى على الكثير من اللذة الطبيعية ، ويعطى الجماع مظهر الشهوة البهيمية المجردة من العاطفة .

٢ - طريقةُ اللبوسات :

وهنالك طريقة اللبوسات ، وهى عناصر طبية سامة موضوعة فى زبدة الكاكاو لتحفظها فى شكل قمع يوضع فى عنق الرحم قبل المباشرة ، فتتأثر زبدة الكاكاو بالحرارة الداخلية ، فتذوب ، فيؤثر ما فيها من المواد على الحيوانات المنوية فتقتلها ، وتعد هذه الطريقة من أقبح الطرق لأنها تلهب عنق الرحم كالطريقة السابقة ، وتحدث لزوجة فى المهبل تثير اشمئزاز الرجل العادى ، وتقلل من الشعور بلذة الجماع ، وفيها عين التأثير النفسى السيئ السابق الذكر .

٣ - سدُّ عُنق الرحم :

وقد تستعمل المرأة أدوات مختلفة لسد عنق الرحم ، لمنع دخول الحيوانات المنوية إليه ، كالفرزجة [1] وهى لا تستعمل عند فقد مرونة جدار المهبل ، أو عند وجود تمزق بسيط فى العجان ، أو هبوط عام فى الرحم ، أو كانت القناة المهبلية قصيرة أو أطول من المعتاد .

وبعضهن يستعملن طربوشاً من الكاوتشوك ، ويسمى الطربوش الفرنسى [2] وهو عرضة للتقلقل وقت الجماع ، وكثيراً ما يسقط أثناءه

---

(١) وهى مصنوعة من قاعدة من اللستك متصلة بحافة زمبلك كزمبلك الساعة وتركيبها صعب ، لذلك تذهب المرأة إلى الطبيب ليركبه فيها .

(٢) يشبه شكله قطاع البيض .

ولا ينفع فى حالة وجود إفراز غزير من العنق ، أو وجود تضخم فيه بشكل غير منتظم ، أو تمزق ، أو عندما تكون المرأة ضخمة الجسم ، أو تكون القناة المهبلية طويلة مع قصر أصبع اليد .

ومنهن من تستعمل السداد[1] وهنا يجب سد العنق سداً محكماً مع جيبى المهبل وأن يبل بالمحاليل ، ومنهن من تستعمل الكبوت الإنجليزى وهو يشبه كبوت الرجل المصنوع من المطاط .

وجميع هذه الطرق ذات أضرار عظيمة الخطر ، إذ تحدث فى العنق التهابات شديدة الضرر ، كثيراً ما تكون سبباً فى إصابته بالسرطان ، وتؤثر كذلك فى عضلات الرحم فتحدث فيه تشنجاً يؤدى إلى قفله أو ارتخائه ، وكثيراً ما ينجم عن ذلك العقم .

وبجانب هذا فإن هذه الطرق تقلل اللذة ، وتقلل الحساسية وتحدث أضراراً نفسية مختلفة ، وحسب الرجل شعوره بوجود مواد غريبة ، ومحاليل مختلفة فى فرج امرأته ، مما يؤدى إلى النفور من الزوجة ، والزهد فى القيام بالعملية الجنسية معها .

٤ – كبود الرجل :

والكبود الذى يستعمله الرجل كالسداد الذى تستعمله المرأة يقلل حساسية الطرفين ، ويمنع بجانب ذلك وصول السائل المنوى إلى جهاز المرأة ، وقد ثبت أن المرأة يمتص جهازها من هذا السائل ما يهدئ أعصابها ، ويريح نفسها ، وكثيراً ما يتمزق الكبود ويحدث الحمل .

٥ – طريقة قبض عضلات الرحم :

ومن الناس من يدعى أن من طرق منع الحمل قيام المرأة بمجهود عضلى

---

(١) وهو قطعة من القطن ، أو منديل المرأة ، أو قليل من ورق المراحيض أو الإسفنج والسداد صغير فى شهر العسل ، وأما فى المتكررات الولادة فيبلغ حجمه حجم منديل الرجل .

بعد الجماع مباشرة ، كأن تكح بشدة ، لطرد الحيوانات وعدم تمكينها من الوصول إلى الرحم لتقلص عضلاته ، وهذه الطريقة لا تجدى نفعاً ، ولا تؤثر فى الحيوانات المنوية التى دخلت الرحم ، وهذه الطريقة كسابقاتها تحدث تأثيراً سيئاً فى نفس الرجل وامرأته .

٦ – الإنزال خارج الرحم :

والإنزال خارج الرحم من أشد الطرق ضرراً كذلك ، إذ أنها كطريقة الكبود ، وتزيد فى كونها تكبد الرجل مجهوداً عضلياً وعصبياً شديداً ، وتحرم المرأة من الحصول على اللذة . وقد أشرنا إلى ذلك عند الكلام عن الجماع وواجباته فى مبحث العلاقة الجنسية بين الزوجين ، وبجانب هذا يصعب على الرجل الطبيعى الإخراج قبل الإنزال ، وفى الوقت المناسب ، وإذا أمكن ذلك ، فقد يسيل جزء من المنى من قناة مجرى البول داخل المهبل بدون شعور الرجل فيحدث الحمل .

٧ – الوطءُ وقت الأمان :

ويقول بعضهم إن هنالك فترة أمان يطأ فيها الرجل زوجته فلا تحمل ، ويقول بعضهم إن هذه الفترة تبدأ قبل الحيض بثلاثة أيام أو سبعة ، ويقول آخرون أنها تبدأ بعده ، ويقول غيرهم أن هذه الفترة تختلف باختلاف النساء فى طبعهن ، ولكن الحقيقة أن النساء اللاتى يحدث لهن ذلك عندهن استعداد طبيعى للعقم ، وليس الغشيان فى وقت الأمان المزعوم هو الذى يسبب عدم الحمل ، ولكنه استعداد المرأة للعقم هو الذى يسبب ذلك ، وتراهن إذا وطئن فى غير هذه الفترة فلا يحدث عندهن الحمل كذلك ، ولا شك أن هذه الطريقة ضارة كذلك لأنها تعين على الرجل مدة خاصة لا يطأ امرأته فى سواها .

٨ – مدُّ مدّةُ الرضاعة :

ومن النساء من يُطِلْنَ مدة الرضاعة ويحسبن أن الحمل لا يأتى أثناءها وهى طريقة لا يمكن الاعتماد عليها .

٩ - الخصي والتعقيم :

والطريقة الوحيدة التي تضمن عدم الحمل هي خصي الرجل أو تعقيم المرأة ، وهذه عملية لا يرضى بها رجل مسلم أو امرأة مسلمة ، وأضرار هذه الطريقة أشرنا إليها في المبحث الثاني إذ تسلب الفرد جنسيته .

١٠ - الإجهاضُ الجنائي :

والإجهاض جريمة كبرى تعاقب عليها جميع قوانين العالم ، وهي طريقة بالغة الضرر ليس من الناحية الاجتماعية فحسب ، بل من الناحية الطبية كذلك ، فالسموم التي تستعمل للإجهاض بالغة الضرر ، كالجويدار الذي يستعمل لتعجيل خروج الميت ، والسذاب وهو مجهض خطر يسبب الموت بهبوط القلب ، والأبهل وحب العرر ، وهما اسما شديدا الخطورة يؤثران على القناة الهضمية والمجموع العصبي ، ويسببان الوفاة بالكوما بعد قيء وإسهال وآلام مبرحة في البطن يعقبها نزيف بولي ورحمي .

ويجب أن أنبه هنا أنه لا يمكن أن يحدث الدواء إجهاضاً في رحم سليمة إلا إذا أخذ بمقادير سامة ، ونشأ عنه تسمم عام ، كالتسمم الذي يحدث بالجراثيم ، ومهما كانت النتيجة سلبية أو إيجابية ، فإن المرأة تغدو عرضة للإصابة بعوارض التسمم الحالبي أو بإصابة الكليتين أو الكبد بأمراض التهابية مزمنة ليس من السهل الشفاء منها طوال الحياة .

وبجانب هذا فالعقاقير لا تجدى إلا في الشهرين الأوليين من زمن الحمل ، وإلا لزم القيام بعملية جراحية تزيد نسبة خطرها كلما زاد عمر الجنين أسبوعاً بعد الشهرين الأولين .

وتلجأ الكثيرات إلى إدخال بعض الأشياء الغريبة في عنق الرحم كأعواد الملوخية أو الثقاب أو قطع الخشب أو فورتيكة أو إبرة الكورشيه أو القسطرة أو مجسات معدنية ، مما قد يحدث ثقوباً في جسم الرحم ومضاعفات مختلفة ، كالتهاب البريتون وخرق المثانة ، مما ينتهي غالباً بالوفاة ، خاصة إذا

كانت هذه الأشياء ملوثة ، والإجهاض محرم تحريماً قاطعاً فى الإسلام ، ويعتبر قتل نفس حرمها الله ، يعاقب فاعلها بالإعدام .

وأما الإجهاض العلاجى فلا يقوم به الطبيب إلا إذا ثبت أن حياة الأم فى خطر شديد ناشئ عن الحمل ، وكان هذا الخطر يزول بزوال الحمل ، ويجب على الطبيب فى هذه الحالات ، وقبل أن يقوم بعملية الإجهاض أن يستشير طبيباً آخر ، وأن يدونا قرارهما كتابة يأخذ كل منهما صورة يحفظها معه وتعطى صورة للمريضة وأهلها .

العَزْلُ ومنعُ الحمل فى الإسلام

بينا فى المباحث الماضية أن المسلم رجل راجح العقل قوى الإرادة ، ذو أخلاق متينة ، ونفسية عالية ، وأن الإسلام يفرض الزواج ، ويحث على النسل ، ويفضل الولود على العقيم ، ويحارب الرهبنة ، ويعتبر المسلم رجلاً مسئولاً عما يفعل ، محاسباً عن كل ما يقدم عليه ، وبذلك ترى الإسلام لا يوافق على العزل مطلقاً إلا إذا كانت هنالك أسباب تضطر المرء أن يعزل ، كما فعل بعض الصحابة مع الأسرى من النساء إذ خافوا أن يحملن منهم حين تزوجوهن لظروف خاصة ، وليس فى مستواهم ، فخافوا أن يأتى نسلهم وفيه بعض صفات لا يرضونها ، قد تورث إليهم ممن أسروا من النساء كما ذكرنا فى مبحث تحسين النسل ، وبالرغم من ذلك فقد قال لهم رسول الله ﷺ حين سألوه عن هذا « لا عَليكم ألا تَفْعلوا ذاكم ، فإنّما هو القَدَرُ » [1] زاجراً إياهم مشيراً إلى أن ترك العزل أولى ، بل تأمل قوله ﷺ فى حديث آخر عن العزل : « ذلك الوأدُ الخفِى » [2] . ويقول تعالى : ﴿ وَإِذَا الْـمَوْءُدَةُ سُئِلَتْ ۝ بِأَىِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴾ [3] ويباح العزل إذا كانت المرأة مصابة

---

(١) أخرجه ابن ماجه (١٩٢٦) ، وأحمد (٣/ ٥٧، ٦٨، ٧٢)، والبيهقى (٧/ ٢٣٠)، وعبد الرزاق (٢٥٦٧)، وابن أبى شيبة (١٤/ ٤٢٨) .

(٢) أخرجه مسلم (نكاح ١٤١)، وابن ماجه (نكاح ٦١)، وأحمد (٦/ ٣٦١، ٤٣٤) .

(٣) سورة التكوير الآيتان : ٨ ، ٩ .

بمرض يخشى عليها منه إذا حملت ، كبعض أمراض القلب . وأما إذا كان العزل لمجرد خوف الفتاة من الحمل أو طلب الشهوة المجردة أو الخوف من الفقر كما قدمنا ، فهو حرام فى الإسلام قطعاً ، فالمسلم الحقيقى لا يفكر فى العزل إلا لأسباب قهرية مرضية كما قدمنا ، وبالرغم من ذلك يجب موافقة الزوجة حتى يكون هنالك تفاهم بين القرينين ، وهو قول رسول الله ﷺ : « لا يَعْزِلُ عن الحرَّةِ إلا بإذنِها » [1] .

والإسلام يبيح العزل لمرضى الأجسام ، كما يبيحه لمرضى النفوس والأخلاق ، وذلك لكيلا ينسلوا نسلاً ضعيفاً من الناحية الروحية يكون عالة على الأمة الإسلامية ، وإذا كمل إسلام المرء وكان صحيح الجسم سليم النفس ، يحرم عليه أن يمنع النسل ، وبجانب هذا فالإسلام يبيح خصى المجرمين وتعقيم المجرمات ، حتى لا ينسلوا نسلاً فاسداً كما فعل بالمخنثين ، وقد ذكرنا ذلك فى المبحث الثانى .

ونضيف إلى ذلك أن وسائل منع الحمل تذهب معنى الارتباط الروحى بين القرينين . ولقد بينا عند الكلام عن العلاقة الجنسية بين الزوجين ، كيف تكون هذه الصلة التى يفكك عراها محاولة اتخاذ وسائل منع الحمل الشاذة .

ويمكن تصور حالة رجل يأتى امرأته وحليلته والخوف متملك عليه ، والذعر يقيده فيباشر امرأته وهو وجل خائف من شبح النسل .

* * *

---

(١) انظر العلل (١٢٣٣) .

المبحث العاشر
الرضاعة

قال تعالى : ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ ﴾ [1] وهذه الآية الكريمة تتناول ثلاثة أمور هامة ، فأما الأمر الأول فهو : الإشارة إلى الاتصال الوثيق بين الرضاعة وحياة الطفل ، وأما الأمر الثانى فهو : صلة الرضاعة بالأم نفسها ، والأمر الثالث هو : مدة الرضاعة ، وسنتكلم عن هذه الأمور الثلاثة فى العجالة الآتية

(أ) الرضاعة وحياة الطفل :

يولد الطفل ويلفظه بطن أمه بعد تمام مدة الحمل ، فينقطع عنه ذلك التيار الدموى العجيب الذى كان يصله مباشرة من دورة الأم الدموية إلى أوردته وشرايينه بوساطة حبله السرى ، وهنا يستقبل الطفل حياة جديدة ويكاد يكون قد نال استقلالاً ذاتياً ، وتأخذ دورته الدموية حالة مخالفة لما عهد فى بطن أمه ، وتبدأ رئتاه عملهما ، ويشعر الطفل بحاجته لتجديد نشاطه ، فيقبل على ثدى أمه يمص منهما مصًا قوياً ، ويجاهد للحصول على أكبر قسط يستطيع أن يناله من غذاء .

والطفل محتاج للبن أمه فى الأيام الأولى من ولادته لاحتواء هذا اللبن على الكلولسترول الذى ينبه أمعاء الطفل وينظفها مما يجب التخلص منه فى الأمعاء ، ويكون للجهاز الهضمى خير مطهر طبيعى وأصلح منشط عام ، وهذه المادة غير موجودة فى المرضع التى تأتى لترضع الطفل بعد مدة طويلة من ولادتها ، والآية الكريمة تلزم الأمر بإرضاع طفلها للأضرار التى تنجم

(١) سورة البقرة الآية : ٢٣٣ .

للطفل من الغريبة التى قد تنقل للطفل أضراراً وأمراضاً مختلفة ذكرنا بعضها فى المبحث الثامن .

(ب) صلةُ الرّضاعة بالأم :

والرضاعة هى الأمر الطبيعى المتمم للحمل والوضع ، وهو الذى يكسب الأم صحة ويكسبها ثوب العافية ، وانقطاع الحيض عند المرضع يترك المجال لراحة الأعضاء التناسلية الراحة التامة ، ويدع الرحم المتمدد ليأخذ بعد الحمل والوضع شكله الطبيعى ، أما إذا امتنعت الأم عن الرضاعة يرجع الحيض بعد ستة أسابيع من الوضع وأحياناً بعد خمسة عشر يوماً أو ثلاثة أسابيع ويحتقن الرحم تبعاً لذلك ، فلا يرجع لشكله الأصلى ولا ينكمش إلى الحجم الطبيعى ، ولقد ثبت أن ثلاثة أرباع الإصابات التى تحدث ضخامة الرحم تنجم عن عدم الإرضاع ، ولا يغيب عن البال أن المرضع الجيد لا تحيض .

وقد تحسب الجاهلات أن الإرضاع يسبب لهن الضعف والوهن ، مع أن الرضاعة تحدث تحسناً عاماً فى الحالة الصحية ، وتبعث النشاط فى وظائف الهضم للاستزادة من المواد الغذائية ، وللرضاعة كذلك فائدة عظيمة للمصابات بفقر الدم وعسر الهضم وللضعيفات على وجه عام .

ولتعلم الأم أن إدرار اللبن قد يحدث اضطرابات فى شتى أعضاء الجسم ، فقد تجد الأم آلاماً فى رأسها وترتفع درجة حرارة جسمها قليلاً وتشعر بحرق وظمأ واحتقان فى أوعية وجهها الدموية وتسرع ضربات القلب إلى غير ذلك من سائر الأعراض ، ولكن يجب ألا يدعو كل ذلك الأم إلى ترك الإرضاع ، فإن الرضاعة تساعدها على التغلب على هذه الأعراض ، بل وتشفيها منها ، وامتناعها عن الرضاعة يؤذيها أشد الأذى ، هذا فضلاً عن الاعتبارات الأدبية التى تحتم على الأم إرضاع طفلها حتى يستغنى عن لبنها .

(ج) مدةُ الرّضاعة :

ولا خلاف أن الطفل محتاج إلى أمه حتى يتم السنتين ، وهى النهاية

القصوى التى حددها الدين . وهذا التحديد يبين أمرين : الأمر الأول ألا يحرم الطفل من اللبن قبل السنتين ، حيث يكون اللبن هو غذاؤه الأساسى ، والأمر الثانى : هو وجوب تغذية الطفل وفطامه عند بلوغه السنتين حتى يستطيع أن يعيش وينمو ويحصل على غذاء خارجي يوجبه تقدمه فى السن .

وحجز اللبن عن الطفل في السنة الأولى يعرضه للضعف الجسمانى والمرض ، ويرى (أوفار) أن يبدأ الفطام بعد ثمانية عشر شهراً ، ولا شك أن اللبن هو القاعدة الأساسية لغذاء الطفل فى سنته الثانية ، وإذا أريد فطامه قبلها فيشترط أن يكون الطفل قوياً متمتعاً بكامل الصحة وأن يكون فى بيئة صالحة تدفع عوارض الأمراض إليه .

وكمال السنتين هو الوقت الكافى للطفل ، وهو الزمن الذى يكون فيه قد اجتاز جميع العقبات ، ويكون فيه قد أكمل التسنين إذ أنه من المؤذى حقاً أن يمنع الطفل من الرضاعة وهو فى دور انبثاق الأسنان ونموها فتحمله ضغثاً على إبالته ، فالطفل أثناء التسنين يعانى اضطرابات فى بنيته .

ولم يحدد الدين الحد الأدنى للرضاعة ، لأن بدء الفطام يختلف باختلاف حالة الأم الصحية ، وحالة غدد ثديها ، ويختلف باختلاف الأطفال من حيث صحتهم ومقدار نموهم وقوة تحملهم واستعدادهم ، ويجب أن نلاحظ كذلك أن الدين لم يحدد الحد الأدنى لذلك . وقد لا تستطيع الأم أن ترضع مطلقاً لمرض يمنعها من ذلك ، فتسترضع غيرها والله تعالى يقول : ﴿ وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ ﴾ [1] . وقوله : ﴿ وَإِنْ تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَى ﴾ [2] .

والتسنين يحدث اضطرابات شتى فى الجهاز الهضمى ، وذلك إما لكون الأسنان جزءًا منه . أو لأن الجهاز الهضمى نفسه سريع الاضطرابات

---

(١) سورة البقرة الآية : ٢٣٣ .

(٢) سورة الطلاق الآية : ٦ .

عند الأطفال ، وأعراض هذه الاضطرابات هى القىء والإسهال والتلبك المعدى ، وسببها تهييج فى المعدة والأمعاء ، وهذا ينشأ عن فعل منعكس منشؤه نمو السن ، وتسبب هذه الاضطرابات نحولاً فى جسم الطفل فيخيل لرائيه أنه مصاب بمرض شديد . ولكن هذه الحالة لا تلبث أن تزول بعد تمام التسنين تشنجا . وقد يحدث التسنين في لسان المزمار أو احتقان رئوى بدون حمى أو بحمى خفيفة . وقد يحصل له سعال والتهاب حنجرى وهذه الأعراض تزول بعد انتهاء التسنين .

والتسنين كذلك يسبب إسراع نبض القلب مع عدم ارتفاع الحرارة هذا بجانب بعض اضطرابات أخرى عصبية تزول ببروز الأسنان . وقد يحصل له أيضاً تقلصات عصبية ونوب ألم وبكاء وكآبة .

وقد يحدث للطفل كذلك أثناء التسنين طفح جلدى من نوع القوبة أو حمرة بسيطة . ولذلك يستحسن تأجيل الفطام إلى ما بعد ظهور الأنياب أى بعد ١٦ إلى ١٧ شهراً .

* * *

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم بقلم محمد عبد الله السمان	٥
مقدمة المؤلف	١١
المبحث الأول : الفرق بين الرجل والمرأة	١٥
الاختلافات التشريحية	١٦
الاختلاف فى الهيكل العظمى	١٦
الاختلاف فى العضلات	٢٠
الاختلاف فى مقدار الدهن وتوزيعه	٢٠
الاختلاف فى الجلد والشعر	٢١
الاختلاف فى القلب وأنابيبه	٢١
الاختلاف فى الحنجرة	٢١
الاختلاف الناشئ عن اختلاف الجهازين التناسليين	٢٢
الاختلاف فى الجهاز العصبى	٢٢
الاختلافات فى الوظائف العضوية	٢٣
الاختلافات العقلية	٢٧
الاختلافات النفسية	٤٤
خاتمة	٥٧
المبحث الثانى : الشواذ من الجنسين	٥٩
الشذوذ العضوى	٥٩
الشذوذ العقلى	٦١

الموضوع	الصفحة
الشذوذ النفسى الخلقى	٦١
الشذوذ النفسى الجنسى	٦٤
المبحث الثالث : إعداد الفرد للزواج	١٠١
الإعداد الصحى	١٠١
الإعداد العلمى	١٠٢
الإعداد العقلى	١٠٧
الإعداد الخلقى والنفسى	١١٠
المبحث الرابع : حماية الأسرة	١٢٧
حفظ كرامة البيت وأدب الزيارة	١٢٧
العفة وغض البصر	١٢٨
الاستعفاف	١٢٩
الأمر بملازمة المرأة مملكتها الصغيرة	١٢٩
جلد الزانى ورجمه	١٣٠
قتل اللائط والمفعول به	١٣٠
قتل شارب الخمر	١٣١
جلد الأفاكين وسلب صفة الإنسانية منهم	١٣١
تطليق المتلاعنين	١٣١
إمكان تخلص أحد الزوجين من الآخر بالطلاق	١٣٢
الحد من تعدد الزوجات وتنظيمه	١٣٢
تحريم أنكحة خاصة	١٣٣
تقرير حقوق الرجل والمرأة وواجباتهما	١٣٦
مكانة المرأة عند غير المسلمين	١٣٦

الموضوع | الصفحة

مكانة المرأة فى الإسلام ١٣٨
الطلاق أبغض الحلال إلى الله ١٤٤
المبحث الخامس: الزواج ١٥٥
فرضية الزواج ١٥٥
العزوبة ١٦٠
الترغيب فى النسل ١٦٢
الخطوبة ١٦٥
عقد النكاح ١٧٦
المبحث السادس: العلاقة الجنسية بين الزوجين ١٨١
الحب بين القرينين ١٨٢
الغيرة ١٨٩
التزين فى الإسلام ١٩٣
ما يحرم من التزين ١٩٥
الحياء ١٩٦
الدلال ١٩٨
التمنع والصد ١٩٩
ملاعبة الرجل زوجته وممازحته لها ٢٠٠
حلم الزوج عند انفعال المرأة وغضبها ٢٠٢
المداعبة والاتصال الجنسى ٢٠٤
الترغيب فى الزوجة ٢٠٦
أنواع الجماع ٢٠٦
الاستمتاع أثناء المحيض ٢٠٧

الموضوع	الصفحة
الاستمتاع أثناء الصيام	٢٠٨
حكمة الغسل بعد الجماع	٢٠٨
اختتان الرجل وحكمته	٢١٠
تحريم قطع بظر المرأة وشفريها الصغيرين	٢١٢
غشاء البكارة وفضه	٢١٣
كيف تزن المرأة زوجها وتقدره	٢١٦
المبحث السابع : تحسين النسل	٢١٩
الجمال	٢١٩
الدين والعقل والأخلاق	٢٢٨
الصحة	٢٢٩
الخلو من الآفات الوراثية	٢٣٠
وجود البيئة الصالحة مع حسن الوراثة	٢٣٥
المبحث الثامن : الزواج بين الأقارب	٢٣٧
المحرمات بالنسب وعلة تحريمها	٢٣٧
نكاح أبناء الأعمام وأبناء الخالات	٢٤٠
حكمة تحريم زواج المحرمين بالرضاع	٢٤١
حكمة تحريم زوجة الأب وحلائل الأبناء وأمهات النساء	٢٤٦
حكمة تحريم الجمع بين الأختين	٢٤٧
حكمة تحريم الربائب	٢٤٨
المبحث التاسع : تحديد النسل	٢٤٩
العوامل الطبيعية لتحديد النسل	٢٤٩
العوامل الوضعية لتحديد النسل	٢٥٠

الموضوع	الصفحة

علة وجود العوامل الطبيعية ٢٥٠
فساد العوامل الوضعية ٢٥٠
فطرية التناسل ٢٥١
ما يتخذه الناس مبرراً لمنع الحمل ٢٥٢
طرق منع الحمل وأضرارها ٢٥٤
العزل ومنع الحمل فى الإسلام ٢٦٠
المبحث العاشر : الرضاعة ٢٦٣
الرضاعة وحياة الطفل ٢٦٣
صلة الرضاعة بالأم ٢٦٤
مدة الرضاعة ٢٦٤
فهرس الموضوعات ٢٦٧

* * *

رقم الإيدع بدار الكتب المصرية ٣٠٢٣ / ١٩٩٦م

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ ـ شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١